مناقب بغداد

ومعه

تاريخ مساجد بغداد وآثارها

تأليف

جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

عني بتصحيحه وتعليق حواشيه ونشره

محمد بهجة الأثري البغدادي

أضواء السلف

تاريخ مساجد بغداد وآثارها

تأليف
السيد محمود شكري الالوسي

و

تهذيب
محمد بهجة الاثري

طبع بنفقة

صاحب المعالي امين عالي بك الباماجي وزير الاوقاف

مطبعة دار السلام في بغداد

١٣٤٦ ه



لاستاذنا العلامة السيد محمود شكري الألوسي (١٢٧٣ – ١٣٤٢هـ) عليه رحمة الله ما ينيف على خمسين مؤلفاً في مختلف الفنون العربية والعلوم الاسلامية التي تفتقر اليها مكتبتنا العصرية وتسد منها فراغاً كبيراً. وقد اخذت على نفسي منذ بلوغي سن الرشد وانضائي ركاب الطلب في سبيل العلم والادب ان انضم الى حزب الاصلاح والعمل واؤدي للامة كل ما يكون في استطاعتي من الخدمة عسى ان يكون لي « شرف العمل » في رفع قواعد المجد العربي الطريف واحياء العز الاسلامي التالد. فوفقت – والحمد لله وحده – للقيام بكثير من الاعمال التي لم يوفق لمثلها أترابي ولداتي ، ونشرت بالطبع طائفة مؤلفات الاستاذ الألوسي مع تهذيبها والتعليق عليها ككتاب « الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر » ورسالة « العقوبات عند عرب الجاهلية » و « تاريخ نجـــد » و « بلوغ الارب في احوال العرب » ذلك الكتاب الذي حصل به على الجائزة والوسام الذهبي من جمعية اللغات الشرقية المنعقدة في استكهولم بدعوة اسكار الثاني ملك اسوج ونروج يومئذ. وما زلت أتحين اوقات الفراغ للنظر فيما ترك من التراث النافع وانتقاء الانفع فالأنفع منه لنقدمه لقراء العربية وعلمائها.

وقد تقدم حضرة صاحب المعالي الشيخ « أمين عالي » بك آل باش أعيان البصري العباسي وزير الاوقاف في الحكومة العراقية حالاً ، واراد

أن يكون عوناً لنا على تحقيق هذه الغاية النبيلة، فاختار من مؤلفات الأستاذ كتاب « تاريخ مساجد بغداد وآثارها » وهو احد اجزاء كتابه « أخبار بغداد وماجاورها من البلاد » الثلاثة، وأمر بطبعه على نفقته. وهو اختيار حسن بالنسبة الى حاجة الاوقاف — فضلاً عن حاجة المؤرخ — اليه. فكان حقاً علينا ان ننوه بفضله و نشكر له هذه اليد البيضاء على العلم . . .

***

قلنا غير ما مرة ان الاستاذ الألوسي لم يكن من الكتاب الذين يعنون فيفنون بياض الايام وسواد الليالي في التأنق فيما يكتبون، وانه اذا قصد الى التأليف أملى المادة إملاء وارسل الكلام إرسالاً من غير تصنع، وان كل ما ألفه هو من نفثة القلم الأولى لم يتعهده بالاصلاح والتشذيب شأن الكتاب. تلك هي عادته ليست في تآليفه فحسب بل في اكثر اعماله وحالاته. فقد كان قليل المبالاة حتى بنفسه ومن كان هذا شأنه فهو يكره التصنع في كل شيء ولا يحب شيئاً عليه آثار التصنع. وهذا الكتاب على غرار سائر مؤلفاته، فلم أر من اللائق ان أنشره دون ان أجيل فيه قلم الاصلاح والتهذيب الذي كان ينبسط له حينما كنت أنتسخ مؤلفاته وأتصرف فيها حسبما أرى.

ليس في كتبه — وهو علامة العراق الكبير — سقط أو حشو لاطائل تحته. استغفر الله ! ليس فيها شيء من ذلك. بيد أنه كان مترسلاً والمترسل يغلب عليه الاستطراد في كل ما يعترضه لأدنى ملابسة. أنظر أمالي الزجاج وأمالي القالي وأمالي المرتضى تتحقق طريقة المملين والمترسلين. وأغلب النفوس اليوم لا ترغب في هذا النوع من الكتابة بل تميل الى البحث وجزاً غير مسهب ولا متشعب الطرق. فاذا ما قدمت على تهذيب هذا الكتاب فلا أكون قد أتيت بدعاً من الأمر ان شاء الله ! وكم واحد مثلي

هذب واختصر كتاب من لا يلحق له غباراً من فطاحل العلماء وفحول الأبناء!

.:.

أما طريقتي في تهذيبه فقد رتبته على حروف الهجاء بعد أن أعتزمت أن أرتبه على السنين فوجدت بعض المساجد غفلاً من تاريخ البناء فعدلت عنه الى ذلك. ثم أقتصرت فى المباحث على ما رأيته ضرورياً، واستبدلت بعض العبارات بغيرها وطرحت اكثر الاستطرادات ولاسيما المنظومات، فان أغلبها جاف لا يستمرؤه الذوق والفن، و ليس فى ابقائه فائدة تجتنى، على أنني آثرت ايضاً إبقاء بعضها لاسباب تاريخية وادبية وأشرت الى مظانّ بعض ما طرحته. وليس من الصعب على القارئ او الباحث ان يراجع مثلاً ديوان عبدالباقي العمرى أو عبدالغفار الاخرس ومن هو دون طبقتهما من شعراء القرن الغابر الذين لم يخلقوا الا مادحين طوراً ونادبين طوراً. وأية فائدة لنا من الابقاء على قصيدة مسهبة في مدح زيد وعبيد والاشادة بمآثر القبور والكتاب يقصد فيه الى غير هذا . . . ؟

وقد فات الاستاذ ذكر بعض المساجد ولكنها ليست بذات بال. فانها ان لم تكن أفاحيص قطا فهي أمكاء ضباب، ويجوز ان يكون قد اغفلها عمداً. على أنني كنت أحب ان استقريها واضيفها الى الكتاب غير أني الآن مخلد الى الراحة فى مصطافي الجميل على شاطئ دجلة شمالي «الأعظمية» ولولا ما أخذته على نفسي من العهد، ولولا وفاء حق الاستاذ رحمه الله علي ما حركت بناناً ولا أجريت قلماً فضلاً عن الاصلاح والتهذيب والتعليق والقيام بشؤون الطبع، وعلى الله قصد السبيل. سلخ ٢٩ المحرم ١٣٤٦ هـ

محمد بهجة الأثري

مقـــدمة

بقلم المهذب

قبل أن أدفع مسودة الكتاب للطبع بيومين اقترح صديق فاضل أن أقدم بين يدى الكتاب بحثاً في معنى المسجد والجامع والمنارة والمنبر وأسباب تعدد هذه المساجد التي نراها في المحلة الواحدة ، فترددت في ذلك لانصرافي عن الاعمال في هذه الايام الشديدة الحر . ثم رأيت ان في ذلك فوائد للمطالعين لا بأس أن أشغل نفسي بها يوما أو بعض يوم ، فانشأت هذه المقدمة عجلا ، وذهبت بها الى أبعد مما اقترح كما سترى ، ولولا ضيق الوقت لكانت أمتع بحثاً وأغزر مادة .

١ — المسجد والجامع

أما المسجد فهو بكسر الجيم الموضع الذى يسجد فيه . وقال الزجاج « كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً ، وقوله وأمن ظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه » ؟

وقد كان حكمه ان لا يجيء على مفعل لان حق اسم المكان والمصدر من الباب الاول أن يجيء على مفعل بفتح العين . ولكنه أحد الحروف التي شذت فجاءت على مفعل ، وهي : مسجد ومطلع ومشرق ومسقط ومفرق ومجزر ومسكن ومرفق ومنبت ومنسك . وروي مسكن ومسجد ومطلع بالفتح على القياس ويجوز في الباقي أيضاً وان لم يسمع الا الكسر .

واما الجامع فهو يكون نعتاً للمسجد وانما نعت بذلك لأنه علامة

للاجتماع . ولم يكن الصدر الاول يردون كلمة (الجامع) فى الاطلاق . وانما كانوا تارة يقتصرون على كلمة (المسجد) وتارة يصفونها فيقولون (المسجد الجامع) وطوراً يضيفونها الى الصفة فيقولون (مسجد الجامع) . ثم تجوز الناس بعد واقتصروا على الصفة فقالوا للمسجد الكبير وللذى تصلى فيه الجمعة وان كان صغيراً (الجامع) لأنه يجمع الناس لوقت معلوم ، هذا ماخطر لي فى تعليل هذا الاصطلاح الذى تواضعوا عليه وجرى عليه الاستاذ المؤلف في هذا الكتاب .

٢ – متى تأسست المساجد

المشهور أن اول مسجد بني فى الاسلام هو مسجد قبا[1] الذي يقال له مسجد التقوى ايضاً لقوله تعالى فيه (لمسجد أسس على التقوى من اول يوم). قال المحدثون وأصحاب السير والمؤرخون : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً من مكة كان وصوله الى (قبا) فى ظاهر المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة من ربيع الاول الموافق (٢٤ سبتمبر ٦٢٢ م) وقيل لثمان خلون ، وقيل غير ذلك (وقد أورد هذه الاختلافات السمهودي فى كتابه وفاء الوفا) ونزل على كلثوم بن الهدم وكان له بقبا مربد « وهو موضع يبسط فيه التمر لييبس » فاخذه منه وبناه مسجداً .

وروى ابو سعيد الخدري أن النبي (ص) سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال هو مسجدى . وهذا لا يعارض الاول اذ كل منهما أسس على التقوى غير أن قوله سبحانه (من أول يوم) يقتضي مسجد قبا لأن تأسيسه كان من أول يوم حلول الرسول « ص » دار هجرته .

قال السهيلي فى الروض الانف (ج ٢ ص ١١) « وفى قوله سبحانه

---

(١) يمد ويقصر .

من أول يوم — وقد علم أنه ليس أول الايام كلها ولا أضافها الى شيء في اللفظ الظاهر — فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم في التاريخ فاتفق رأيهم أن يكون عام الهجرة لأنه الوقت الذى عز فيه الاسلام والذى أمر فيه النبي «ص» وأسس المساجد وعبد الله آمناً كما يجب فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل، وفهمنا الآن بفعلهم أن قوله سبحانه «من أول يوم» أن ذلك اليوم هو أول يوم التأريخ الذى يؤرخ به الآن . الخ » وقد لخصه عنه ياقوت الحموى في معجم البلدان ولم يذكر اسمه . ثم ذكر السهيلي أن بعض النحاة يذهب الى ان في قوله سبحانه من أول يوم مضافاً تقديره تأسيس اول يوم ، فرده ولم يرتضه وحسن رأيه ياقوت .

وقد ألف صديقنا الفاضل حسن وفقي بك آل القاضي الدمشقي كتاباً في التقويم الشمسى الهجري اسمه (تقويم المنهاج القويم) وطبع في المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٥ ه . وهو يرى ان تكون بداية الشهر الاول من هذه السنة الشمسية الهجرية يوم تأسيس مسجد قبا لفوائد عدة ذكرها ، ولكني لا أرى ذلك يتم له لأن اليوم الذي قدم فيه الرسول الى قبا مختلف في تعيينه كما قدمنا .

٣— تاريخ زخرفة المساجد

ا كثر الأخبار على ان الاسلام ينهى عن زخرفة المساجد وتزيينها، لأنه ليس المقصود من بنائها الا ان تمكن الناس من الحر والبرد . وتزيينها — على تعليل الفقهاء — يشغل القلوب عن الاقبال على الطاعة فيذهب الخشوع الذى هو روح جسم العبادة . ويقول صاحب (فتح العلام لشرح بلوغ المرام) والقول بأنه يجوز تزيين المساجد باطل . ونقل عن (البحر الزخار) « ان تزيين الحرمين لم يكن برأى ذى حل ولا عقد ولا سكوت

رضا أى من العلماء وانما فعله أهل الدول الجبابرة من غير مؤاذنة لأحد من اهل الفضل وسكت المسلمون والعلماء من غير رضا » .

ويقول الفقهاء إنه لا يجوز صرف الموقوف على زخرفة مسجد بالذهب والاصباغ لأنه منهي عنه وليس ببناء بل لو شرط لما صح لأنه ليس قربة ولا داخلا فى قسم المباح ، كما فى (الاقناع) .

وقد بنى رسول الله « ص » مسجده باللبن والجريد وخشب النخل ، ولما زاد فيه الخليفة الثاني بناه على بنائه الاول باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً وقال« أكن الناس من المطر وإياك ان تحمر او تصفر » رواه البخاري .

حتى اذا آل الامر الى عثمان زاد فيه زيادة كبيرة وبنى جدرانه بالاحجار المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج وقيل بل حسنه بما لا يقتضي الزخرفة ومع ذلك انكر بعض الصحابة عليه .

ويقول صاحب فتح العلام ان أول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك وذلك فى آخر عصر الصحابة وسكت كثير من أهل العلم عن ذلك خوفا من الفتنة .

وينقضه ما جاء فى خطط المقريزى ج ٤ ص ٧ نقلاً عن كتاب أخبار مسجد أهل الراية قال : لما ضاق المسجد العتيق فى فسطاط مصر باهله شكي ذلك الى مسلمة بن مخلد وهو يومئذ أمير مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان فكتب اليه يستأذنه . فامره معاوية بالزيادة . فزاد فيه من شرقيه مما يلي دار عمرو بن العاص، وزاد فيه من بحريه ولم يحدث فيه حدثاً من القبلي ولا من الغربي . وذلك سنة ثلاث وخمسين ، وجعل له رحبة فى البحري منه كان الناس يصيفون فيها ولاطه بالنورة وزخرف جدرانه وسقوفه . قال الكندي : ولم يكن المسجد الذى لعمرو جعل فيه نورة ولا زخرف .

٤ — تاريخ بناء
المنابر والمنائر والمحاريب والمقاصير

— ا —

المنبر بكسر الميم مرقاة الخاطب ، من نبر الشيء اذا رفعه ، وسمي بذلك لعلوه وارتفاعه . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم فى أول الأمر يخطب الى جذع ، فقيل له : يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً ؟ قال : إن شئتم ، فجعلوا له منبراً . وفي مسند الدارمي من حديث بريدة : « كان النبي (ص) اذا خطب قام فأطال القيام فكان يشق عليه قيامه فأتي بجذع نخلة فحفر له واقيم الى جنبه قائماً للنبي (ص) ، فكان اذا خطب فطال القيام عليه استند فاتكأ عليه ، فبصر به رجل كان ورد المدينة فرآه قائماً الى جنب ذلك الجذع فقال لمن يليه من الناس : لو أعلم أن محمداً يحمدني فى شيء يرفق به لصنعت له مجلساً يقوم عليه فان شاء جلس ماشاء وان شاء قام . فبلغ ذلك النبي (ص) فقال : ائتوني به فأتوه به فأمر أن يصنع له هذه المراقي الثلاث أو الأربع هي الآن فى مسجد المدينة فوجد النبي (ص) فى ذلك راحة ... » .

وقال صاحب فتح العلام وغيره : وكان عمل هذا المنبر سنة سبع وقيل سنة ثمان عمله له غلام امرأة من الأنصار كان نجاراً ، واسمه على أصح الأقوال ميمون ، وكان على ثلاث درج . ولم يزل عليه حتى زاده مروان فى زمن معاوية ست درجات[1] من أسفله ، ولم يزل كذلك حتى احترق المسجد النبوي سنة أربع وخمسين وستمائة فاحترق . كذا فى وفاء الوفاء والفتح[2] .

وقد ذكر المقريزي في الخطط[3] : « ان فى سنة ١٦١ أمر المهدي

---

(١) فتح العلام ج ١ ص ١٩٧ وابن الاثير ج ٣ ص ١٩٩ (٢) وفاء الوفاء ج ١ ص ١٨٧ وفتح العلام ج ١ ص ١٩٧ . (٣) ج ٤ ص ٦ و ٧ .

محمد بن أبي جعفر المنصور بتقصير المنابر وجعلها بقدر منبر النبي (ص) » .
ثم شاع اتخاذ المنابر فى مساجد الأمصار.

ويقول العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي فى اصلاح المساجد (ص ٦٧) : « ان بعض المؤرخين ذكر فى حوادث سنة ١٣١ أن أول من اتخذ منابر في الجوامع عبد الملك بن مروان أمير مصر من قبل الخليفة مروان بن محمد وكان آخر وال على مصر من قبل الامويين[1] قالوا : ولم يكن قبل ذلك منبر ، وكانت ولاة مصر تخطب على العصي الى جانب القبلة » .

— ب —

والمنارة بالفتح من الانارة وهي الاشتعال حتى تضئ ومنه سميت منارة السراج[2] ، وتسمى مئذنة ، وتجمع على مناور على القياس وعلى منائر على غير قياس . قال ثعلب : انما ذلك لأن العرب تشبه الحرف بالحرف فشبهوا منارة وهى مفعلة من النور بفتح الميم بفعالة فكسروها تكسيرها كما قالوا أمكنة فيمن جعل مكاناً من السكون فعامل الحرف الزائد معاملة الأصلي فصارت الميم عندهم كالقاف من قذال ومثله فى كلام العرب كثير . قال : وأما سيبويه فحمل ماهو من هذا على الغلط . وقال الجوهري : الجمع مناور بالواو لأنه من النور ومن قال منائر وهمز فقد شبه الأصلي بالزائد كما قالوا مصائب وأصله مصاوب[3] .

والمنائر لم تكن على عهد رسول الله (ص) وانما كانوا يؤذنون على ظهر المسجد . قال ابن سعد بالسند الى ام زيد بن ثابت : « كان بيتي أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن الى أن بنى

---

(١) المعروف ان آخر ولاة مروان بن محمد على مصر « المغيرة بن عبيد الله » .
(٢) معجم البلدان . (٣) تاج العروس مادة (ن و ر) .

رسول الله (ص) مسجده فكان يؤذن بعد ذلك على ظهر المسجد وقد رفع له شيء على ظهره[1] » . وأول من بنى المنائر فى الاسلام مسلمة بن مخلد الأنصاري أمير مصر من قبل معاوية بأمر معاوية ، كما ان أول من رقى منارة مصر للأذان هو شرحبيل بن عامر المرادي[2] . ويلوح لي أن مسلمة رأى منارة الاسكندرية[3] الشهيرة فبنى على مثالها .

ومنذ ذلك الحين انتشر بناء المنائر فى الأمصار ، ولما تولى عمر بن عبد العزيز جعل لمسجد رسول الله (ص) حين بناه أربع منارات في كل زاوية منارة[4] . ويقول أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في الكامل[5] : ان خالد بن عبد الله القسري بلغه شعر لرجل من الموالي موالي الأنصار يقول فيه :

ليتني في المؤذنين حياتي * انهم يبصرون من فى السطوح
فيشيرون أو تشير اليهم * بالهوى كل ذات دل مليح

فهدم منار المساجد حتى حطها عن دور الناس ، فهجاه الفرزدق وقال :

ألا قطع الرحمن ظهر مطية * أتتنا تهادى من دمشق بخالد
وكيف يؤم الناس من كانت امه * تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها النصارى لامه * ويهدم من كفر منار المساجد

وقال :

عليك أمير المؤمنين بخالد * وأصحابه لا طهر الله خالدا
بنى بيعة فيها الصليب لامه * ويهدم من بغض الصلاة المساجدا[6]

والحق ان خالداً لم يهدم المنائر الا لمصلحة ارتآها ...

---

(١) اوائل السيوطي . (٢) خطط المقريزي ج ٤ ص ٤٤ واوائل السيوطي (٣) وصفها ياقوت في معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٢ . (٤) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٧٣ . (٥) ج ٢ ص ٨٩ طبعة التقدم بمصر (٦) لم يهدم خالد المساجد وانما هدم المنائر .

والمحراب مقام الامام من المسجد . قال ابن الانباري : « سمي لانفراد الامام فيه و بعده من القوم ومنه يقال فلان حرب لفلان اذا كان بينهما بعد وتباغض » . وفي المصباح : « ويقال محراب المصلى مأخوذ من المحاربة لأن المصلي يحارب الشيطان ويحارب نفسه باحضار قلبه » . ولعل التعليل الأول أولى بالاعتبار .

واول من اتخذ المحراب عمر بن عبد العزيز . قال الشريف السمهودي : « ان المسجد الشريف لم يكن له محراب في عهده صلى الله عليه وسلم ولا في عهد خلفائه بعده ، واول من اتخذه عمر بن عبد العزيز في عمارة الوليد[1] » . واذا قيل محراب النبي فالمراد به مكان مصلاه .

واسند يحيى عن عبد المهيمن بن عباس عن أبيه قال : « مات عثمان وليس في المسجد شرفات ولا محراب فأول من أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبد العزيز » .

وعن القاسم وسالم انهما نظرا الى شرفات المسجد فقالا انها من زينة المسجد .

قال السمهودي : « واسند ايضاً من طريق ابن زبالة ورأيته فيه ان عمر بن عبد العزيز هو الذي عمل الرصاص على طنف المسجد والميازيب التي من الرصاص فلم يبق من الميازيب التي عمل عمر بن عبد العزيز غير ميزابين أحدهما في موضع الجنائز والآخر على الباب الذي يدخل منه أهل السوق الذي يقال له باب عاتكة ، ولم يكن للمسجد شرفات حتى عملها عبد الواحد بن عبد الله النصري وهو وال على المدينة سنة أربع ومائة » .

---

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٤

قال : فهذا يقتضي ان عمر بن عبد العزيز لم يحدث الشرفات فى زيادة الوليد بل ولا فى زمن خلافته بعده ، لأن وفاته كانت فى رجب سنة احدى ومائة [1] .

— د —

والمقصورة « الدار الواسعة المحصنة أو هي أصغر من الدار كالقصارة بالضم ولا يدخلها الا صاحبها [2] » وتجمع على مقاصير ومقاصر وانشدوا :

(ومن دون ليلى * مصمتات المقاصر [3])

ذكر عمر بن أبي شبة فى تاريخ المدينة : « ان اول من عمل مقصورة فى المسجد بلبن عثمان بن عفان وكانت فيها كوى تنظر الناس منها الى الامام ، وان عمر بن عبد العزيز عملها بالساج [4] » . وقال ابن زبالة : قال مالك بن أنس لما استخلف عثمان بعد مقتل عمر بن الخطاب عمل عثمان مقصورة من ابن فقام يصلي فيها للناس خوفاً من الذي اصاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت صغيرة . وروى يحيي هذا كله فى زيادة عثمان (رض) ثم روى فى زيادة الوليد عن عبد الحكيم بن عبد الله بن حنطب قال : أول من أحدث المقصورة فى المسجد مروان بن الحكم بناها بالحجارة المنقوشة وجعل لها كوى وكان بعث ساعياً الى تهامة فظلم رجلاً يقال له دب فجاء دب الى مروان فقام حيث يريد ان يقوم مروان حتى اراد ان يكبر ضربه بسكين ، فلم يصنع شيئاً ، فأخذه مروان فقال : ما حملك على ماصنعت ؟ قال : بعثت عاملاً فأخذ ذودي بمرة وتركني وعيالي لانجد شيئاً فقلت أذهب الى

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٧٢ . (٢) القاموس . (٣) تاج العروس .
(٤) خطط المقريزي ج ٤ ص ٧ .

الذي بعثك فاقتله ، فهو أصل هذا فجاء ما ترى ! فحبسه مروان حيناً في السجن ثم أمر به فاغتيل سراً ، فكانت المقصورة .

وفي شرح مسلم للنووي : « ان أول من اتخذ المقصورة في المسجد معاوية رضي الله عنه حين ضربه الخارجي » [1] .

قال العلامة القاسمي : « ... وكان في الجامع الأموي بدمشق مقصورة كبرى حول منبره ومحرابه الى ركني القبة ازيلت في حدود سنة ١٢٨٠ هـ بأمر والي دمشق وقتئذ ، وكان احداث هذه المقصورة بأمر معاوية ثم زاد فيها سنة ٤٣ لما وثب عليه البرك [2] لقتله . وفي سنة ٤٣ أيضاً أحدث مروان في المسجد النبوي مقصورة وهو وال عليها [3] »

٥ — كثرة المساجد في المحلة الواحدة وتعدد الجمع

احدثت في الايام الاخيرة ببغداد مساجد كثيرة لايعلم العلة في احداثها الا عالم السرائر والراسخون في العلم . فالداخل اليها من الباب الغربي في الرصافة أول مايقع نظره عليه من اليمين مسجد يدعى جامع الازبك ثم لايمشي الا قليلاً حتي يرى عن شماله تكية ثم مسجداً ضخماً ثم آخر صغيراً ثم آخر عظيماً ، فاذا أخذ يمنة ماراً من أمام القلعة قاصداً دار الحكومة رأى أمام دائرة البريد ثلاثة مساجد بعضها الى جنب بعض ثم لايكاد يمشي خطوات حتى يقع نظره على مسجد عظيم أمام السراي القديم وهلم جرا ، وفي اكثر هذه المساجد تقام الجمع غير انك لا تكاد تجد فيها من المصلين الا افراداً هنا وهناك يمثلون بتجزئتهم انفكاك الامة وتخاذلها في هذا العصر وواأسفاه ، وكان الواجب

---

(١) وفاء الوفاج ١ ص ٣٦٢ و ٣٦٣ . (٢) قال الزبيدي : البرك بن عبدالله هو الذي ضرب معاوية ففلق اليته ليلة مقتل علي رضي الله عنه . (٣) اصلاح المساجد ص ١٩٢

على اولي الامر ان يراعوا حكمة التشريع ولا يغفلوا عن مقاصد الاسلام من وجوب اقامة الجمعة في محل واحد فيلغوا الجمع من المساجد ويعينوا مكاناً معيناً يجمع المصلين فيمثلون بذلك القوة ووحدة الكلمة .

قال ابن المنذر وغيره « لم يختلف الناس ان الجمعة لم تكن تصلى في عهد النبي (ص) وفي عهد الخلفاء الراشدين الا في مسجد النبي قال وفي تعطيل الناس مساجدهم يوم الجمعة واجتماعهم في مسجد واحد أبين البيان بأن الجمعة خلاف سائر الصلوات وانها لاتصلى الا في مكان واحد » .

وذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد « ان اول جمعة احدثت في الاسلام في بلد مع قيام الجمعة القديمة في أيام المعتضد في دار الخلافة من غير بناء مسجد لاقامة الجمعة . قال : وسبب ذلك خشية الخلفاء على انفسهم في المسجد العام وذلك سنة ٢٨٠ ﻫ ثم بني في أيام المكتفي مسجد فجمعوا فيه » .

وقال السبكي : « ان دمشق من فتوح عمر الى اليوم وهو شهر رمضان سنة ٧٥٦ لم يكن في داخل سورها الا جمعة واحدة » .

وبعد فقد عرف شيوخنا أقوال العلماء وعلموا الغاية من اقامة الجمعة في محل واحد . فهل يتفقون معنا ويطلبون الى اولي الأمر الغاء تعدد الجمع فيقومون بواجب متحتم عليهم ويزيلون هذه المفسدة ، أم يأبون الا ان يتقاضوا دراهم على العبادة يملأون بها بطونهم ؟

ورب معترض يقول انك فيما تدعو اليه انما تكلف الناس ما لاطاقة لهم به وتضيق عليهم ماوسعته الشريعة السمحة لان الامصار في الصدر الاول ولاسيما مدينة النبي (ص) لم تكن في السعة وفي عديد السكان كما هي اليوم ؟

واقول : ان مسجد النبي (ص) كان على نسبة المجمعين فلما كثر عديدهم أيام الخليفة الثاني وضاق بهم وسعه ، ثم لما ازدادوا في عهد الخليفة

الثالث وسعه ايضاًولم يبن غيره . ولا تزال الجمعة فى بلاد الحجاز تقام فى محل واحد من كل بلد . على انني اقول ان سماحة الاسلام لاتأبى تعددها على نسبة الحاجة بحيث يبقى معها هيكل التجميع يمثل القوة و الاتحاد أعظم تمثيل ولكنني لا ارى بغداد بجانبيها تشتد بها الحاجة اليوم الى اكثر من بضعة اماكن تقام فيها الجمعة وان هذا من ذلك الافراط الذى خرجت به الجمعة عن موضوعها ، ولم يبق لها معه أقل خطر[1] ؟

٦ — تاريخ تأسيس المدارس فى الاسلام

كان العلم فى الصدر الاول يبث بكل مكان من مسجد او منزل ، او سفر او حضر ، حتى في الاسواق[2] . ولم يخصص له مكان بعينه ينتابه الناس ، والمدارس انما حدثت بعد الاربعمائة من سني الهجرة .

قال المقريزي فى الخطط « واول من حفظ عنه انه بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور[3] فبنيت بها المدرسة البيهقية ، وبنى بها ايضاً الامير نصر ابن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها أخوه السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة ، وبني بها ايضاً المدرسة السعيدية وبني بها ايضاً مدرسة رابعة[4] »

وذكر القاضي ابن خلكان في وفيات الاعيان: ان اول من انشأ المدارس

---

(١) دعت الحاجة بخرجت عن الغرض الذي كتبت له هـــذه المقالة بعض الخروج ، وصرخت هذه الصرخة عسى ان تبلغ الاسماع . . . !

(٢) كتاب الاعتصام للشاطبي ج ١ ص ٢٧٢ . (٣) فتحها المسلمون في ايام عثمان (رض) بقيادة عبدالله بن عامر بن كريز سنة ٣١ هـ صلحاً وبنى بها جامعاً. وقيل انها فتحت في ايام عمر (رض) على يد الاحنف بن قيس وانما انتقضت في ايام عثمان فأرسل اليها عبد الله بن عامر ففتحها ثانية ، ونيسابور من اشهر حواضر الاسلام فى التاريخ ونبغ منها من ائمة العلم من لا يحصى . واخبارها في معجم البلدان

(٤) الخطط ج ٤ ص ١٩٢ .

فاقتدى الناس به هو أبو علي الحسن بن علي الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي[١] وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي[٢] وانه شرع في عمارة مدرسته « المدرسة النظامية » ببغداد في ذي الحجة من سنة ٤٥٧ ﻫ وفتحت يوم السبت عاشر ذي القعدة من سنة ٥٩ ، وكان أمر أن يكون المدرس بها أبا اسحاق الشيرازي[٣] وقرروا معه الحضور في هذا اليوم للتدريس ، فاجتمع الناس ولم يحضر ، وطلب فلم يوجد ، فنفذ الى أبي نصر عبد السيد المعروف بابن الصباغ[٤] الشامي (وكان فقيه العراقيين في وقته يضاهي أبا اسحاق وتقدم عليه في معرفة المذهب) فأحضر ورتب بها مدرساً ، وظهر أبو اسحاق في مسجده ففتر أصحابه عن درسه وراسلوه إن لم يدرس بها مضوا الى ابن الصباغ وتركوه ، فأجاب الى ذلك ، وعزل ابن الصباغ بعد ان درس عشرين يوما[٥]

وقد اقتدى الناس كما قدمنا بنظام الملك من حينئذ في بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر وفي بلاد الجزيرة وديار بكر . وأما مصر فأول ماعرف اقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس في خلافة العزيز بالله نزار بن المعز ووزارة يعقوب بن كلس فعمل ذلك بالجامع الأزهر ، ثم عمل في دار الوزير يعقوب بن كلس مجلس يحضره الفقهاء فكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم ، وعمل ايضاً مجلس بجامع عمرو بن العاص من مدينة فسطاط مصر لقرآءة كتاب الوزير ، ثم بنى الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز دار العلم بالقاهرة . فلما انقرضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي أبطل مذاهب الشيعة من ديار مصر وأقام بها مذهب الامام الشافعي

---

(١) ترجمته في وفيات الاعيان ج ١ ص ١٤٣ . (٢) وفيات الاعيان ج ١ ص ١٤٤ . (٣) ترجمته في الوفيات ج ١ ص ٤ . (٤) ترجمته في الوفيات ج ١ ص ٣٠٣ . (٥) لوفيات ج ١ ص ٤ و ٥ و ٣٠٤ .

ومذهب الامام مالك ، واقتدى بالملك العادل محمود بن زنكي ، فانه بنى بدمشق وحلب واعمالها عدة مدارس للشافعية والحنفية ؛ وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر . ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين فى بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من اعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرة أولاده وأمراؤه ، ثم حـــذا حذوهم ملوك التتر وامراؤهم واتباعهم[1] ، وقد عني المقريزي بتدوين تاريخ المدارس وأخبارها بمصر فى كتابه الخطط ؛ وليت بعض المتفرغين لهـذه الشؤون يعنون بتدوين تاريخ للمدارس التي انشئت في بلاد الاسلام منذ يوم تأسيسها الى يومنا هذا .

٧ — التكايا والزوايا

التكايا والزوايا أو الخوانق والربط : انشئت فى حدود الاربعمائة من سني الهجرة للصوفية يقيمون بها أورادهم واذكارهم وكل ما اصطلحوا عليه من الاوضاع والرسوم ؛ ويقتلون فيها أوقاتهم لايبرحونها للكسب والسعي فى الارض وانما يكتفون بما يتصدق الناس به عليهم .

ويزعم بعض الفقهاء والمؤلفين كالمقريزي أن للربط والزوايا أصلا فى الشريعة وهو أن رسول الله (ص) اتخذ لفقراء الصحابة الذين لايأوون الى اهل ولا مال مكاناً من مسجده كانوا يقيمون به عرفوا بأهل الصفة .

وهذا الزعم من الغفلة عن العلم الصحيح بمكان ، وللامام أبي اسحاق الشاطبي بحث نفيس في نقضه بسطه في كتابه الاعتصام[2] ، فلا نشغل نفسنا بما فرغ منه غيرنا ...

---

(١) خطط المقريزي ج ٤ ص ١٩٢ و ١٩٣ .

(٢) ج ١ ص ٢٦٥ الى ٢٧٢ .

وقد قضت بعض الدول فى هذه الايام على التكايا والزوايا ، وليت سائر الحكومات الاسلامية تقتدي بها فتزيل البقية الباقية من بلادها ، وتبعث الناس على السعي والعمل وطلب المعاش ، فقد كفانا ما حل بنا من ورائها ووراء سائر البدع التي كادت تقضي على الاسلام لولا كتاب الله وسنة رسوله (ص) بين أظهرنا ، وكفى المسلمين بعد اليوم حياة الخنوع والذلة والمسكنة ، وآن لهم ان يستيقضوا ، وآن « لشيوخنا » ان ينتبهوا وينظروا حوالهم و يتلمسوا العلل التي سدكت بجسم المجتمع الاسلامي حتى نهكته وتركته على فراش الاحتضار ، أليس هذا قد اصبح فرضاً على كل مسلم عاقل لايقل فى هذا اليوم الأيوم عن سائر الفروض ؟ . . . . أليس هذا أحق بالعناية من الاشتغال بما لاطائل تحته حرصاً على موروثات الآباء البالية ؟

.:.

و بعد فأحسبني قد بلغت الغرض الذي قصدت اليه فى وضعي هذه المقدمة ، وكنت اتمنى لو يتسع لي الوقت فأشرح كثيراً من الامور المهمة التي تتعلق بالمساجد والمشاهد والزوايا والتكايا ، وانبه الى ما تجب ازالته او اصلاحه من شؤونها . فان الانتباه الى ذلك اصبح ضرورياً ، ومازلت اعتقد واصرح بأن العلة الكبرى فى انحطاط المسلمين هى انغماسهم فى البدع وعدم فهمهم معنى الدين والعبادة على الوجه الصحيح ، وهذه التكايا والزوايا والقبور .



١ – مساجد الجانب الشرقي وآثاره (*)

الجوامع – المساجد – المدارس – التكايا والزوايا – السقايات

أ – الجوامع

جامع الامام أبي حنيفة

لما كانت قصبة الامام أبي حنيفة رحمه الله بمنزلة الفناء لهذا الجانب رأينا ان نبدأ بوصف جامعها . هو جامع رحب الفناء ، واسع المصلى ، مشيد الاركان ، محكم القواعد ، على مصلاه قبة عظيمة قائمة على سوار من رخام ، وحوله رواقان في الجهة الشرقية والشمالية . ومشهد أبي حنيفة متصل بهذا المسجد له باب من الرواق الشرقي وباب من المصلى في جهة القبلة عن يسار المستقبل لما بين المحراب و بين هذا الباب خطوات الماشي نحو جهة الشرق . وأرض المشهد منخفضة عن أرض المصلى[1] والمرقد في وسطه ، وعليه صندوق خشب فيه شبابيك فضة ، وهو مسجى بستار نقش عليه بعض الآيات القرآنية و فوقه معلقات وقناديل ذهبية ، والقبة التي عليه مبنية بالحجر الكاشاني الملون . . . وقد كانت المحلة التي فيها هذا القبر احدى محلة بغداد في العصر العباسي وكانت مسورة بسور محكم وكان فيها كثير من الحمامات والمساجد والقصور ، وكانت مقبرتها تسمى مقبرة الخيزران ، وقد دفن فيها كثير من أكابر اهل العلم والصالحين كمحمد ابن اسحاق الطبري وغيره . ولما توفي الامام أبو حنيفة[2] سنة ١٥٠ هـ

(*) تنبيه : التعليقات كلها المهذب .

(١) هي اليوم موازية لارض المصلى . (٢) ترجمته في الوفيات ج ٢ ص ١٦٣ .

دفن في هذه المقبرة . وفي سنة ٤٥٩ هـ بنى شرف الملك أبو سعد [1] محمد ابن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان ملكشاه السلجوقي مشهداً وقبة على قبره ، وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية . ولما فرغ من عمارتها ركب اليها في جماعة من الاعيان ليشاهدوها ، فبينما هم هنالك اذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي [2] الشاعر فأنشده قوله :

ألم تر ان العلم كان مشتتاً ... فجمعه هذا المغيب في اللحد ؟
كذلك كانت هذه الارض ميتة ... فانشرها فعل العميد أبي سعد

فأجازه أبو سعد جائزة سنية [3] .

قال ابن الأثير في (الكامل) في حوادث سنة ٤٥٩ [4] هـ « وفي صفر منها دخل الى بغداد شرف الملك أبو سعد المستوفي ، وبنى على مشهد أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه مدرسة لاصحابه ، وكتب الشريف أبو جعفر ابن البياضي على القبة التي أحدثها أبو سعد [5] البيتين السابقين » .

---

(١) قال ابن الأثير في تاريخه ج ١٠ ص ١٢١ : كان ابو سعد مستوفياً في ديوان السلطان ملكشاه فبذل مائة الف دينار حتى ترك الاستيفاء ، وبنى مشهداً على قبر أبي حنيفة رحمة الله عليه . ومدرسة بباب الطاق ومدرسة بمرو جميعاً للحنفيين .

(٢) ترجمته في الوفيات ج ٢ ص ٩٢ . (٣) الوفيات ج ٢ ص ١٦٦ .

(٤) ج ١٠ ص ٢٠ ط بولاق . (٥) تنبيه : بناء المشاهد ورفع القباب وتزويق القبور وايقاد السرج عليها كل ذلك منهي عنه في الشريعة اشد النهي باجماع المحققين من فقهاء السادة الحنفية وغيرهم ولم يكن شيء من ذلك في الصدر الاول قط وقد ضاعت قبور اكثر الصحابة والتابعين ولم يحفلوا بها كما احتفل العامة في الآخرين بقبور بعض الصالحين لأغراض لا يعلمها الا الله والراسخون في العلم . وليت المقام يسع شرحها . ومن أراد الوقوف على هذا المبحث بدلائله التفصيلية فليرجع الى مؤلفات الامامين المجددين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والى كتب الحديث والفقه . وتعجبني مقالة للعلامة رفيق العظم في كتابه (أشهر مشاهير الاسلام) بعنوان

وأبو سعد هذا كان كثير الخيرات وانقطع آخر عمره عن الخدمة ولزم بيته وكانوا يراجعونه في الامور . وتوفي في المحرم سنة ٤٦٤ ه باصبهان

وبعد وفاته اتخذت تلك المدرسة مسجداً تقام فيه الجمعة والاعياد وسائر الجماعات .

وبعد هذا العصر لم يزل من تولى هذا القطر من الملوك والامراء يتعهدون هذا المسجد بالعمارة والجرايات ولاسيما سلاطين آل عثمان . وفي السنة السابعة والاربعين الألف جاء السلطان مراد الرابع الى بغداد لطرد الفرس المتغلبين يومئذ عليها ، فنصره الله تعالى عليهم وردهم على اعقابهم فانقلبوا صاغرين وولوا خاسرين ؛ فجدد حينئذ مباني هذا المسجد والمشهد — وكان الفرس قد أعملوا فيهما معاول التخريب ! — وأصلح ما كان من الخلل . وشيد أبنية غير ذلك على أحسن وضع ، واذن باقامة الجمعة والاعياد وسائر الصلوات فيه ، وصلى تبركاً عدة أوقات وقرأ مع من حضر ختمات اهدى ثوابها الى الامام ، وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً . ثم وقف[1] على المسجد أوقافاً طائلة ، ووظف المشاهرات الوافرة للائمة والمدرسين ، وأجرى الجرايات على الطلبة والمجاورين والخدام والفراشين والمؤذنين والقائمين بشؤون المسجد . وما زال الامر على ذلك . وفي سنة ١٢٠٧ ه اختل من المسجد بعض المباني فتداركه والي بغداد يومئذ سليمان باشا ؛ وزوّق المئذنة التي هي قائمة الى اليوم وحلى رأسها بالذهب .

« كلمة في القبور » ج ٣ ص ٥٢ فراجعها . ولله در شاعر الاسلام احمد شوقي المصري حيث يقول :

لا يعجبنك ما ترى من قبة ... ضربوا على موتاهم وطراف

هجموا على الحق المبين بباطل ... وعلى سبيل القصد بالاسراف

(١) وقف الثلاثي أفصح من أوقف الرباعي .

وفي سنة ١٢٥٥ هـ أمر السلطان عبدالمجيد باصلاح مايلزم اصلاحه فيه وتزيين المشهد والمرقد . وارسل قطعة من الستر النبوي ليسجى بها القبر. فلما وصلت بغداد استقبلت استقبالاً فخماً . وانشدت في ذلك قصائد عدة منها قصيدة لعبد الباقي العمري تجدها في ديوانه (ص٢١٣) ومطلعها :

يا من علا في الاجتهاد مناره * وبدر مذهبه غلا مقداره

وفي سنة ١٢٨٨ هـ تداعت ارجاؤه : فأمرت والدة السلطان عبدالعزيز بتجديده وتوسيعه فهدم عند ذلك ما كان من الابنية من قبل الا القبة والمئذنة ، وبني على احسن وضع والطفه واتقنه ، وعقدت قبة مصلاه على عمد من الرخام الأبيض ، واحدث في جهتين من المصلى رواق واسع معقود على سوار من الرخام كما وسع فناء المسجد توسعة شابهت فضاء الصحراء [1] .

وانشئت مدرسة [2] عن يمين المصلى ذات طبقتين رتب لها مدرسان يدرسان العلوم العقلية والنقلية .

وبنيت حجر كثيرة [3] متصلة بسور المسجد اعدت للطلبة وللفقراء

---

(١) تم هذا البناء سنة ١٢٩٣ هـ مع جلوس السلطان عبد الحميد الثاني ، وقد كتبت في جبهة جدار الرواقين من جهة الشمال الى الشرق سورة الفتح ، وذيلت بهذه الجملة « تجدد انشائها (كذا) في زمن خلاوة امير المؤمنين وحامي الدين المبين كثير الخيرات والمبرات السلطان بن السلطان والخاقان بن الخاقان السلطان عبدالحميد الثاني أدامه الله تعالى مدى الاوان وكان ذلك في الالف وثلثمائة واحدى وعشرون (كذا) من الهجرة النبوية » . وهذا وهم ان تجديد البناء كان في عهد عبدالحميد ، وانما هو تاريخ تجديد هذه الكتابة كما اكد ذلك كثيرون من اهل الاعظمية ، ويؤيده ماسيذكره الاستاذ المؤلف رحمه الله قريباً .

(٢) جعلتها وزارة الاوقاف اليوم مدرسة ابتدائية للصغار الناشئين .

(٣) لعله يعني بها غرف الجهة الجنوبية التي انشئ فوقها في عهد جمال بك سنة ١٣٤٢ هـ طابق علوي لتكون كلية تدرس فيها العلوم الاسلامية والفنون الحديثة.

المجاورين ، واجريت لهم جرايات ومبلغ وافر لاطعام الطعام .

ولما تمت العمارة أنشد السيد عبد الغفار الأخرس أبياتاً مؤرخاً ومنها :

لله والدة المليك وما بنت * من جامع رحب الفناء مقدم
اذ غيرته وقدرته بحكمة * وكذا يراد من البناء المحكم
اخذت بتوسعة له واعانها * نظر «الرديف» وخدمة المستخدم
قد عمرته وشيدته وجددت * تاريخ « مسجد للامام الاعظم »؟

ورسمت بالحجر الكاشاني على صدر الباب الشمالي ابيات من نظم الشيخ طه الشواف وهي قوله :

وكان الفضل في ذلك لجماعة من مستنيري الاعظمية نهضوا فانشأوا في ٢٠ شعبان ١٣٢٨ هـ مجلة اسمها (تنوير الافكار) وطالبوا الحكومة بالاصلاح الموافق لروح العصر وباحياء مدرسة أبي حنيفة . فأيدهم الوالي ناظم باشا ، ثم كتبوا كتاباً عن لسان أبي حنيفة (نشر في ج ١ ص ٢٤٣ من تنوير الافكار) وجهوه الى مندوبي الدولة ، ولاسيما مندوبي العراق ، فنهضوا وفي مقدمتهم مندوبا العراق العالمان الجليلان أستاذنا السيد علي علاء الدين الالوسي ، والسيد مصطفى الواعظ ، ورفعا الكتاب الى السلطان محمد رشاد وقرآه له فبكى وصدرت ارادته بتخصيص مبلغ كاف لهذه المدرسة وأبلغ عدد الطلاب الى المائة ، فبني الطابق العلوي في الجهة الجنوبية وفتحت ابواب المدرسة للطلاب حتى زوال دولة بني عثمان من العراق . فاعيدت بعد ذلك وجعل فيها قسمان ليلي ونهاري ورتب للطالب الليلي « اطعام الطعام » وراتب يختلف باختلاف الصفوف من خمس ربيات الى ست عشرة ربية ، وللطالب النهاري راتب من ست عشرة ربية الى ست وثلاثين ، وقد نقص ذلك في هذه الايام لضيق الميزانية ؛ وسعت وزارة الاوقاف لجعلها بمنزلة مدارس المعارف في الاعتبار لقلة اقبال الناس على دراسة العلوم الاسلامية ، فاعترفت وزارة المعارف بها في هذا العام واعتبرتها بمنزلة الثانويات الرسمية التي تدرس فيها العلوم التي يسمونها « العصرية » غير انها اقترحت ان تتوفر فيها العناية بدروس اللغة العربية والدين لحاجة مدارس المعارف الابتدائية الى من يحسن تدريس اللغة والدين فيها .

ذا مسجد قد اشرقت * انوار بهجته اللطيفه
بجوار مرقد من تسنـ * ـم غرفة الشرف المنيفه
علم الهدى النعمان من * كان التقى أبداً حليفه
لو رام تالد فضلة الـ * ـعلماء طراً او طريفه
وتأنقوا فى الجد واجـ * ـتهدوا لما بلغوا نصيفه
قد شيدت بنيـانه * لله والدة الخليفه
سلطان أهل الأرض حا * مي حوزة الدين الرصيفه
ملك يبيت عـدوه * وجلاً ويصبح منه خيفه
غمر الرعيـة كلها * بنوال رحمته الشريفه
لطفاً وأمر بالعرا * ق على رعيته « رديفه»
لما رأى أعنـاقه * في نصحه ورأى وجيفه
ورأى مخايل همـة * ليست بوانيـة ضعيفه
فشفى العراق بعـدله * وبيمن وطأته الخفيفه ؟
فبهمة منـه بنت * تلك المطهرة العفيفه
ترجو رضا ملك الملو * ك غداً الذي نشر الصحيفه
ذا المسجد الزاكي ومذ * أبصرت صنعته الظريفه
أرختـه « قد شيدت * أركانه لأبي حنيفـه »

وهذه العمارة على حالها اليوم بيد انها احتاجت الى بعض الاصلاحات والترميم فاجريت من قبل ادارة الاوقاف المحلية [1] .

---

(١) هذا يؤيد ماذكرناه فى (ص٢٣) من أن التاريخ المكتوب بالحجر الكاشاني على جهة جدار الرواقين انما هو تاريخ تجديده لا تاريخ عمارة والدة السلطان

وحول الجامع اليوم قصبة [1] صغيرة تشتمل على نحو خمسمائة بيت ، وفيها بعض البيوت العامرة والقصور الجميلة على ساحل دجلة ، وفيها كثير من الحدائق والبساتين هي منتزه أهل بغداد أيام الربيع ، وفيها سوق وحمام ومساجد اخرى وعدة مراقد للصالحين . وهي بمسافة فرسخ عن جانب الرصافة في جهة الغرب .

جامع الاحسائي

أو

تكية الخالدية

هو واقع في قلب الرصافة ، ومطل على دجلة . يمر الداخل فيه في طريق خاص فيستقبله الجامع ، وفيه مصلى صغير . وأمامه صفة ، وفيه حجر وطابق علوي أيضاً مشتمل على غرف بعضها مطل على النهر وبعضها في الجهة الشمالية . وكان هذا الجامع مجمع الزهاد والمتقشفين ، ولما أقام فيه الشيخ خالد النقشبندي بعد عودته من البلاد الهندية سنة ١٢٣١ هـ عمره له والي بغداد يومئذ وأصلحه ، فسمي (بالتكية الخالدية) [2] نسبة الى الشيخ خالد

---

(١) وهي اليوم ناحية تدعى (الاعظمية) نسبة الى ابي حنيفة الملقب (بالامام الاعظم) رحمه الله واهاليها كلهم مسلمون على مذهبه وجلهم من عشيرة العبيد (بالتصغير) جاء بهم السلطان مراد في القرن الحادي عشر الهجري ليكونوا حماة لقبر ابي حنيفة من تعدي الفرس ومن يلف لفهم اذ لم يكن يومئذ هناك غير المسجد والمدرسة فابتنوا المنازل وتناسلوا وكثروا ولا تزال أعقابهم في (الأعظمية) ...

ويوتها اليوم زهاء الالف وهي آخذة في العمران لطروء المصطافين عليها من المسلمين والنصارى واليهود وتقدم بعض اهلها في العلم والمدنية .

(٢) أنظر كيف تتلاعب رجال السياسة وولاة الحكم فتجعل المساجد ملاجئ للمتصوفة وتكايا للكسالى والخاملين !

المذكور ، ينطق بذلك ما كتب على باب المصلى من النظم ومنه :

لله مأوى السالكين معاهد * للناسكين معاقل ومعاقد
كملت محاسنها فقلت مؤرخاً * (للمنح زاوية بهاها خالد)

وبقي مقيماً فيه الى أن سافر الى دمشق ثم صار محل اقامة خلفائه ومريديه (كما يقولون) الى يومنا هذا .

وفي هذا الجامع خطيب وامام ومؤذن وخادم ، وتؤدى فيه الجمع والاعياد والصلوات المكتوبة . وفيه خزانة كتب وقفها ابراهيم فصيح الحيدري .

وفيه عدة قبور منها قبر الشيخ محمد بن أحمد الاحسائي الحنفي صاحب التآليف الكثيرة منها حاشية على شرح الألفية للسيوطي في النحو ، وكتاب التعريفات ، وشرح تهذيب المنطق . وكانت وفاته سنة ١٠٨٣ ﻫ .

وقد رمم الجامع محمد نجيب باشا أحد ولاة بغداد سنة ١٢٦٣ ﻫ وأرخ ذلك عبدالباقي العمري بأبيات وشطر التأريخ « أجد جامع مولانا [1] ببغداد » وكذا أرخه السيد شهاب الموصلي المتوفي سنة ١٣٢٠ ﻫ بأبيات منها :

ذا جامع جدده ذو الرأفه * الحاكم المنصف حاوي الحكمه
(محمد) المولى الوزير ذو العلا * يدعى (نجيباً) بين أهل الدوله

الى أن يقول :

من بعد ضيق كان في تاريخه * وسعت أبقى جامع للامه !

جامع الازبك

هو عن يمين الداخل بغداد من الباب الغربي الشهير بباب المعظم ، متصل بهذا الباب [2] وفي جواره زاوية لفقراء الأزبك ، وقد خصص لهم

---

(١) يريد بمولاه « الشيخ خالد النقشبندي » .

(٢) أشرف قبل بضع سنين على الانهدام فهدم ولم يبق منه عين ولا اثر وكان يعد من آثار بغداد القديمة .

مايسد لهم حاجتهم من ادارة الأوقاف المحلية ، وعندها سقاية . وقد أشرف هذا الجامع على الانهدام في عهد داود باشا فتداركه وجدد بناءه ووسع فناءه وشاد فيه مئذنة صغيرة على الشارع . ولما أتم عمارته أنشد الشاعر الشيخ صالح التميمي مؤرخاً :

وذي قوة لله أسدى صنائعا مطاعاً أتى اذ كان لله طائعا
حمى بيضة الاسلام من كل ناكث على ثقة في روضة البغي راتعا
وشيد بيتاً لاتزال ترى به فتىً ساجداً من خشية الله راكعا
هو البيت لو أن المحصب أومنى بجنبيه لم تقطع الى البيت شاسعا
اذا حل جبار قرارة صحنه غدا قلبه من خشية الله خاشعا
اذا جئت للزوراء قف عند بابها ترى جامعاً من غفلة الجهل مانعا
لعمري بداود استقامت قواعد من الدين لم يبصر لها الشرك دافعا
وحيث الهدى أقصى الفساد مؤرخاً « مليك لذكر الله جدد جامعا »

وهذا المسجد تقام فيه الجمع والاعياد وسائر الصلوات المكتوبة ، وله خطيب ومؤذن وخدام ، وهو مفروش بأحسن الفرش[1] .

جامع الاصفية

هو من المساجد القديمة في الرصافة مطل على دجلة وجسر بغداد الحاضر غير أن كر الليالي ومر العشي قد ضعضعا منه بنيانه وزلزلا أركانه حتى صار مجمع الكناسة والاقذار . ثم اتخذه المولوية « تكية » لهم ومغنى لتواجدهم وغنائهم وربما وضع الجند فيه خيامهم وأثقالهم حتى تداركته همة الوزير داود[2] باشا ايام ولايته على بغداد فرفع قواعده وبنى فيه مصلى واسعاً عليه قبتان وبنى

---

(١) وقد رممته وزارة الاوقاف في أواخر العام الماضي واصلحته احسن اصلاح .
(٢) ستأتي ترجمته عند ذكر جامع الحيدرخانة .

عند جانبيهما مئذنتين[٢] بالحجر الملون الكاشاني ، وبنى في جهاته الثلاث طابقين طابقين ، وجعل فيه مدرسين ، وأقام فيه خطيباً وإماماً وجماً من المؤذنين والخدم وقد أرخ تمام عمارته الشاعر الشيخ صالح التميمي بابيات رسمت بالحجر الكاشاني على الباب الذى فى جهة الشرق من المسجد وهي هذه على ما نقلتها من محلها :

ذا جامع كان قدماً لاشبيه له * فى حسن بنيانه والدهر بعثره
وكم وزير أتى الزوراء ثم مضى * ولا لغير خيام الجند صيره
حتى أتى ذو العلى داود آصفنا * من حاز بالسبعة الافلاك مفخره
فشاد أركانه من بعد ماانهدمت * للعابدين ووشاه وصوره
ومذ أتم غدا الداعي يؤرخه * ذا جامع بالندا داود عمره

وأرخه ايضاً بقوله :

وجامع جسر جرد الدهر جيشه * على ربعه كرهاً ودك دسامه
وغادره بين الجوامع ثاكلاً * ومفتقداً مأمومه وإمامه
وكم من وزير عالم بحقوقه * مكان أداء الفرض حط خيامه
الى أن تولى الامر داود رده * الى شرف قدماً أراش سهامه
جدارهدى مذ كاد ينقض أرخوا * تصدى له داود ثم أقامه

ونظم ابياتاً اخرى في تاريخ المئذنتين وكتبت على صدر محراب الرواق وهي هذه :

---

(١) هب فى اوائل الحرب العامة اعصار شديد معه مطر ينصب كالسيل الجارف كاد يحمل بغداد عاليها سافلها ، وذهبت به شرفات البيوت ورأس هاتين المئذنتين وبقيتا كذلك حتى نشطت وزارة الاوقاف بعد الاحتلال فعمرت اكثر الجوامع وشادت فوق بقايا احدى مئذنتي جامع الآصفية مئذنة شامخة ذات حوضين وهدمت بقايا الثانية ، ثم جددت رواقه والجهة الغربية التى أدخل بعضها بعد الاحتلال في شارع الجسر .

جامع داود قد عمره * فغدت تحكيه فردوس الجنان
واستقامت بالتقى اركانه * بعدما بعثره طول الزمان
سمكه أعلى ومن همته * قد بدا فى طرفيه علمان
جعلوا تاريخه الخيرات مذ * شيد فيه أرخوا مئذنتان

ولم أر على الجدران من الكتابة سوى ماذكر . نعم كتبت على صدر المحراب الشتائي هذه الآية (ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا) ولما كملت عمارة هذا المسجد طلب جمع من أهل العلم وأكابر البلد الى الوزير فتح باب آخر يسلك بالمارين الى الجسر متصلا بهذا المسجد من الجهة الغربية، وما كان فى هذا الباب من القيل والقال سجل فى سجل الاوقاف السلطانية مع مافيه من فتاوى أهل العلم ، فاستقر رأيه على الفتح ، وبعد ان فتح الباب انشد التميمي مؤرخا وقد نقل عن المرسوم في صدر هذا الباب :

آثار داود آثار بها لبست * بغداد حسناً يروق العين واضحه
تشكو الرصافة قدماً ضيق مسلكها * ويكره الضيق غاديه ورائحه
فأمنحت بطريق لا زحام بـه * وباب جسر حيي بالنصر مانحه
يخاطب الفلك الاعلى كأن به * شوقاً الى المشتري يبغي يصافحه
أعيا أبا جعفر المنصور حين بنى * خط أبو يوسف المنصور رابحه !
داود من أيدت بالنصر دولته * وعن لسان الثنا سارت مدائحه
لازلت تسمع خيراً من مؤرخه * باب وداود رب الفتح فاتحه

وما زال الاصلاح جاريا عليه من قبل ادارة الاوقاف المحلية .

وداخل هذا الجامع قبر عن شمال الداخل فى الرواق فى سرب من الارض عقدت عليه قبة موازية لأرض المسجد فى غاية من الاتقان والرصانة . والصندوق على سطح القبة مسامت للقبر . وقد اشتهر بين الناس ان الدفين هو العالم الزاهد

ابو الحارث المحاسبي ، وكان بصري الاصل ثم أقام فى بغداد وتوفي سنة ثلاث واربعين ومائتين ؛ ومن الشيعة من يقول انه الكليني من أكابر علماء الامامية ورواة حديثهم وكلا القولين لم يصح ولا سيما الثاني فانه بعيد جداً على ان المحققين من الامامية لم يعترفوا بذلك . بل الذى يفهم من كلام بعض المؤرخين انه قبر أبي جعفر المستنصر بالله الخليفة العباسي باني المدرسة المستنصرية. و بناء القبر على هذا الوضع ينبئ انه مشهد لأحد الخلفاء اذ كان هذا مقبرة لبني العباس كما ذكر بعض المؤرخين . وكان هذا المسجد من مرافق المدرسة ومتمماتها فمن المحتمل ان يدفن فيه باني المدرسة المذكورة بل هو الظاهر المتعين . ومن البعيد ان يدفن فى مثل هذا الكليني أو ذلك الرجل الصالح الذى كان لايملك ديناراً ولا درهماً . وكان اهل العلم والورع فى ذلك العصر يتجنبون عن زخرفة القبور ومخالفة السنة النبوية فيها . ومن البعيد ان يصرف غيره على عمارة مرقده نحو عشرة آلاف دينار فلابد ان يكون ذلك لاحد الخلفاء .

جامع حسن باشا

هو من المعابد الشهيرة في الرصافة واقع أمام دار الحكومة ، وكان مسجداً صغيراً ، فلما اشرف على الخراب عمره ابو المعالي حسن باشا ايام ولايته على بغداد وزاد فيه وصرف مبلغاً وافراً على عمارته

وهو رصين البناء متين القواعد والاركان . فيه مصلى شتائي واسع جداً وعليه قباب رفيعة معقودة بالجص والآجر . وليس فيه زخرفة ولا نقوش ، وعن شرقي المصلى قامت مئذنة شامخة مبنية بالحجر الكاشاني الملون . وامام المصلى رواق واسع وفي فناء الجامع مصلى صيفي عن يمين الشتائي اي فى غربيه ، و فيه مدرسة رتب لها مدرس واحد ، ومحل للتوقيت ، وحجر يسكنها

خدام الجامع ، وله خمسة ابواب[1] يسلك منها المصلون وتقام فيه اليوم الجمع والاعياد وسائر الصلوات المكتوبة[2]

جامع الحمام المالح

هو من المساجد القديمة العهد في الرصافة ، واقع في محلة الحمام المالح قرب محلة الفضل ، ويسمى ايضاً جامع احمد باشا بوشناق لأنه جدد عمارته وأقام أبنيته بعد أن أشرفت على الخراب . وفيه مصلى واسع ، وفناء رحب وحجر ، وفي جنب المصلى منارة ، وفيه مدرسة وظف لها مدرس يدرس فيها علوم اللغة العربية والدين الاسلامي ، وفيه امام وخطيب ، وواعظ في شهر رمضان ، ومؤذن وخدم . ولم نجد على جدرانه من الكتابات مايعرفنا بما جرى عليه .

جامع الحيدرخانة

هو من اتقن جوامع بغداد صنعة واحكاما . اختطه والي ايالة بغداد داود باشا . وكان قد اوعز باختطاط صعيد من مساحة بغداد للمسجد الجامع اذ كان ما اختط قديما على قدر اهلها حيث عدت من زمعات البلاد شحوط دار وشطون مزار ، فكان كما قصد من تقطيعه وتوسيعه واقامة الجدران على ترابيعه ، فصب بدر المال على الصناع ونصب لمشارفتهم احد الزعماء بحضرته يطوف عليهم مطالبا بصدق العمل ونقل اليه من الاقطار عمداً واساطين

---

(١) سدت واحدة منها اخيراً .

(٢) اجريت فيه اصلاحات كثيرة ، وبنيت عن يمين مصلاه الصيفي مدرسة ذات طابقين تسلك الى حديقة صغيرة ؛ ونقل « محل التوقيت » الى طابقها السفلي وجعلت المدرسة القديمة مدرسة ابتدائية للوقف يدرس فيها صغار المتعلمين . وآخر ما جرى عليه من الاصلاح والتحسين في العام الفائت بعناية صاحب المعالي الشيخ امين عالي آل باش اعيان وزير الاوقاف الحالي

وفرش ساحته بالمرمر منقولاً من كل مضرب سحيق على تقطيع التربيع ، وعقدت عند منتهى الابصار طاقات كما تقطع الدوائر على نقط المراكز.

وهو مربع البناء متناسب الزوايا والارجاء. فرشه وازاره من الرخام، وله ثلاثة ابواب عظيمة. وقد بنى فيه مدرسة تشتمل بيوتها من بساط الارض الى مناط السقوف على كتب كثيرة من تصانيف اعلام الامة بخطوط كفرائد سموط مصححة بشهادات التقييد وعلامات التخفيف والتشديد ينتابها علماء دار السلام. والجامع مشتمل على ساحة واسعة ، ومصلى شتائي مرتفع عن الارض نحو ذراعين وعليه قبة شامخة في السماء بديعة الشكل مبنية بالحجر الكاشاني الملون مكتنفة بقبتين أصغر منها على شكلها قائمة عن يمينه منارة تطاول الرواسي ؛ وعلى مصلى صيفي عن يمين المصلى الشتائي ، وعلى حجر يسكنها القائمون بشؤون المسجد من امام وخطيب ومؤذن وخادم وبعض طلاب العلم .

وكان الفراغ من عمارته في السنة الثانية والاربعين بعد المائتين والالف من الهجرة . علمناه من الكتابات المنقوشة على جدرانه من ذلك ما كتب فوق الباب الذي فى الجهة الغربية منه وهو هذه الابيات :

ذا من بيوت باذن الله قد رفعت   للذاكرين بتسبيح وتحميد
على تقى الله بالاخلاص أسسه   ذو العلم والحلم والانصاف والجود
داود من قد حكى فينا خلافته   نص الكتاب بلا شك وترديد
فقام فيها بأمر الله منتدباً   لها بأصوب إتقان وتسديد
وظل يستبق الخيرات محتسباً   قد كان عنها سواه ثاني الجيد
فكم بنى جامعاً للعاكفين وكم   للعلم شيد مغنى أي تشييد
لكي ينال بدنياه الثناء وفي   عقباه ياتى الرضا من خير معبود

فقــل لغني الصنيع أقصر يا مؤرخه ‌‌ كفى بذا جامعاً من صنع داود

١٢٤٢ هـ

وعلى الباب الجنوبي عن يمين المصلى :

اذا افتخر الباني بتشييد مابنى ‌‌ فداود أولى أن يكون له الفخر
بنى جامعاً كل المحاسن جامعاً ‌‌ مزاياه جلت أن يحيط بها الحصر
على الدهر يختى من قوبم بنائه ‌‌ اذا ما المباني ثل أركانها الدهر
فسيح مصلاه رحيب فنـاؤه ‌‌ منيف الذرا ينحط من دونه النسر
كأن دوي النحل في عرصـاته ‌‌ دوي المصلين الذين لهم ذكر
وخص بروحانية دون غـيره ‌‌ لذاك مهما جئته انشرح الصدر
فلا ضيم منشيه ولا فل حبـله ‌‌ ولا ناله ضـد ولا مسـه الضر
ولا زال من وافاه يدعو مؤرخاً ‌‌ لداود عن تشييد جامعه الأجر

١٢٤٢ هـ

وعلى صدر طاق باب الرواق الأوسط :

[بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . قد عمر هـذا الجامع الشريف والمعبد الساطع المنيف خاتمة الملوك والوزراء الذي عقمت بمثـله الامهات والآباء الفائز بالحكمتين العلمية والعملية الحائز للرياستين الدينية والدنيوية القهرمان الأعظم والخليفة المعظم كوكب فلك السعود أبو الفتوحات الوزير داود أعلى الله تعالى كعبه وأباد حسوده وأبقى لنا ظله وعدله انه على ذلك قدير] .

وعلى الباب الأوسط من أبواب المصلى :

[أنشأ وعمر هذا الجامع الشريف ، في أيام خليفة الرحمن السلطان محمود خان ابن السلطان عبد الحميد خان دام ملـكه، الوزير المعظم والدستور المكرم

كوكب فلك السعود أبو الفتوحات داود دام ظله واقباله سنة اثنتين وأربعين ومائتين والف من الهجرة] .

وعلى طاق المحراب :

[أقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا صدق الله العظيم] .

وعلى طاق المحراب الصيفي :

[بسم الله الرحمن الرحيم إن الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا] .

ولما جدد ذلك سنة احدى عشرة وثلاثمائة كتب عليه :

قرت عيون المؤمنين بقبلة * سطعت أهلة رشدنا بهداها
فلفضلها نادى الآله حبيبه * لنولينك قبلة ترضاها

وعلى الباب الجنوبي الشرقي :

قد كان داود بنى جامعاً * يذكر فيه اسم الآله المجيد
أسس بالتقوى وكم قد حوى * من شامخ سام وركن مشيد
لكنه من بعد ما قد حكى * فى سمط جيد الدهر عقداً فريد
أقوت لطول العهد أركانه * حتى لقد قارب من أن يبيد
فبينما وهو على حاله * يشكو ولا يلفي له من معيد
اذ عمه لطف مليك الورى * فكان من نعمته فى مزيد
سعى الى الله بتجديده * لا خاب مسعاه بيوم الوعيد
وقد عفت أرخت أركانه * أعادها الخاقان عبد الحميد

١٣١١ هـ

ترجمة باني جامع الحيدرخانة

هو عالم الوزراء وفاضل الامراء داود باشا والي بغداد . تولاها سنة

احدى وثلاثين بعد المائتين والالف ، وعمر مساجد عديدة ، وأسس مدارس كثيرة ، وجاء بالمدرسين من البلاد وأسكنهم ورتب لهم الكفاية وأجرى عليهم الجرايات والعطايا ولاسيما هذا الجامع الكبير الذي أنشأه وعدد فيه المدرسين والخطباء[1] والأئمة والخدم . وترفهت أحوال الرعية في أيامه . وهو أحد موالي سليمان باشا الصغير أحد ولاة بغداد تفرس فيه قابلية الرياسة والكمال فأشغله بتعليم القرآن وبتحصيل العلم الى ان فاق أقرانه بالعلم والعمل وأخذ الاذن من السيد صبغة الله الحيدرى الزيارتي وتخرج عليه بعدان قرأ مدة مديدة على أسعد افندى الحيدري . وبعد ان تولى وزارة بغداد نحو اربع عشرة سنة توجه الى اسلامبول . وفى السنة السابعة والاربعين والمائتين والالف طلبه السلطان محمود خان فشخص اليه ، وكان قد غضب عليه لوشاية بعض المنافقين ، فلما وصل ورآه أكرم نزله وأحسن اليه وولاه (بوسنه) فحكم فيها سنة . وخرج منها الى اسلامبول وبعد أيام ولاه على (أنقرة) . وفي سنة اثنتين وستين ولاه السلطان عبد المجيد خان مشيخة الحرم النبوي على ساكنه افضل الصلاة واكمل السلام فتوجه وحج فى تلك السنة ورجع الى المدينة المنورة وبقي فيها الى ان توفي ودفن فيها وقد أفرد ابن سند كتاباً فى ترجمته وأيامه .

جامع الخاتونه

هذا المسجد الجامع قرب محلة عباس افندى ، ويعد من محلة الحيدرخانة في أيامنا ، والمحلات ليس لها حدود معلومة ، بل انها من الامور الاعتبارية ففي كل عصر يصطلحون على أسماء يجعلون مسمياتها محلات .

وقد بنت هذا الجامع الأمرأة الصالحة منور خاتون زوج سليمان باشا ، وكان لها ولد اسمه صادق قتلته الموالي بعد قتل أبيه ، وكانت من أصحاب

---

(١) ليس فيه لعهدنا غير مدرس واحد وخطيب واماميين .

الخيرات والمبرات محبة للفقرآء والمساكين .

ولما تم بناؤه نظم بعض المتأدبين هذه الابيات المرسومة اليوم فى صدر بابه :

جامع للانوار لاح محرر * فى جبين الزورآء ، الله أكبر !
أسسته على التقى من حلال * فحكى المسجد الحرام المطهر
زوج فرد الزمان أعني (سليما * ن) أبا (الصادق) الوزير المظفر
هي أم الخيرات ذات المبرا * ت التي في ذرا المنابر تذكر
قلت إذ أكملته بالخير أرخ * جامع للأنوار شادت منوّر

١٢٦٧ هـ

وفى الجامع مصلى متوسط للشتاء والصيف يسع نحو مائة مصلٍ أو أكثر. وفيه منارة لطيفة مبنية بالكاشاني ، وحجر لطلاب العلم وخدم الجامع . وفيه مدرسة ومدرس يدرس العلوم العقلية والنقلية وهو الى اليوم معمور تقام فيه الجمع والصلوات المكتوبة .

جامع الخاصكي

هو جامع كبير قريب من جامع الأحسائي فى الجهة الشمالية منه (بين شارع النهر والشارع العام ولكنه الى الثاني أقرب) . فيه مصلى رحب وعليه قبة متينة ، وفى جنبها مئذنة رصينة. وساحته واسعة فى وسطها عدد من النخيل. وفيه مدرسة .

شاده محمد باشا الخاصكي والي إيالة بغداد من السنة الـ ١٠٦٧ الى السنة الـ ١٠٦٩ هـ ، وكانت مدة ولايته سنتين وخمسة عشر يوماً ، وكان من أهل البر والتقوى .

وقد خرب هذا الجامع مدة ، وفى السنة التاسعة بعد الثلثمائة والالف هـ

أعيدت عمارته كما كانت من قبل إدارة الاوقاف السلطانية [1] ، ورتب فيه

---

(١) وقد خربت هذه العمارة وأغلق الجامع وظل مهملاً الى ان تولى الوزير الموفق معالي الشيخ أمين عالي آل باشاعيان العباسي وزارة الاوقاف في العام الفائت، فانتبه اليه وعني بتجديده على اجمل وضع واحسن بناء . . . وقد زرته أمس (٧صفر) فرأيت مصلاه على وشك الفراغ منه ، مبيناً بالطابابق الاصفر ، ومعقوداً سقفه بعمد الحديد المسمى (بالشيلمان) ومرفوعاً على سوار من الرخام الابيض الجميل ، والهمة مبذولة في اتمامه

وكان في هذا الجامع محراب أثري من ابدع آثار الفن الاسلامي . وهو قطعة عظيمة من الرخام متقنة الصنع ، والمظنون أنه كان محراب الجامع الكبير الذي بناه المنصور ، وقد جاء وصفه في مؤلفات كثيرة منها المذكرة التي قدمها كثير من الباحثين الى (مجمع الفنون) ، ودونها « فيوله » في البـاب الحادي عشر من كتابه المطبوع في سنة ١٩٠٩ م . ومنها ما كتبه هرزفلد في جريدة الاسـلام الالمانية سنة ١٩١٠ م وما ذكره في كتابه آثار الفرات .

وقد حاول بعض المستشرقين على عهد الاتراك ابتياعه فلم يفلح. وفى عام ١٣٤٣ ﻫ انتزع من هــذا الجامع ، وأشيع بأن في النية وضعه في أحد متاحف لندن. فرفعت صوتي في استنكار ذلك بمقالة نشرتها جريدة (المفيد) البغدادية يوم ٢ ذي القعدة ١٣٤٣ ﻫ ٢٦ مايو ١٩٢٥ م فانتحلت وزارة الاوقاف لها عذر المحافظه عليه من اللصوص !

وبعـد نحو عام بلغ ذلك المستشرقين فاهتموا له وكتب احدهم الى الـكاتب الاصلاحي الـكبير الامير شكيب ارسلان يلفت نظره الى هذا الامر فردد صدى استنكارنا بمقالة نشرتها (الشورى) بمصر ، واهتم له كثيرون...

والمحراب اليوم محفوظ بالمتحف العراقي ببغداد وقد زرته فى مثل هذه الايام من العام الماضي ورأيته هناك ثم اخذت صورته وبعثت بها الى الاخ فى الله والمشرب الاستاذ العالم العامل السيد محب الدين الخطيب بمصر فنشرها في مجلته الزهراء م ٣ ص١٩٦ وليست لدي الآن فانشرها هنا . وانا لنرجو من معـالي الوزير العباسي أن يسعى لاعادته الى مكانه القديم من عمارة جامع الخاصكي الجديدة التي لم تبق للعذر الذي انتحله سالف سلفه محلا من الاعراب ! وهو فاعل ان شاء الله .

خطيب وإمام ومؤذن وخدم ، وفرش مصلاة بأحسن الفرش . وهو اليوم من المساجد التي تقام فيها الجمع والاعياد وسائر الصلوات المكتوبة . ولم أر على جدرانه من الكتابات الناطقة بما جرى عليه من العمارات .

جامع الخلفاء

كان هذا هو المسجد الجامع أيام الدولة العباسية ، بناه الامام محمد المهدي في أوائل [1] خلافته وذلك سنة ١٥٩ هـ في رصافة بغداد في الجانب الشرقي منها . وكان واسع الفضاء والمصلى جداً ، وكان مصلى خليفة المسلمين من بني العباس . ومصلاه يومئذ يسع جمعاً لايحصون بعمارة تروق الناظرين إحكاماً وصنعة ، وفيه مئذنة شامخة تناطح السحاب . فلما دارت دوائر البلى على مدينة السلام انهدت اركانه واندرست رسومه وآياته ولم يبق منه الا مئذنته التي بقيت تندب قومها وتبكيهم

---

(١) ذكر ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ان المهدي بنى في الرصافة جامعا اكبر من جامع المنصور وأحسن وان فراغه من بناء الرصافة والجامع بها كان سنة ١٥٩ هـ اي في السنة الثانية من خلافته ، وانه وجد تلك النواحي في عصره خربة وانه لم يبق منها يومئذ الا الجامع وبلصقه مقابر خلفاء بني العباس . قال « وعليها وقوف وفراشون ولا ذلك لخربت » . وبعد وفاة ياقوت بقليل انقرضت الدولة العباسية سنة ٦٥٦ ثم اختلفت ايدي المتغلبين على العراق الى ان استولى عليه آل عثمان فلم يعبأوا بما فيه من آثار العرب القديمة فاختل هذا الجامع وقسم الى دور واسواق على نحو ماذكر الاستاذ المؤلف . وذكر بعضهم انه ادرك من هذا المسجد الجامع ميلين شامخين في الهواء كانا على جانبي بابه وان سليمان باشا والي بغداد سنة ١١٩٣ هـ هدمهما وبنى بانقاضهما مسجداً صغيراً بقرب المنارة (وهو المسجد الموجود اليوم) وان الباب الذي عليه الميلان كان عند السوق التي يباع فيها اليوم الغنم وغيره .

وقد اعتنى البريطانيون بعد احتلال بغداد بالمنارة الباقية منه وجددوا كرسيها على الاساس الاول ولم يكملوها .

ثم صار هذ الجامع محلة كبيرة وسوقاً واسعة تسمى (سوق الغزل) ، وبقيت منه عرصة خالية فعمر فيها أبو سعيد سليمان باشا والي بغداد في سنة ١١٩٣ هـ مسجداً ابقاء لذكرى هذا المعبد الشهير ، وعين له مدرساً وإماما وجملة من الخدم

وكانت له غير ذلك آثار بديعة في بغداد ونواحيها فقد عمر سور جانب الرصافة وأصلحه ، وانشأ سور غربيها ؛ وكلا السورين اليوم لا عين له ولا أثر . وجدد عمارة دار الامارة . وانشأ مدرسته المعروفة بالمدرسة السليمانية ، ووضع فيها خزانة كتب مشحونة بالمخطوطات المعتبرة وعمر جامع القبلانية ، وجامع محمد الفضل ، وزوق منارة جامع أبي حنيفة . وأنشأ سوق السراجين والخان الذي فيه قرب دار الامارة . وعمر قنطرتي « دلي عباس » على نمط اختاره . وقنطرة على نهر نارين . وعمر « كوت العمارة » وسورها . وسور البصرة . وقرية الزبير من أعمال البصرة ، وسور الحلة . وسور ماردين . وأنشأ قرب الموصل قلعة حصينة ، وأحيا في طريق ماردين موضعاً معروفاً بجلاغة . وكثير من هذه الآثار خرب واندرس . وكانت وفاته سنة ١٢١٧ هـ .

جامع رأس القرية

اذا تجاوز المار جامع الاحساني ومشى نحو الجهة الشرقية خطوات قابله هذا المسجد الصغير . وقد أنشأه صاحب المبرات الحاج أمين الباجهجي ، وكان من أهل الصلاح محباً للخير ، وأنشأ فيه مدرسة لطيفة الوضع مطلة على الطريق بعقد ، ورتب له مدرساً واماما . وتقام فيه الصلوات المكتوبة ماعدا الجمع (١) ولم أر على جدرانه شيئاً من الكتابات ، وكان تاريخ عمارته سنة (٢) بعد المائتين والالف من الهجرة .

---

(١) واليوم تقام فيه ، والخطيب مدرس المدرسة .(٢) بياض في الاصل

جامع الشيخ سراج الدين

هو من مساجد بغداد القديمة واقع في محلة الصدرية قرب محلة الشيخ عبدالقادر الجيلي وهو واسع المصلى ، فسيح الساحة ، رصين البناء ، مشيد الارجاء . على مصلاه قبة عظيمة وحولها مئذنة شامخة وفيه خطيب وامام ومؤذن وخدام ، ومازال معموراً بعبادة الله : تقام فيه الجمع والاعياد والصلوات المكتوبة.

وقد جدد عمارته والي ولاية بغداد حسين باشا عام ١١٣١ هـ ، وزخرف قبر الشيخ سراج الدين المدفون فى هذا الجامع ، على ما نطق به التاريخ المنقوش فى لوح المرمر الذي على القبر ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم * هذا مرقد الشيخ سراج الدين قدس الله سره العزيز . عمره آصف الزمان ، وخلاصة وزراء آل عثمان ، والمشار اليه بالبنان ، والي ولاية بغداد دار السلام ، الوزير المعظم ، والمشير المفخم ، ابو الخيرات حسن باشا أطال الله عمره وأبقاه ، ويسر له من الخير ما شاء ، وأرتضاه ، وذلك سنه احدى وثلاثين ومائة والف من الهجرة .

وأوصل الى الجامع ساقية من ماء دجلة ، وانشأ فيه سقاية يشرب منها المارون .

والشيخ سراج الدين هذا من رجال الصوفية . وله ذكر فى كتاب (تاريخ أولياء بغداد).

جامع السيد سلطان علي

هو مسجد من مساجد بغداد القديمة واقع على دجلة من نهر المعلى قريب على مسجد الحاج نعمان الذي سبق ذكره في الجهة الشرقية منه لم تزل تقام فيه الجمع والاعياد ويقصده المصلون والزهاد وقد صدر ارادة أمير المؤمنين وسلطان المسلمين السلطان الغازي عبدالحميد خان ايد الله تعالى دولته الى آخر الزمان بتجديد عمارته وتجديد بنيته وانشاء مدرستين وزاوية لاتباع ابى العلمين فتمت العمارة حسب امره العالى نصره الله على اعداء الدين ماتعاقب الايام والليالى . وقد كتب تاريخ اكمال العمارة على باب المسجد وهو هذه الابيات:

الحمد لله الكريم الذي　　بالفضل والاحسان عم العبيد

أظهر من مضمر الطافه | لحوزة الاسلام ركناً شيد
من آل عثمان نجوم الورى | فخر ملوك الارض عبدالحميد
أصبح مصداقا لنص أتى | يتلى جهاراً في الكتاب المجيد
مذ شاد اسنى أمره جامعاً | وتكية للطالب المستفيد
وحوله مدرستان ابتنى | والمرقد السامي الشريف السعيد
لحضرة السلطان ذخري على | فخر بني الزهراء ذاك الفريد
وعندما أبدع تكميله « | وصار في الزوراء عيد جديد

أرخ وقل جدد تعميره
امامنا العادل عبدالحميد

١٣١٠

وفي هذا المسجد اليوم مدرسان وخطيب وأمام وجملة من الخدم ومصلاه حجرة مفروشة باحسن الفرش والقائم بمقتضياته ادارة الاوقاف المحلية

جامع الصاغة

على شاطئ دجلة قريب من المستنصرية في جهتها الشرقية ، ويسمى جامع الخفافين لأن عند بابه سوقاً تصنع فيها الخفاف الحمر.

فيه مصلى واسع على النهر، عن يمينه مئذنة ؛ وفيه مدرسة عامرة وحجر أخرى . لم يزل تقام فيه الجمع والاعياد والصلوات المكتوبة . وفيه خطيب ومدرس وإمام و واعظ وخدم وفيه خزانة كتب تشتمل على مخطوطات قديمة العهد ، والكثير منها تلف بتداول الايدي عليها ، كما ان غالب كتب مدارس بغداد جرى عليها ماجرى على هذه بل ان منها مالم يبق لها عين ولا أثر . ولله الامر ! وليس في جدران الجامع كتابات تنطق بما جرى عليه من العمارات . ولا نعرف الذي خطه وابتدأ عمارته . والقائم بشؤونه اليوم متوليه من آل مصطفى سليم

جامع العادلية الكبير

اذا تجاوز المار جامع الصاغة ومشى الى الشرق نحو ثلثمائة خطوة او اكثر رأى هذا الجامع عن شماله تجاه (المحكمة الشرعية) فيه مصلى واسع ، ومنارة شامخة ، وفيه مدرسة في الطابق الذي فوق الباب ، وخزانة كتب ، وبعض الحجر .

أنشأته صاحبة الخيرات والمبرات عادلة خاتون بنت احمد باشا الذي تولى إيالة بغداد اثني عشرة سنة وذلك من سنة تسع وأربعين ومائة والف الى السنة الحادية والستين . وكان زوجها احد موالي ابيها، وهو سليمان باشا ، وقد تولى ايضاً ايالة بغداد اثنى عشرة سنة ، وذلك من السنة الثالثة والستين بعد المائة والالف الى السنة الخامسة والسبعين . وكانت هي من أهل التقوى والصلاح محبة لأهل العلم والزهد كثيرة الصدقات . ولوالدها آثار مبرورة ومساع مشكورة . وهو الذي حافظ بغداد وقاوم نادر شاه ملك الفرس من استيلائه على العراق ، وهو الذي أرسل العلامة الشيخ عبدالله السويدي عليه الرحمة للمناظرة مع علماء الامامية حتى اظهره الله عليهم كما هو مفصل في رحلته ، الى غير ذلك من مزاياه التي تزينت بها صحائف التاريخ . وكان الفراغ من عمارة هذا المسجد ومدرسته سنة ثمان وستين ومائة والف .

ورأيت على باب المسجد هذه الأبيات وقد نقشت في المرمر :

الا لله من بيت معلى ... معد للاقامة والصلاة
بناه اسه تقوى ودين ... ينيف على الخورنق من جهات
فنعم الجامع الوضاح يزهو ... كبدر في الليالي الحالكات
تنور للعبادة فهو يزري ... بأنوار النجوم الزاهرات
بنته بمالها أم المعالي ... عقيلة قومها بنت السراة

سليلة (أحمد) المرحوم رب الـ محامد والعلى مولى الكفاة
وزوجة، مفخر الوزراء حتف الـ عدى فلاق هامات الكماة
(سليمان) الزمان الآصف القر م فتى الفتيان ممدوح السمات
الا يا دهر فافخر أنت حقاً بعادلة الرضا ام الصلات
كريمة قومها فى كل مجد وغرة دهرها ذات الهبات
ومطعمة اليتامى والبرايا وكاسية الارامل والعراة
تجدد كل يوم فعل خير ومن حسنى صنيع الصالحات
وتعمر مسجداً لله تبغي جزآء الخير فى يوم النجاة
وهذا الجامع الاسنى بنته تروم به ثواب المحسنات
وقد جعلت ثواباً كان منه لوالدها الرضا ذى المكرمات
ليحيا ذكرها فى الدهر دوماً ويذكر في الحياة وفي الممات
حماها ربنا من كل سوء بعز دآئم طول الحياة
وضاعف أجرها فى دار خلد ووفاها جزاء القانتات
ولما ان تكمل قيل أرخ الا ياتمْ حيَّ على الصلاة

ومن ذلك ما كتب على باب المصلى الاوسط المقابل لجهة الغرب وهو:

ذا جامع مؤسس على تقى الرب المبين
بنت الوزير احمد بنته للدين المتين
(عادلة) كريمة مخدومة للمؤمنين
دامت بعز دآئم فى حفظ رب العالمين
تاريخه جآء الهنا فنعم دار المتقين

وعلى الباب القبلي أبيات تركية بمضمون الابيات السابقة ومعناها فلا حاجة الى ذكرها . وقد كتب على صدر المنبر (قال النبي صلى الله عليه وسلم:

لا عز الا بطاعة الله) . وعلى المحراب (بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيه اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) .

وهذا الجامع هو الى اليوم مشيد الاركان رصين الجدران تقام فيه الجمع والاعياد . وفيه مدرس وخطيب وامام ومؤذن وخدم . مفروش مصلاه باحسن الفرش . وله اوقاف كثيرة . ودار القضاء التي أمامه من اوقافه وقفتها مؤسسة المسجد محفلا شرعياً اما خزانة الكتب التي كانت معدة للمدرسة فلم يبق فيها اليوم شيء منها وعلى ما سمعت ان بعض الكتب في بيت المتولي قد لعبت بها الارضة حتى اصبحت لا ينفع بها .

جامع العادلية الاصغر

هذا المسجد بنته السيدة عادلة (بنت احمد باشا والي ايالة بغداد) التي سلف ذكرها قريباً . وهو مسجد صغير حسن الوضع قرب الجسر اليوم في الجهة الشمالية منه وهو من المساجد التي تقام فيها الجمع والاعياد وسائر الصلوات. وقد تداعى للسقوط فجدد عمارته متولي أوقافه سنة ثمان عشرة بعد الثلاثمائة والالف وكان على باب المسجد أبيات منقوشة في المرمر منها ما محي ومنها هذه :

لقد اشبعتها الحادثات وردهـــا * الى صدف الاجداث بعد السنا الردى
فعمر أهلوهـــا ذا اي مسجد * على غير تقوى الرب لن يتشيدا
أمان ولا خوف ورشد ولا عمى * وخير ولا ضر به شرق الهـــدى
وصفوا به صفوا القلوب ولم يزل * تراه لابصـــار المصلين اثمدا

فلما زها بنيـــان باب دخوله * انا وجلت مآء لظمآن من صدى
هنـاك اقتباسياته الذكر ارخوا * لرب السما الهادي ادخلوا الباب سجدا

وبعد عمارة المسجد رفعت هذه المرمرة من صدر الباب . وفي هــذا المسجد اليوم خطيب وإمام ومؤذن وخادم .

جامع العاقولي

هو مسجد قديم العهد واقع فى المحلة العاقولية قرب الحيدرخانة من جهته الشرقية بني سنة ٧٢٨ ﻫ وفيه ساحة رحبة ومصلى واسع على شماله منـارة بيضاء مرتفعة وايوان كبير وامامه رواق وعن يمينه مصلى صغير للشافعية . ولتطاول الايام عليه خربت فيه عمارات كثيرة وأعادها أهل البر والمعروف. والذى علمته من الكتابات التي على جدرانه ان ممن عمره وأصلحه محمد باشا أحد أمرآء الدولة ورجالها وذلك سنة خمس وتسعين بعد الالف ومنهم عمر باشا أيام ولايته على بغداد فانه تولاها من سنة سبع وسبعين ومائة والف الى سنة ست وثمانين ومائة والف ومنهم سليمان باشا كتخدا احمد باشـا وكان من ولاة بغداد تولاها من سنة ثلاث وستين ومائة والف الى سنة خمس وسبعين ومائة والف من الهجرة .

وهذه الكتابات كلها تركية وهى مثبتة فى الجدران . ثم انهدم المصلى سنة بضع وسبعين ومائتين والف وبقي خاوياً على عروشه الى سنة تسع عشرة بعد الثلاثمائة والالف فقيض له من سعى فى عمارته وتجديده واستحصل امراً سلطانياً فى ذلك فجددت عمـارته وبنيت قبة مصلاه على اربعة عمد من الرخام ، وبني امامه رواق واسع معقود سقفه بالآجر والجص ، وفرشت ارض المسجد بالآجر ايضاً ، وترك مصلى الشافعية الذى كان غربي المسجد وطليت جدرانه بالجص والبورق ، وصبغت سواريه وخشبه ، وكملت العمارة سنة

العشرين بعد الثلثمائة والالف ، وابتدأت الصلاة فيه يوم الجمعة لخمس عشرة ليلة خلت من شهر رمضان تلك السنة وقد حضر والي البلدة وهو يومئذ نامق باشا الصغير والامراء والاعيان وكثير من اهل العلم بعد ان فرش المصلى بالحصر والبسط النفيسة. ولم تزل الجمع والاعياد والصلوات المفروضة تقام فيه.

وهذا المسجد كان منزلا يسكنه الشيخ جمال الدين عبدالله بن محمد بن علي العاقولي مدرس المستنصرية ببغداد درس فيها نحو اربعين سنة وباشر نظر الاوقاف وعين لقضاء القضاة فلم يقبل وأفتى من سبع وخمسين وستمائة الى ان مات وذلك احدى وسبعون سنة ، وهذا شيء غريب جداً . وكان قوي النفس له وجاهة في الدولة كم انكشفت به كربة عن الناس بمساعيه الجميلة ، وانتهت اليه رياسة الشافعية ببغداد قال عبدالحي في تاريخه (شذرات الذهب)[1] مولده في رجب سنة ثمان وثلاثين وستمائة ووفاته في شوال ببغداد وله تسعون سنة وثلاثة اشهر ودفن بداره وكان وقفها على شيخ وعشرة صبيان يقرأون القرآن ، ووقف عليها املاكه كلها رحمه الله تعالى وايانا انتهى . وبيته هذا الذي دفن فيه

---

(١) اقول : وترجم له تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى م ٦ ص ١٠٧ ترجمة مقتضبة جداً واخطأ في تاريخ مولده فقال ولد سنة ثلاث وثمانين وستمائة . والصواب ما نقله الاستاذ المؤلف عن شذرات الذهب ويؤيده ما جاء في مختصر ذيل تأريخ ابن النجار من مخطوطات الخزانة النعمانية بجامع مرجان .

وقد كنت اطلعت على ترجمة حفيده محمد بن محمد بن عبدالله في بغية الوعاة ص ٩٧ ط مصر فظللت زمناً أحسب أن الدفين في هذا المسجد هو هذا حتى رأيت الكتابة المنقوشة على القبر فاذا الدفين هو جده عبدالله ويؤيد صحة ذلك ان الشيخ عبدالله دفن في داره ، وحفيده في مقبرة الشونيزي ومقبرة الشونيزي الكبير ومقبرة الشونيزي الصغير كلتا هما في الكرخ (انظر ص ٢٩ من مناقب بغداد) التي نشرناها سنة ١٣٤٢ هـ .

هو المسجد، وقبره الى اليوم ظاهر وعليه قبة وعلى القبر صندوق من خشب نقش فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون أولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون * هذا ضريح المفتقر الى الله تعالى عبدالله بن محمد بن علي العاقولي ولد فى رجب سنة ثمان وثلاثين وستمائة توفي يوم الاربعاء رابع [1] عشر من شوال سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وسلم) .

وقد وجدت كتابة فى تأريخ العمارة الاخيرة لم تحرر بعد على الحجر وهي:

(بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين أمر بعمارة مصلى هذا المسجد المبارك المعقود على دعائم أربع من الرخام مع رواقه البديع النظام «وهو مسجد شيخ الاسلام الامام العارف بالله الشيخ عبدالله العاقولي عليه الرحمة والرضوان » إمام المسلمين وأمير المؤمنين الغازي عبدالحميد خان ابن السلطان عبدالمجيد خان خلد الله دولته على تعاقب الازمان . وذلك سنة العشرين بعد الثلثمائة والالف الهلالية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين وسلم تسليما) .

جامع الشيخ عبدالقادر الجيلي

واقع فى محلة (باب الشيخ) المنسوبة اليه والمعروفة فى التاريخ بمحلة باب الازج . وهي اليوم فى شرقي الرصافة من بغداد .

---

(١) كذا وفي مختصر ذيل تاريخ ابن النجار المخطوط « ...وتوفي يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شوال سنة ٧٢٨ » وفي طبقات الشافعية للسبكي « ... ومات في ذي القعدة سنة ٧٢٨ » . ولعل ما جاء في مختصر ذيل تاريخ ابن النجار أصح وأولى بالاعتبار .

وهذا المسجد الجامع اظله جناح الباز وعشعش فيه نسور الحقيقة وطواويس المجاز لم يزل مناخ العابدين ومأوى الراكعين والساجدين فيه مصلى يسع من المصلين الألوف ويحتوي على كثير من الصفوف اقام فيه جموع من المتوجهين الى الدار الآخرة ولم تزل أعينهم في عبادة مولاهم ساهرة وكان هذا المسجد أول الامر مدرسة للشيخ أبي سعيد المخزومي قدس سره وبعد وفاته جلس فيها تلميذه القطب الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره واضاف اليها وعمرها واعانه الاغنياء بأموالهم والفقراء بانفسهم ثم تصدر فيها بالتدريس والوعظ والتذكير وقصد بالزيارة والنذور من الآفاق وصنف واملا وسارت بفضله الركبان ولما توفي دفن في رواقها ليلا ولم تفتح بابها حتى على النهار فاسرع الناس للصلاة على قبره وزيارته رضي الله تعالى عنه ثم آل الامر بها أن اتخذت مسجداً من اعظم مساجد بغداد فانه واسع جداً وعلى المصلى قبة بديعة الشكل متقنة الهندسة مبنية بالحجر الكاشاني المصنع بالاصابيغ المختلفة مع النقش الذي يحير الناظرين ويعجب الرائين يحيط بها المآذن وقد احاط بالمصلى رواق واسع عقد على اساطين الرخام الابيض ووسط الساحة مصلى صيفي مرتفع عن أرض المسجد نحو ذراع محيط بهذه الساحة حجر كثيرة يسكنها الغرباء والفقراء ولهم جرايات وطعام يقوم بكفايتهم وقوتهم من غلة اوقاف ساكن الجنان السلطان سليمان التي اوقفها على الحضرة القادرية وذلك عند مجيئه الى بغداد سنة احدى واربعين وتسعماية وهذه الاوقاف يتولاها نقيب اشراف بغداد ولما شرف بغداد السلطان مراد خان الرابع عليه الرحمة والرضوان خدم هذه الحضرة ايضا بعمارة وجرايات ولم يزل هذا المسجد المبارك مع الحضرة المقدسة محط انظار سلاطين آل عثمان اعلى الله شأنهم وخلد سلطانهم الى منتهى

الفوران كما هو شأنهم مع سائر المشاهد المقدسة وبيوت الله المعظمة ولم يزل القائمون مقام النقابة الشريفة يستجلبون الادعية الخيرية لهم بما يبذلونه من المساعي المشكورة والاعمال المبرورة في خدمة هذا المشهد المقدس والبيت المعمور ومن يلوذ به من أهل الله من الفقراء والاتقياء الذين هم لو اقسموا على الله الابروا وفي عصرنا هذا جدد عمارته نقيب الاشراف وفخر آل عبد مناف صاحب السماحة والسيادة السيد عبدالرحمن افندي الكيلاني المحض واستجلب له الفعلة والاساتذة والعدد وسائر لوازم العمارة من رخام ملون الين من كف الفتاة والطف من صفحة المرآت وزخرفه عما يعجب الناظر ويبهر الخاطر حتى أن من يدخله يدخل الى روضة من رياض الجنة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين من الاعمال التي يرتضيها الكتاب والسنة وعلى باب المصلى الاوسط كتابات ناطقة بما جرى من العمارة وتواريخ ما كان ذلك فيه من الاوقات وعلى باب المسجد :

أفلت شموس الاولين وشمسنا ... أبداً على فلك العلى لا تغرب

وقراءته

أنا بلبل الافراح املأ روحها ... طرباً وفي العلياء باز أشهب

وهما من أبيات منسوبة لحضرة الشيخ قدس سره . وهي:

ما في المناهل منهل مستعذب ... إلا ولي فيه الألذ الأطيب

او في الوصل مكانة مخصوصة ... إلا ومنزلتي أعز وأقرب

وهبت لي الايام رونق صفوها ... فحلت مناهلها وطاب المشرب

وغدوت مخطوباً لكل كريمة ... لايهتدي فيها اللبيب فيخطب

أنا من رجال لا يخاف جليسهم ... ريب الزمان ولا يرى مايرهب

قوم لهم في كل مجد رتبة | علوية وبكل جيش موكب
أنا بلبل الافراح املأ دوحها | طرباً وفي العلياء باز أشهب
اضحت جيوش الحب تحت مشيئتي | طوعاً ومهما رمته لا يعزب
أصبحت لا أملا ولا انسية | ارجو ولا موعودة أترقب
مازلت أرتع في ميادين الرضى | حتى وهبت مكانة لا توهب
أضحى الزمان كحلة مرقومة | تزهو ونحن لها الطرز المذهب
أفلت شموس الاولين وشمسنا | أبداً على فلك العلى لا تغرب

ولاشك أنه قدس سره أهل لهذا الفخر وذلك من باب التحدث بنعمة ربه الحرية بالاظهار والشكر ومرقده الشريف اليوم على يمين للصلي من جهة المشرق فاذا دخل الزائر رأى أنوار المهابة مشرقة عليه وقد ارسل السلطان الغازي عبد المجيد خان عليه الرحمة والرضوان قطعة من الستر النبوي لتوضع على صندوق الباز الكيلاني قدس سره والصحيح ان المرسل لها والده المبرور ضوعفت له الاجور وقد انشد الفاروقي الشاعر الشهير هذه القصيدة الغراء في ذلك وهي :

جل ستر به الضريح تجلل | فحوى الفخر مجملا ومفصل
جاور الحجرة الشريفة دهراً | فغدا من سرادق العرش أفضل
كم تغشى جبريل فيه وامرا | فيل ميكائيل فيه تزمل
من لداود ثوبه قد تسربل | وخليل الرحمن لو قد تخلل
هو ستر عار من العار من أسـ | ـحى عليه يوم القيامة مسبل
سندسي الطراز في خاتم الرسل | غدا معلم الحواشي مكلل

هو لو لم يكن كتاباً لعتق | ليلة القدر ما عليه تنزل
وبدار السلام حل محل الـ | أمن واليمن والفخار المثل
سبحت دجلة وكبرت الزورا | ء مجداً وجانب الكرخ هلل
ورجال العراق فوجاً بفوج | قد أتوا يلثموه في خير محفل
حملوه على الرؤس ويا عز | رؤس غدت لفلك محمل
وقياماً بحقه كم فريق | من اولى العزة احتراماً ترجل
هو للزائرين فى حط وزر | عند مولاه ضامن يتكفل
كل من نال قبلة منه امسى | سومه عند ربه يتقبل
كم خوافٍ من حضرة ازلاحت | حين وافى ولا قوادم أجدل
وتجلى الله المهيمن لما | وضعوه على ضريح مبجل
وتغشت ابصارنا بسناء | بعيون التعيين قد كان أول
فتمسك به وقل يا ابا الطيـ | ـب هذا من طيب ربك صندل
قائلا يا ابا البتول أغثنى | والى ربك العلي تبتل
فعليه صل وسلم وبارك | وتكرم يا ربنا وتفضل
ما همى الودق بالصلاة وما البر | ق أضا بالسلام والرعد جلجل

والكلام فى وصف هذا العبد الشريف والمشهد المنيف لا يسعه فى مثل هذا المقام وما ذكرناه كاف فى افادة المقصود والمرام .

وفي آخر ابيات الشيخ ما يدل على علو مقامه وهو قوله

أصبحت لا أملاً ولا أمنيـة * ارجـو ولامو عـودة أترقب
مازلت ارتع فى ميادين الرضـا * حـتى وهبت مـكانة لاتوهب
اضحى الزمان كحلة مرقومـــة * تزهو ونحن لهـا الطراز المذهب
أفلت شموس الاولين وشمسنا * أبداً على فلك العـلى لاتغـرب

جامع علي افندي

هو مسجد كبير واسع المصلى وعليه قبة وحولها مئذنة . ساحته فسيحة. وهو فى(البار ودية) غربي الرصافة تقام فيه اليوم الجمع والاعياد وسائر الصلوات

بانيه علي افندي من أكابر رجال الدولة ، وكان دفتر دار بغداد ، وفى ايام وظيفته بنى هذا المسجد وذلك سنة ١١٢٣ ﻫ

جامع الشيخ عمر السهروردي

قريب من سور[1] الرصافة عند الباب الاوسط[2] فى وسط المقبرة المعروفة

---

(١) زعم الأب أنستاس أحد الرهبان ببغداد في مجلة لغة العرب (م٣ ص٥٦١) أن هذا السور هدم سنة ١٣٠٥ بامر سري باشا والي بغداد ، والحق أنه هدم سنة ١٢٨٧ﻫ بأمر مدحت باشا حيث أراد توسيع بغداد وتعميرها فتهافت الناس على ثلمه والانتفاع بآجره ، وبين هدمه ومجيء سري باشا نحو ١٨ عاماً فلايخلو في ذلك

(٢) زعم أنستاس هذا أيضاً (لغة العرب م ٣ ص ٥٦١) أن على هذا الباب المسمى اليوم بالباب الوسطاني كتابة مسطورة على جبينه . . . وليس ثمة كتابة وانما هي على الطلسم الذي اتخذه الاتراك مخزناً للبارود والقنابل ونسفوه ليلة سقوط بغداد بيد البريطانيين . وقد اختلط عليه الأمر فظن ذاك هذا وقال ماقال « رجماً بالظنون » ولعمري لو كان المؤرخون كلهم على شاكلة هذا الانبا وهذا الأب لقلنا على التاريخ العفاء واليك نص ماكان مكتوباً على الطلسم نقلا عن مجموعة خطية لاحد الفضلاء وعن كتاب فى آثار العراق العتيقة لصديقنا المستشرق الفرنسي الشهير لويز ماسينيون (M. Louis Massignon) وبينهما اختلاف فى التاريخ وبعض الالفاظ : (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت

في التاريخ بالمقبرة الوردية ، وهوقديم العهد رحب الفناء، واسع المصلى . تقام فيه الجمع والأعيـاد ، فيه مدرسة وحجر ، والمدرسة مطلة على الصحراء ، وقد أحاطت المقابر بهـذا المسجد من جميع جوانبه ، وامتلأ صحنه منها . ولم تزل الايدى تتداول عمارته واصلاحه .

وفى السنة الثـالثة والسبعين بعد المائتين والالف أحدث فيه اسماعيل باشا والي شهرزور بعض العمارات منهـا طارمة فى الجهة الشمالية منه وطاق مرتفع مشرف على الصحراء . وقد أرخ هذه العمارة عبدالباقى العمري بتسعة ابيات كانت مكتوبة على الجدران فخربت بخرابها ومنها :

إن اسمـــاعيل والي شهـروز * صـاحب التدبير والرأي المسدد
سابقـاً كان بنى طارمـــة * خنصر الفضل عليهـا راح يعقد
وتصدـــى لاحقـاً يتبعهـا * ببنـا طاق لأوج المجـد يصعد
فى مقـام السهروردى أرخوا * حجر اسمـــاعيل للعز تشيد

وعلى المدرسة ايضاً ابيات على القاء من هذا النوع اسقطناها لركنها وسخفها.

وفي سنة ١٣٢٠ هـ أعيدت عمارة قسم منه بعد ان تداعت للسقوط ، واقيمت منارته بالحجر الكاشاني الملون .

وفى هذا الجامع سقاية يجرى اليها ماء من دجلة بقناة لبعده عنها ، وفيه قبر الشيخ شهاب الدين عمر الصوفي السهروردي مصنف كتاب العوارف .

السميع العليم ، هذا ما أمر بعمله سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كل الأنام أبوالعباس أحمد الناصرلدين الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وحجة الله عز وجل على الخلق أجمعين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين ولا زالت دعوته الهادية على بقاع الحق مناراً والخلائق لها اتباعا وأنصاراً وطاعته المفترضة للمؤمنين أسماعاً وأبصاراً (وأنظاراً) . وافق الفراغ في سنة ثمان وعشرين (ثمان عشر) وستمائة وصلواته (وصلوات الله تعالى) على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين).

وكان فقيهاً شافعي المذهب كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرج به خلق كثير من الصوفية وكان شيخ الشيوخ ببغداد ، وكان له مجلس وعظ عليه اقبال كثير ، وذكر بعضهم أنه أنشد يوما على الكرسي :

لاتسقني وحدي فما عودتني * إني اشح بها على جلاسي

انت الكريم فما يليق تكرما * ان يعدم الندماء دور الكاسي

فقيل تواجد الناس لذلك وقطعت شعور كثيرة وتأدب جميع كثير !!

وذكر ابن خلكان عنه غرائب كثيرة [1]

ولد سنة ٥٣٩ ﻫ بسهرورد (بضم السين وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء) . بلدة قريبة من زنجان بالجبال ، ونشأ بها الى ان بلغ قريباً من ست عشرة سنة ثم توجه الى بغداد وصحب عمه أبا نجيب وعنه أخذ التصوف والوعظ ، وذكر البعض انه صحب ايضاً الشيخ عبدالقادر الجيلي ، ثم انحدر الى البصرة وحصل طرفاً صالحاً من الفقه والخلاف .

وفي كتاب (تاريخ العيون) مانصه : « وفي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة توفي الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي ، ونسبه ينتهي الى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، وكان شيخاً صالحاً ورعاً صحب عمه الشيخ نجيب الدين ، وأخذ عنه التصوف والوعظ ، وكذلك أخذ عن الشيخ عبدالقادر الجيلي عليه الرحمة ، وكان كثير الحج وربما جاور في بعض حججه ، وكان مشايخ عصره يكتبون اليه من البلاد فتاوى يسألونه عن شيء من احوالهم ! ولما توفي دفن قريباً من الباب الاوسط داخل بغداد وعقد على قبره ميل وبحذائه جامع تقام فيه الجمعة » .

(١) ج ١ ص ٣٨٠ — ٣٨١ .

وأقول : إن الميل الى اليوم على حاله وكذلك الجامع فانه الى اليوم تقام فيه الجمع والاعياد كما قدمناه . ويفهم من ذلك ان الجامع كان موجوداً قبل دفن النهر وردي بجنبه ، والميل اليوم يسميه أهل بغداد (المفتول) وهو قبة مخروطية الشكل من أبدع البناء وأغربه .

جامع الحاج فتحي

هو مسجد صغير واقع في محلة الحاج فتحي . فيه مصلى وساحته واسعة، وليس فيه من الزخرف شيء . وهو من المساجد العامرة باقامة الصلوات فيه . وفيه إمام ومؤذن وخدم ، ولم اجد على جدرانه كتابات تعرفنا ببانيه ، ولعله من المساجد القديمة (١)

جامع الفضل

هو من الجوامع القديمة العهد في جانب الرصافة ، واسع المصلى رحب الفناء تقام فيه الجمع والاعياد والصلوات المكتوبة وتراه كل وقت مزدحم

---

(١) جددته وزارة الاوقاف عام ١٣٤١ هـ وجهزته بمصابيح الكهرباء ، وقد كان مصلاه مقابل الباب بجملته عن شماله وقدرته يسع نحو مائتي مصل . وهو اليوم تقام فيه الجمعة .

وقد سألت بعض من فيه من الشيوخ والكهول عن الحاج فتحي الذي ينسب اليه المسجد والمحلة التي حوله قالوا : كان على ما سمعنا درويشاً جاء من الموصل واقام في هذا المحل وصار له مريدون فبنى هذا المسجد ، ولما توفي دفن عند الباب عن شمال الداخل ، وقد جعلت الاوقاف قبره في عمارتها الاخيرة حانوتاً ، هكذا قالوا والعلم عند الله ، ثم عند وزارة الاوقاف !

وقد وجدت عند بابه سقاية كتبت فوقها ستة ابيات على الماء سقيمة التركيب مختلة الوزن . عرفت منها ان محل هذا المسجد كان قفراً فاتخذه الحاج فتحي مسجداً عام ١١٦٩ هـ .

بالمصلين . له بابان : باب من شرقيه وباب من غربيه . وفيه منارة شامخة ، وحجر كثيرة في شرقيه وشماليه ، وفيه مدرسة ومدرس وخطيب وامام وخدم . وليس على جدرانه اليوم من الكتابات المتقدمة ما يعرفنا بمنشئ عمارته . وقد تداعى للسقوط أيام ولاية سليمان باشا والي بغداد فجدده وأحيا رسومه وذلك سنة ١٢١٠ هـ ورأيت في بعض المجاميع أن سليمان باشا تولى الامارة في بغداد سنة ١١٩٣ هـ بعد اختلاف أيدي الولاة عليها ، وقد آلت الى الخراب وتسلط عليها الاراذل وشراذم الاعراب ، فبسط رداء العدل وأحسن السياسة وقطع دابر المفسدين ، ووجه همته الى العمران فأنشأ المدارس وعمر المساجد ورتب الوظائف وتعهد اهل العلم والصلاح . وقد ترجمنا له عند ذكر جامع الخلفاء بأوفى من هذا ، فانظره [1] .

وفي هذا الجامع على ما يقال قبر محمد الفضل فلذلك سمي بجامع الفضل وهو على ما ذكر بعضهم ابن اسماعيل بن جعفر الصادق . ومحمد الفضل والسيد سلطان علي أخوان .

جامع الفلانية

جامع رحب الفناء ، رصين البناء ، واسع المصلى ، أنيق الشكل .

وهو في جوار المدرسة المستنصرية واقع منها في الجهة الجنوبية ليس بينهما سوى جادة السوق . وقد كانت على جدرانه كتابات كثيرة اندرست لما كان فيه من التبديل والتغيير . وفي سنة ١٢٠٥ هـ جدد عمارته والي بغداد سليمان باشا الكبير كما نطق بذلك الشعر المكتوب على الحجر في باب المصلى الاوسط وهو :

بنى الجامع الأعلى سليمان ذو العلى ✽ فأضحى بحمد الله أزهر ساطعا

---

(١) ص ٤٠

تقوم رجال فيــــه لله أخلصوا * فلم تلق الا ساجداً فيه راكعا
ولما اعــــدت للصلاة صفوفه * وقام بأولاها الامام مسارعا
هناك دعا داعي الفلاح مؤرخاً * سليمان قد شيدت للوحي جامعا

ولعل تسمية هـذا المسجد بالقپلانية لانتسابه الى قپلان مصطفى باشا (وكان والي بغداد من سنة ١٠٨٨ هـ الى سنة ١٠٩٢ هـ) فانه هو الذي رفع قواعده يومئذ على مانطق به هذا التأريخ وهو :

[بسم الله الرحمن الرحيم ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا * قد أمرنا من أمره مطاع في العراق، نادر المثيل في الآفاق، وارث المكارم عن آباء كرام ، وأسلاف أعزة فخام ، والي الخطة العراقية ، ومتولي مافيها من الامور الكلية والجزئية ، من عظمت حسناته ، وعمت بركاته ومبراته ، مصطفى باشا والي إيالة بغداد الشهير بقپلان ، تقبل الله تعالى منه صنائعه الحسان ، باقامة هذا المسجد العديم النظير ، وعمارته بأحسن تعمير ، فمن الله تعالى بالختام ، حسب المطلوب والمرام ، وذلك سنة التسعين بعد الألف من هجرة خير الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام] .

وفي هذا المسجد مدرسة وخزانة كتب غير أنها اليوم لامدرس فيها [1] ولا تدريس وليس فيها الكتب التي كانت موقوفة عليها . فقد لعبت بها أيدي السراق حتى لم تبق منها شيئاً مذكورا .

وفي هذا المسجد تقام اليوم الجمع والأعياد وسائر الصلوات ، وفيه إمام وخطيب ومؤذن وفراش وخادم ، وفيه واعظ يعظ الناس في شهر رمضان . وادارة الأوقاف قائمة بسائر ضرورياته وجميع مقتضياته .

---

(١) بعد التأليف بسنتين عين للمدرسة مدرس وعمرت له المدرسة ووضع فيها بعض الكتب الموقوفة (للمؤلف)

وفى هذا المسجد مرقد أبي الحسين أحمد القدوري الفقيه الحنفي الشهير[1] وكان من رؤساء المذهب توفي سنة ثمان وعشرين وار بعمائة ودفن فى بيته[2] ثم نقل منه ودفن فى جوار الفقيه أبي بكر الخوارزمي الحنفي فى شارع المنصور فى جانب الرصافة ، وهو اليوم فى هـــذا المسجد ومعه جمع من قبور بعض الصالحين .

جامع الكهية

هذا مسجد لطيف الوضع ، متقن الصنع ، واقع فى محلة رأس الكنيسة ، فيه مصلى صغير يسع نحو ثلاثة صفوف كل صف يحتوي على نحو ثلاثين وعلى المصلى قبة صغيرة وحولها منارة قصيرة مطلة على الطريق وأمام المصلى صفة لطيفة . وبناؤه بالحجارة المهندسة من الآجر الأصفر . وفيه خزانة كتب اشتملت على فنون شتى ، وهي فى الطبقة العليا .

بناه كامل بك بن الحاج أمين الزند وكان (الحاج أمين) مفتي الحنفية ببغداد ، ثم صار كتخدا لوالي بغداد ، ثم سافر الى الأستانة وصار من الاعيان ورجال الدولة هناك ، وكان ذا أخلاق حميدة وحياء وورع وحلم ، وكان محباً للخير وعمل البر حتى أنه لما ختن أولاده فى بغداد ختن معهم اربعمائة ولد من الأيتام والفقراء وكساهم أحسن اللباس ، وفى ذلك يقول الشاعر السيد عبد الغفار الأخرس مادحاً ومهنئاً :

ليهنك مابلغت من الاماني * فلم تبرح بايام التهاني
تسر وقد يسر الناس طراً * ببيض فعالك الغر الحسان

---

(١) ترجمته فى وفيات الاعيان ج ١ ص ٢١ . وفي الفوائد البهية فى تراجم الحنفية ص ٣٠ .

(٢) في درب ابي خلف

وفيما قد فعلت جزيت خيراً * وهل تجزى سوى خلد الجنان
فعلت الواجب المأمور فيه * وما سن النبي من الختان
وأولمت الولائم فاستلذت * لها الفقرآء من قاصٍ وداني
وأكثرت الطعام بهن حتى * لقد ضاق الطعام عن الجفان
وجآء الناس أفواجاً اليها * فلم يعرف فلان من فلان
شرابهم شراب سكري * ومما يشتهون لحوم ضان
لقد قيل الطعام فلم تدان * وقد قيل السماع فلم تدان(؟)
بذكر الله انك قبل هذا * قد استغنيت عن كل الاغاني
وما تلهو عن السبع المثاني * بأصوات المثالث والمثاني
ختنت بنيك في أيام سعدٍ * بمعتدل الفصول من الزمان
واربعمائة ختنت وكانت * يتامى لم تسنن بالختان
كسوتهم الملابس فاخراتٍ * فراحوا مثل روض الاقحوان
فمن خضر ومن صفر وحمر * كأمثال الشقيق الارجواني
كأزهار الربيع لها ابتهاج * وقد سيقت حيا المزن الهتان
أتيت بها من الصدقات بكراً * وما كانت لعمرك بالعوان
أردت بذاك وجه الله لاما * يقال ويستفاض على اللسان
أحبك لا لمالٍ أقتنيه * ولا طمع بجود وامتنان
ولا أثني عليك الخير الا اعـ * تقاداً باللسان و بالجنان
وكيف وأنت للاسلام ركن * تشاد به القواعد والمباني
اعز الله فيك الدين عزاً * ولم يك قبل ذلك بالمهان
فكنت الروح والمعنى المعالي * فقل ماشئت عن روح المعاني
تقول الحق لاتخشى ملاماً * ولست عن المقالة بالجبان

ولا داريت أو ماريت قوماً * برفعة منصب وعلو شان
ولم تحكم على أمر بشيءٍ * الى ان يستبين الى العيان
فتدرك ماتحاول بالتأني * وان رمت الجميل فلا تواني
محمد الامين أمنت مما * تحاذره وانك فى أمان
كفاك الله ألسنة حداداً * لها وخز ولا وخز السنان
ولم اسمع مقالا فيك إلا * مقال الخير آناً بعد آن
بقيت لنا و للدنيا جميعاً * وكل غير وجه الله فاني

وقد جمع المفتي كتباً كثيرة فى فنون مختلفة بخطوط حسنة وكان يحب ان يفرد لها محلا من منزله وتكون خزانة الكتب فيه وان يعين للكتب قيما يحفظها لينتابها المحصلون و يطالعها المطالعون فتوفي ولم يتيسر له هذا المقصد .

وكان ولده كامل بك خير خلف له وكان يعلم مقصده فجاء الى بغداد سنة ١٣٢٠ فعمر قسما من داره هذا المسجد الذى يقل نوعه ، فى حسن وضعه، و رشاقة هندسته ، واتخذ فيه خزانة للكتب فى الطابق العلوى منه : حجرة داخلة وضع فيها الكتب ، وأخرى خارجة للطالعين .

وقد وضع الكتب فى بيوت من خشب من بساط الارض الى مناط السقوف وفى السنة الحادية والعشرين بعد الثلثمائة والالف كملت عمارة المسجد وزخرفته من بياض واصباغ مختلفة . وأنشأ ايضاً سقاية يشرب من زلال عذبها أبناء السبيل ، وقد كتبت على باب المسجد هذه الابيات المشتملة على ختام العمارة و تاريخها ، وهي :

ذا جامع فيه رياض التقى * مزهرة فليعمل العامل
مكتبة فيه لأهل الهدى * ينال من جوهرها السائل

وماؤه العذب غدا كوثراً * فليس يحكيه الحيا الهاطل
شيده محتسباً موقنـــاً * سليل صدر العلما الكامل
على التقى مذ تم أرخته * قد نار هذا المسجد الكامل

وفي يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شعبان من هذه السنة افتتح المسجد وحضر لصلاة الجمعة فيه والي بغداد وجمع من الامرآء وجملة من العلماء والاعيان ورجال الدولة فخطب نائب الباب وبعد الفراغ من الصلاة قرأ أحد الحاضرين قصة المولد النبوي وعند الختام قام الحاضرون مستقبلين القبلة فدعوا لخليفة المسلمين ولمن بنى المسجد ولكافة الموحدين . ثم وزعوا عليهم السكر ودارت عليهم كؤوس شرابه وكان ذلك يوماً مشهودا .

ثم رتب باني الجامع خطيباً وإماماً ومؤذناً وخدماً وقيماً للخزانة وفرش المصلى بالحصر وأحسن البسط .

جامع المرادية

من مساجد الرصافة الشهيرة وهو عن (جامع الازبك)[1] نحو غلوة سهم عن شمال الداخل من باب بغداد .

صدر الأمر السلطاني بتجديد عمارته وإعادة بنيته في السنة التاسعة عشرة بعد الثلاثمائة والالف فحفروا قواعده الى أن ظهر الماء ، واختط على أحسن وضع وابهج صنع ، ورفعوا قبة مصلاه على أساطين من رخام ، وعمد كأنها عرآئس قيام ، توافقت قدوداً ورصانة ، وتناسبت تدويراً وثخانة ، يقدم المصلى رواق ممدود . وحول القبة مئذنة شامخة مبنية بحجرٍ .اذا اردت معرفة أصباغه فطالع روضة الربيع تعرفها بالمقايسة عليها وقد تمت هذه العمارة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة الف في أواخر شعبان وساحة الجامع واسعة لطيفة وقد فرشت أرض المسجد كلها بالآجر المهندم . ثم فرش المصلى بأحسن

---

(١) ص ٢٧

الفراش والبسط .

وفيه خطيب وامام وجملة من الخدم والمؤذنين لهم جرايات من الاوقاف السلطانية وادارة الاوقاف قائمة بشؤونه اتم قيام .

وقد أنشد الأديب الشيخ معروف البغدادي عند ختام العمارة هذه الأبيات :

قف عند مرتفع البناء مشيد * وأعد لرؤيته اللحاظ وردد
تجد البدائع قد نظمن فلابداً * نضدت بلبة جامع متجدد
فى وجنة الزوراء لاح كأنه * خال يلوح على خدود الخرد !
أضحت عيون الدين فيه قريرة * مذ جددوه وسر كل موحد
وغدت تقام به الصلاة فكم ترى * المؤمنين به قيام تعبد
بني المصلى منه ابدع بنية * جمع البهاء بصنعها المتفرد
يبدو لك المحراب فيه كرصعة * فى خد أغيد باسم متورد !
نحتت سواريه المتينة مرمراً * نحت الدمى صفة بغير تردد
عقدوا من الآجر فوق رؤوسها * عقداً فقام ومثله لم يعقد
تعطي الرصانة مشمخر بنائه * ثقة بأن يبقى بقاء مؤبد
وتروق فيه الناظرين منارة * خضراء تحسبها عمود زبرجد
رفعت الى جو السماء كأنها * كف تشير الى احتقار الفرقد
أمر المليك بأن يجدد بعد أن * قد كاد ينقض انقضاض تبدد
عبد الحميد خليفة الرحمن فى * ملك الى أبد الزمان مخلد

والجامع منسوب الى مراد باشا احد وزراء الدولة العثمانية كان والياً فى بغداد من قبل السلطان سليم الثاني تولى ولاية بغداد سنة ٩٧٨ ، وكان مقدماً شجاعاً كريماً محباً للخير تقيا صالحا ، وعند قدومه الى دار السلام بنى هذا

أبواب رحمته محط الرحال ، وذخيرة ليوم المحاسبة والسؤال ، قال النبي عليه الصلاة والسلام «اذامات الانسان انقطع عمله الاعن ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له » والصدقة الجارية : هي الوقف ، فشمرت عن نية صادقة صافية ، وسريرة للخير وافية ، وشرعت في عمارة هذه المدرسة المسماة بالمرجانية وتوابعها المتصلات بعضها ببعض في زمن المخدوم الاعظم الدارج الى جوار الله وجنانه المستريح على أعلى غرافات جنانه الشيخ حسن نويان [1] أنار الله برهانه، وتمت في ايام دولة نور حدقته ، ونور حديقته ، المخدوم الاعظم الاعدل رافع رايات السلطنة على الافلاك ، ناصب غايات المملكة الى السماك ، ساحب ذيل الرحمة على الاعراب والاتراك ، محيي مراسم الملة المصطفوية ، ومزين شعار الدولة الجنكيزخانية ، شاه أويس خلد الله ملكه . ووقفت على الفقهاء وطلاب العلم والتفسير والحديث والفقه على مذهبي الامام الاعظم محمد بن إدريس الشافعي المطلبي ، والامام الاقدم أبي حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي رضي الله تعالى عنهما وقفاً على مصالحها كما شرح في الوقفية الموقعة بتوقيع قضاة الاسلام ، الموشحة بشهادة الامراء والوزراء العظام: بالريحانيين أربعة وأربعين دكاناً ، واثنتي عشرة عصارة في السوق الجديد المجاور للمدرسة والصاغة ، وتسعة وعشرين دكاناً أخرى وثلاثة خانات ونصف خان احدهن [2] انشاء الواقف، ومواضع بالبدرية، وبالامشاطيين ثلاثة دكاكين، وبالمشرعة اربعة عشر دكانا وخانا جديداً من انشاء الواقف تقبل الله منه صالح الاعمال، وبالحلبة [3] ثلاثة عشر دكاناً وعصارة وخاناً فيه اثنتان وخمسون حجرة ،

(١) قال المؤلف رحمه الله : النويان في لغة ترك المغول والجغتاي يطلقونه على الملوك والسلاطين وأمثالهم .

(٢) في الاصل « احدهما » (٣) محلة فيها قبر عبد الوهاب بن عبدالقادر الجيلي .

وفى الجانب الغربي من محلة القصر داراً ومداراً وخاناً يعرف بالجوارى ، وفى الخليلات خان الزاوية ومدارا هي الآن من حقوق الخان المذكور ، وبالحريم دكان الكاغد ، وبنهر عيسى ناحية عقرقوف ونصف القائمية وتل دحيم ، وبساتين بالحربية ، وبساتين بقرية البرك والجوبة وقراح الجاموس ، وبالصراة مزرعة ، وبالقاطون ناحيـــة زادبان ، وبجلولى من خاناباد النصف ومن بساتين بعقوبا وببوهريز النصف ، وبخانقين دورى ونصف دور جورى وأرحية الماء ، وبغابا، ودولتاباد ، وبساتين فى البندنيجين، وبستان جديد ببوهريز انشاء الواقف ونهرخرناباد وسائر اراضيها ومزرعها المدعو هرارشته (١)

وذلك بين جبل حمرين وخانقين ـ وقفاً صحيحاً شرعياً مؤبداً مخلداً محرماً بجميع ماحرم الله مكة والبيت الحرام والركن والمقام لازال ذلك كذلك الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، لايندرس بكرور الاعصار ، ولا ينطمس بمرور الادوار ؛ لايؤجر من متغلب ومتعزز وجندي ومن يخاف غائلته ، بل يؤجر من رجل مسلم معامل بتمكين الوالي على هـذا الوقف من مرافعته بين يدي الحكام وقضـاة الاسلام [قادراً من أدآء] مايتوجه عليه من ضمان الوقف . ومن فعل ذلك فتلك الاجارة باطلة وتصرفه حرام سحت ، ووصيتي الى حكام كل زمان وعصر وأوان، والى قاضي القضاة ببغداد، أن يساعدوا الوالي على هذا الوقف واستخلاص الحقوق الواجبة لوقف هـــذه المدرسة، وأن ينظروا اليهم بنظر الرحمة والرأفة فان الحاكم العادل في رعيتـه كالوالد الشفيق على ولده، الا وان كل من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من يعمل بها الى يوم القيامة ، وأن لايتعرضوا بمتولي هـذا الوقف ومستوفيه ومشرفه

---

(١) لعله « هزار نشته » .

من استرفاع حساب أو نصب أو ترتيب ولا يداخلوهم في ذلك بشبهة من الشبه ولا يعتمد بهذه المدرسة ديواناً لفصل القضايا الشرعية أو ينازعوا فيه فان هذا الموضع موطن العلماء ومنزل الصلحاء . فطوبى ثم طوبى لمن استجلب ترحماً لنفسه وويل ثم ويل لمن صاحبته اللعنة في رمسه فبمثل ماتعاملون في حياتكم تعاملون فى مخلفاتكم بعد مماتكم فان المكافأة من الطبيعة واجبة ، كما تدين تدان وكما تزرع تحصد، فان الدنيا غدارة غرارة وان طالت مدتها [فما طالت، وان نالت اصاحبها فما نالت] . ومن غير شروط هذه الاوقاف أو تصرف فيها خلاف ماشرطت فى الوقفية فهو ظالم عند الله ألا لعنة الله على الظالمين وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ومأواه جهنم وبئس المصير وألحق بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وما ذلك على الله بعزيز. وشرط الواقف تقبل الله منه الحسنات، ولاواخذه بما كسبت يداه من السيئات، أن لايسلم من الاراضي الموقوفة من النواحي والبساتين والبسوط بالقرار الشمسي شيئاً أصلا ولا من المسقفات من الدكاكين والخانات والطواحين بالعرضة أبداً ، ومن فعل ذلك فحكمه باطل وشرطه منسوخ، وتصرف من تصرف فيها بهذه الشبهة حرام سحت وفاعله مأثوم ملوم الخالق والخلق «فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم» وكتب فى شهور سنة ثمان وخمسين وسبعمائة والحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبي الرحمة وشفيع الامة وكاشف الغمة النبي الامي العربي الهاشمي القرشي المكي المدني سيد المرسلين ورسول رب العالمين وخاتم النبيين وعلى آله الطاهرين الكرام وصحبه المنتخبين البررة وسلم تسليماً كثيرا] .

وما كتب في الحجر على ظاهر جدار المصلى فى هذه المدرسة :

[بسم الله الرحمن الرحيم . في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح

له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أنشأه المفتقر الى مغفرة الملك المنان مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الاولجايتي[1] تقبل الله منه في الدارين طاعاته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم].

وما كتب في الحجر ايضاً قرب البئر في الجهة الجنوبية من المدرسة :

[بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد وآله وصحبه من بعـــده ، يقول الواقف مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الاولجايتي : من غير شروط أوقافي أو تصرف فيها خلاف ما شرطت لعن في الدنيا والآخرة وألحق « بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزناً » وشرطت أن لا يؤجر ماهو وقف من متعزز وجندي ومن يخاف غائلته ، وأن لا يؤجر اكثر من سنة واحدة ولا يعقد عقد اجارة قبل انقضاء العقد الاول ولا يوفر من الموقوفات شئ بوجه المرسومات بعض المرتزقة بها مما ذكر فهو ظالم عندالله. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم. وذلك في شهور سنة ثمان وخمسين وسبعمائة . كتبه أضعف عباد الله تعالى أحمد شاه النقاش التبريزي أحسن الله اليه في الدنيا والآخرة] .

وما كتب على باب المدرسة من خارج أعني باب الجامع على ما هو مشهود اليوم

[بسم الله الرحمن الرحيم انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز

---

(١) كذا والمكتوب على الجدار يحتمل هـذه الاوجه « الاولجتائي » او « الاولجياتي » أو « الاولخياني » .

غفور ، هذه مدرسة رصينة البنآء ، مشيدة الارجآء أنشأها المفتقر الى عفو الملك المنان مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن ، إبتدأ بها فى أيام دولة المخدوم المكرم ، والنويان الأعظم ، السلطان حسن خان ، أنار الله برهانه ، وكملت فى ايام ايالة ولده النويان الأعظم[1] سر العدالة فى العالم ، سلطان السلاطين ، غاية[2] الدنيا والدين ، ومغيث الاسلام والمسلمين ، الشيخ أويس لا زال هذا الملك الأعظم ، ملجأ وملاذاً للأمم ، على أن يدرس فيها مذهبي الامامين الهمامين ، والمجتهدين الأعظمين: الامام أبي حنيفة النعمان ، والامام محمد بن إدريس الشافعي عليهما الرحمة والرضوان وذلك فى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. بقلم المفتقر اليه تعالى أحمد شاه النقاش التبريزي عفا الله عن تقصيره] .

ومن الكتابات الحجرية ما كتب على باب الخان المعروف (بخان الاورتمة) أي المغطى بالسقف الحجري :

[بسم الله الرحمن الرحيم *الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه محمد النبي وآله وصحبه أجمعين . هذا الخان من انشآء ذي العمل المبرور ، والسعي المشكور ، مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الاولجايتي وقفها على المدرسة المرجانية ودار الشفآء بباب الغربة والنصف للقائمة وتل دحيم ومزرعة بالصراة وبساتين بالحربية وبساتين بقرية البزل[2] و الرادماز وخرم أباد ورباط جلولى المعروف بقزل رباط ورزين جوي ونصف دوري وبساتين ببعقوبا وبوهريز وبالبند نيجين وخان ودكاكين بالحلبة وأربع خانات ودكاكين بالجوهرية وخان بالجانب الغربي ودكان كاغد بالحريم

---

(١) لقبه « ناشر العدالة (٢) لعله « غياث »

(٢) مر في ص ٦٧ هكذا (البرك)

كما هو محدود ومشروح فى الوقفية وقفاً صحيحاً شرعياً تقبل الله منه الطاعات في الدارين ونهاية المراد ، وكان الفراغ منه سنة ستين وسبعمائة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي العربي الصادق ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم . كتبه الفقير الى رحمة ربه أحمد شاه النقاش المعروف بزرين قلم غفر الله ذنوبه] .

ماجرى على هذه الاوقاف

ان كثيراً مما ذكر في الوقفية من الاوقاف قد اندرس ولم يبق له ذكر ، ومنه ما امتدت اليه يد الغصب . فدار الشفاء اتخذها يهودي حانة بن وهي الشهيرة اليوم بقهوة المصبغة ، وباب الغربة هي شرعة المصبغة ، وكثير من الحوانيت المكتوب عليها وقف مدرسة مرجان تملكه الناس ، ومنه ماصار وقفاً على كنيسة ، وما بقي منه أقل قليل بالنسبة لما اندرس . فاعتبروا يا أولي الالباب !

ما جرى على هذه المدرسة من ستحدث العمارة

لم تزل العمارة الاولى قائمة على ساقها لرصانة أساسها وتمكين قواعدها حتي كأنها جبل منحوت الا ما كان من الاصلاح في ايام حكومة سليمان باشا الكبير والي بغداد وذلك انه حكم فيها من سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف من الهجرة الى سنة سبع عشرة بعد المائتين والالف وقد أمر ان يوسع المصلى بهدم بعض الحجر المبنية وادخلها فيه ،[1] فلما كملت العمارة حسبما أمر أرخ ذلك بعضهم بهذه الابيات :

---

(١) ولما تولى معالي الشيخ أمين عالي آل باش أعيان وزارة الاوقاف في العام الفائت ١٣٤٥ هـ رأى الواجب يقضي عليه بالاحتفاظ بهذا الاثر التأريخي الجليل ، فامر بترميم بابه النفيس واعادته الى مثل حالته الأولى ، وباصلاح مصلاه وتعلية أرضه

تبارك من أنشا الانام وأوجدا * وقيض منهم من يقام به الهدى
ففي كل قرن يبدو منه مجدد * حديث أتى عن سيد الرسل مسندا
فكان بهذا القرن حقا مجدداً * وزير محا رجس الضلالة والردى
فأحيا ربوع العلم بعد دروسها * وكم جامع أحيا وجدد مسجدا
ومذ بان في هذا المكان تخلخل * تداركه فوراً فأضحى مشيدا
هنيئاً له حاز الثواب لأنه * نوى عملا لله صرفا مجرداً
وفيه روى الراوي الحديث مؤرخاً: * سليمان أضحى عادلاً بل مجددا

١٢٠٠ هـ

ملخص ترجمة مرجان

كان مرجان من موالي السلطان أويس بن الشيخ حسن الايلخاني أحد أمراء التتار، استقل ببغداد وحكومتها بعد أبيه الشيخ حسن سنة خمس[(١)] وخمسين وسبعمائة، ولما سافر السلطان أويس عن بغداد الى تبريز خرج مولاه مرجان عليه بقصد الاستقلال بحكومة بغداد وتملكها فقام عليه سيده لمحاربته فنصره الله تعالى وغلبه وفرق جمعه، ثم عفا عنه وتركه والياً على بغداد من قبله وهناك بنى تلك المدرسة العلية القدر ووقف ما كان في يده من العقارات والاراضي التي مر ذكرها في وقفيته، ولما توفي دفن في هذه المدرسة وعليه قبة مرتفعة وقبره الى اليوم لم يندرس[(١)] وكان مشهوراً بالتقوى والدين والصدقات على الفقراء والمساكين .

وأبوابه وفتح نوافذ له ، وبتجديد الرواق الذي أمامه وتوسيعه من فناء الجامع . . . وما زالت أيدي الفعلة به حتى هذه الساعة ، وقد فرغوا من الباب والمصلى ولم يبق الا الرواق ، وعسى أن يتم ذلك قريباً .

(١) لعل الصواب سبع وخمسين وسبعمائة

(١) اقول : وقد دفن في جواره العلامة السيد نعمان خير الدين الالوسي مدرس

جامع المصرف

هو مسجد صغير قرب جامع الفضل . فيه مصلى صغير وساحته كذلك. وفيه بعض الحجر ، ومدرسة ، وخزانة كتب ولم يبق منها اليوم شيء . وعلى باب المسجد هذه الابيات مكتوبة بخط حسن على الحجر الكاشاني :

لله بيت عبـــادة وتقى * رفعت قواعده على رضوى
كم راكع لله فيــــه وكم * من ساجد للفوز بالمأوى
يتلون للذكر القديم به * وكذاحديث المصطفى يروى!
قد شاده بالفضل(احمد) من * فاق الورى بسوابغ الجدوى
ناديت مذ قام الخطيب على * أعواده بمحاسن النجوى
فبرفع ذى الافلاك أرخه * أسست أحمد جامع التقوى

١٢٣٧

وهو اليوم تقام فيه الجمع والاعياد وبانيه هو احمد افندي من مأموري الحكومة ايام داود باشا ، وكان عنده مأمور المال والمصرف وهو بمنزلة صاحب الدفتر فى هذا العصر، وكان من اصحاب الخيرات والمبرات .

جامع الميدان

واقع أمام ساحة الميدان قريب من جامع المرادية (١) ويسمى ايضاً بجامع

مدرسة مرجان وصاحب المكتبة النعمانية التي جمعها ووقفها على هذه المدرسة وهي من اغنى الخزائن العلميـــة بنفائس المخطوطات والمطبوعات ، وكانت وفاته يوم ٧ المحرم سنة ١٣١٧ هـ

ثم ابنـه شيخنا القاضي الفاضل الاستاذ السيد علي علاء الدين رحمه الله وذلك في جمادى الاولى ١٣٤٠ هـ . اقرأ ترجمتهما فى كتابنا (اعلام العراق) المطبوع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ

(١) ص ٦٢

الاحمدية نسبة الى بانيه ومنشئه احمد باشا كتخدا سليمان باشا الصغير ، وكان من رجال الدولة المشار اليهم بالبنان ، ومن أصحاب الرأي والتدبير واللسان والسنان . تولى حكومة البصرة وغيرها من البلدان . فحسده بعض الموالي لما رأى ماراى من ميل الوالي اليه فقتله غيلة فى دار الحكومه عند مجيئه لزيارة الوالي حسب المراسم المعلومة وبعد أن صلي عليه دفن فى مقبرة الشيخ عمر السهروردي وذلك سنة ١٢١٠ ﻫ

وقد استحضر لبناء جامعه أشهر أساتذة عصره من الفعلة والمهندسين ، وصرف على العمارة مبالغ عظيمة ، ووقف عليه الاوقاف الجسيمة وهذا الجامع مشتمل على ساحة واسعة ، ومصلى شتآني مرتفع عن الارض نحو ذراعين مع رواق بجواره ، وعلى مصلى آخر صيفي ، وعلى حجر متصلة بسوره قد هدم قسماً منها والي البلد وهو اذ ذاك مدحت باشا واضافها الى الطريق توسعة على المارين وذلك سنة ١٢٨٥ ﻫ وعلى المصلى قبة شامخة فى الهواء بديعة الشكل مبنية بالحجر الكاشاني الملون بأنواع الاصباغ المختلفة مكتنفة بقبتين أصغر منها على شكلها بنقوش أعجزت رجال هذا الفن عن أن يأتوا بمثلها ، والكبرى مطوقة بنطاق كتب فيه بعض السور القرآنية قائمة بجنبها مئذنة تناطح السحاب أحجارها ملونة بالوان تحسبها من الاحجار الكريمة ، وفي جنب المصلى من الجهة الجنوبية مدرسة ذات طبقتين : طبقة عليا وفيها حجرة للمدرس وأخرى للطلبة وأخرى خزانة لكتبها ، وطبقة سفلى وفيها حجر يسكنها بعض الفقراء والغرباء . ويحيط بالمسجد والمدرسة سور مرتفع نحو عشرة أذرع . وفيه من الجهات الأربع أبواب تنفذ الى ساحته . ولما قتل أحمد باشا قام باكمال العمارة أخوه عبدالله بك فأتمه سنة ١٢١١ ﻫ كما نطق بذلك التأريخ المنقوش على الحجر الكاشاني فى صدر الباب الغربي.

والجامع اليوم تقام فيه الجمع والاعياد وسائر الجماعات . وفيه مدرس وخطيب وإمامان وجمع من المؤذنين والخدم .

جامع نازنده خاتون

جامع قريب من الشارع العام بين الحيدرخانة والميدان ، وهو جامع لطيف الوضع متقن البناء . له بابان باب من شرقيه وباب من شماليه . وفيه منارة وحجر ، ومدرسة . بنته السيدة نازنده زوج علي باشا الشهيد والي إيالة بغداد سنة ١٢٦٣ هـ ، وأنشأت فيه سقاية ، ورتبت له مدرساً وخطيباً واماماً وجملة من الخدم ، وفرشته بأحسن الفرش ، وعلى باب المسجد هذه الابيات نوردها على علاتها :

زوجة الشهم علي باشا الشهيد * ربة الاحسان والفضل المبين
مقصدي (نازنده خاتون) التي * قد غدا ذكر لها في الصالحين
حجت الكعبة قدماً وحظت * زورة من قبر ختم المرسلين
وبتقوى الله صرفاً قد بنت * جامعاً من مالها للمسلمين
مذ أتمته بدا تأريخه : * ادخلوا الجامع صلوا راكعين

جامع النعمانية

هذا جامع صغير قرب جامع حسن باشا واقع في الجهة الغربية منه ، فيه مصلى لطيف وعليه قبة ، وأمامه رواق وأمام الرواق المصلى الصيفي ، وفيه مدرسة ومنارة مطلة على الشارع . وهو تقام فيه الجماعات والجمع والاعياد .

بنته الحاجة فاطمة بنت السيد بكتاش بن السيد ولي ، ووقفت عليه مسقفات كثيرة وأراضي وبساتين . وقد رأيت وقفيتها مؤرخة سنة ١١٨٥هـ ، وشرطت ان يكون فيه إمام وخطيب ومدرس وعدة مؤذنين وجملة من الخدم وسقاية واسم محلة الجامع يومئذ محلة الشط . ونصبت زوجها الحاج نعمان

اغا بن الحاج ابراهيم اغا متولياً على الاوقاف ثم التولية لأبنائه بطناً بعد بطن وطبقة بعد طبقة . ولما مات زوجها دفن في هذا المسجد ونسب اليه . وهو اليوم بيد احفاده وهم ابناء عبدالغني آغا

الجامع النعماني (١)

واقع في منتصف الجادة التي تؤدي الى جامع الشيخ عبدالقادر الجيلي ، وهو من مساجد بغداد القديمة فيه منارة بيضاء مطلة على الطريق . وقد جدده الوزير داود باشا سنة ١٢٣٩ هـ وكتبت على أحد جدرانه بعد الفراغ من عمارته ثلاثة أبيات تقتصر على بيت التأريخ منها وهو :

داود دمت مؤيداً ما أرخـوا * جددت بنية جامع النعماني (؟)

جامع الوزير

اذا جاوز المار جامع حسن باشا (٢) ومشى في جادة دار الحكومة متوجهاً الى جهة الشرق لاقاه سوق فاذا مشى فيه نحو مائة خطوة رأى عن يمينه هذا الجامع الكبير مطلا على دجلة . وهو رحب الفناء ، فسيح المصلى عن شماله منارة شاهقة وعن يمينه مدرسة جميلة الوضع مطلة على النهر ، وامامه راوق مستطيل

وهذا الجامع قديم العهد وقد جدد وعمر مراراً ، وممن عمره حسن باشا

---

(١) كانت تجاه هذا الجامع ساحة واسعة جدا ، هي من اوقافه ، فاغتصبها بعض الظالمين في أواخر عهد الدولة العثمانية البائدة حيث اختلت أنظمتها فلم يكن هناك سائل ولا مسؤول ، وباعها لاحدى الجمعيات النصرانية ، فشادت فيها ــ بعد احتلال البريطانيين لبغداد ــ كنيسة الرهبان الكرمليين المرسلين . وهكذا تضيع الاوقاف الاسلامية وتصبح كنائس وحوانيت كما ضاعت من قبل اوقاف جامع مرجان وأصبح بعضها كنيسة ، و بعضها حوانيت ، و بعضها مرقصاً تسرح فيه العاهرات التشردات على مرأى من (المسلمين) ومسمع . والى الله عاقبة الامور .

(٢) ص ٣١

أحد ولاة بغداد السابقين على مادلت عليه الكتابة المنقوشة في المرمر الموضوع في صدر باب المصلى . وهذا نصها :

[بسم الله الرحمن الرحيم * إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . عمر هذا المسجد في ايام خلافة خليفة الرحمن السلطان بن السلطان السلطان محمدخان بن السلطان مراد خان خلد الله ملكه وسلطانه صاحب البناء والانشاء الغازي الوزير حسن باشا بن الوزير المعظم المرحوم محمد باشا في سنة ثمان وألف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والتحية] .

ولم يزل هذا الجامع قائم الاركان مشيد الجدران[1] تقام فيه الجمع والاعياد والصلوات المكتوبة .

ب — المساجد

مسجد الاسماعيلية

اذا تجاوز المار جامع الصاغة ، ومشى الى جهة الشرق نحو سبعين خطوة لاقاه عن شماله سوق يعمل فيها الشواء الذي تعبر عنه العامة بالكباب ، فاذا دخلها رأى عن يمينه هذا المسجد في وسطها .

وهو من مساجد بغداد القديمة العهد . فيه مصلى صغير ، وفناء واسع ، وحجر ، وفي سنة ١١١٠ هـ عمره اسماعيل باشا والي بغداد أحسن عمارة ، وفي سنة ١١٤٧ هـ أعاد عمارته اسماعيل باشا الثاني ، وكان والياً على إيالة من ذلك التاريخ الى سنة ١١٤٨ هـ ، فلذلك سمي هذا المسجد بالاسماعيلية ولم نر كتابات على جدرانه وهو اليوم تقام فيه الصلوات والجماعات الا الجمع والاعياد ، وفيه امام وجملة من الخدم .

(١) وقد تعهدت وزارة الاوقاف لعهدنا هذا مصلاه بالترميم والاصلاح ، وشادت منارته ، واتخذت من فنائه الرحب سوقا جميلا توفيرا للمال .

مسجد الخضيري

مسجد صغير قرب جامع الشيخ سراج الدين في (الصدرية) . فيه مصلى وحجر في الطابق العلوي والسفلي. وكان خرباً فجدده الحاج عبدالرزاق الخضيري أحد أكابر تجار بغداد من أهل البر والتقوى ، وقام بجميع مايقتضي له من فرش وماء وضياء وخدم ؛ وذلك سنة ١٣٠٣ هـ كما نطقت بذلك الابيات المنقوشة على جداره . وبيت التاريخ هو :

لما استتم بناؤه قد أرخوا * أسست في تقواك يوماً مسجدا !

وكانت وفاة بانيه سنة ١٣١٥ هـ تغمده الله برحمته .

مسجد الدسايل (١)

مسجد لطيف الوضع ، قديم البنيان واقع في محلة (باب الشيخ) . وهو واسع المصلى ، فسيح الساحة . جدد عمارته أبو يحيى الشيخ زكريا سنة ١٢٣٥ هـ ، وأنشأ فيه سقاية . وفيه قبره وقد كتبت عليه هذه الابيات :

سقى الله قبراً قد حوى الجود والندى * سحابة رضوان له تتجدد
وجاد له من جود فيض برحمة * يروح ويغدو دائماً ليس ينفد
فيالك قبراً حل فيه الذي له * جميع الورى بالجود والفضل تشهد
فتى كان للأيتام كهفاً وموئلاً * وكان لهم في بره يتفقد
وشيد بيتاً للاله وقد غدا * له بجنان الخلد قصر مشيد
وعمر للدين الحنيفي جامعاً * نوى فيه لايحصى ثواباً وينفد (؟)
فصبراً ذويه وابشروا انما الفتى * سعيد وفي اخراه لاشك أسعد

(١) الدسايل فرع من محلة الشيخ عبد القادر الجيلي شرقي الرصافة ، وسمي بذلك لاقامة شذاذ الدجم من بلدة دسبول فيه ، واليوم ليس لهم أثر هناك ولعلهم استمروا على طول الايام واختلاطهم بالعرب .

أجل فاحذفوا أقصى المصاب وأرخوا * ألا زكريا فى النعيم مخلد

١٢٣٥

مسجد عبد الكريم الجيلى

من مساجد بغداد القديمة قريب [١] من مسجد السيد سلطان علي . فيه مصلى واسع وعليه قبة . وساحته فسيحة ، وفيه حجر وبيوت ، وفى وسطه جنينة غناء فيها نخيل وأشجار . وفيه إمام ومؤذن وخادم.

وعبدالكريم الجيلي هذا من الصوفية له مؤلفات كثيرة في التصوف وقبره فى هذا المسجد .

مسجد نجيب الدين

هو مسجد قديم العهد فى جانب الرصافة بينه وبين دجلة طريق عام وبعض أبنية الحكومة [٢] . وهو في الجهة الغربية من بغداد واسع الساحة فيه مدرسة وحجر وفيه امام ومؤذن وخدم وفيه قبر الشيخ نجيب الدين السهروردي [٣] الصديقي وكان أعيان المحققين درس بالنظامية وتصدى للافتاء وصنف التصانيف المفيدة . وكان يلقب بمفتي العراقين وقدوة الفريقين . وكان يشرح أحوال القوم ويلبس لباس العلماء ويركب البغلة وترفع بين يديه الغاشية وهو عم الشيخ عمر السهروردي [٤] توفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة ودفن فى هذا

---

(١) في محلة المبخانة رقم ٢١-١٩٧ وقد رأيت على صدر بابه كتابة في لوح مرمر لم استطع قراءتها كلها .

(٢) الطوب العسكري بالامس والنادي العسكري اليوم .

(٣) هو ابو النجيب عبد القاهر بن عبد الله ينتهي نسبه الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ولد بسهرورد سنة ٤٩٠ هـ تقريباً وتوفي سنة ٥٦٣ . (٤) انظر ص ٥٤ .

المسجد[1] وكان يومئذ مدرسة له . ولم أر على جدرانه شيئاً من الكتابات .

مسجد الحاج نعمان الباجچي

هذا المسجد في محلة نهر المعلى الشهيرة اليوم بمحلة سبع ابكار وقد انشأه الحاج نعمان الباججي رأس التجار في الثلاثين بعد المائتين والالف من الهجرة وكان قبل أن يسمى مسجداً مدرسة تدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وقد نظم اهل العلم في وصفها اشعاراً ونثروا من لآلئ أوصافها نثارا .

ومصلى المسجد صغير وللمدرس موضع في الطبقة العليا على حديقة ليس بينها و بين دجلة سوى دار بانيها رحمه الله .

مسجد النقيب

مسجد صغير لطيف الوضع بناه السيد سلمان النقيب خارج الباب الشرقي جنوبي محلة باب الشيخ التي يسكن فيها النقباء المنتمون الى الشيخ عبدالقادر الجيلي وذلك سنة ١٣١٢ هـ وأنشأ فيه سقاية للمارين وهذا تأريخ إكمال عمارة المسجد :

يانقيباً لم تزل خير فتى	*	خصك الله برشد وهدى
أودع الله بك الخير الذى	*	بلغ الوفاد منه المقصدا
فزت مذ شيدت يوماً مسجداً	*	بنعيم دائم طول المدى
وترى الاسلام لله به	*	ركعاً طوراً وطوراً سجدا

(١) يقول ابن خلكان في وفيات الاعيان (م ١ ص ٢٩٩) : « وبنى (أي أبو النجيب) رباطاً على الشط من الجانب الغربي ببغداد وسكنه جماعة من أصحابه الصالحين ... وعاد الى بغداد وتوفي بها يوم الجمعة وقت العصر ١٧ جمادى الآخرة ٥٦٣ ودفن بكرة في رباطه » اذن فهذا المسجد ليس برباط ابي النجيب والقبر الذي فيه ليس بقبره .

فعلى نهج الهدى قد أرخوا * وعلى تقوى أقمت المسجدا

١٣١٢

وكانت وفاة النقيب صباح عيد الاضحى سنة ١٣١٥ هـ

مسجد نور الدين (١)

مسجد رصين البناء ، مشيد الارجاء ، معمور بالعبادات والطاعات . جدد رسم بنائه صاحب الخيرات (محمد نور الدين) فى سنة ١٢٥٩ هـ كما نطقت بذلك هذه الابيات المكتوبة على جداره :

جامع للاسلام في كل حين * شاده ذو الوقار والتمكين

فغدا الجامع الصغير كبيراً * إذ بنى سمكه كحصن حصين

وبناه محمد الاسم نور الـ * ـدين في صدق نية عن يقين

الامير الذي تسامى محلاً * شبل غيث الندى وليث العرين

راغب فى الخيرات خير وزير * كان فى الفضل ماله من قرين

هو شامي بلدة عز أصلاً * وانتمت ذاته لأشرف طين

ومن الشام نجله حين وافى * طالباً فى الزوراء عون المعين

قد هداه مولاه رشداً فأحيا * سنة المصطفى النبي الامين

وبهذا التعمير لازال يحظى * من نوال المولى بفتح مبين

جامع للصلاة قد أرخوه : * فاق تعميره بنور الدين

١٢٩٥

---

(١) واقع فى محلة الدوينة — الحاج فتحي .

ج - المدارس

المدرسة السليمانية

هذه مدرسة لطيفة فى جانب الرصافة من بغداد قرب [1] دار الامارة. أنشأها أبو سعيد سليمان باشا والي بغداد[2] وبنى فيها الحجر الكثيرة لطلاب العلم، ووقف عليها كتباً كثيرة معتبرة؛ وجعلها مسجداً أيضاً له إمام ومؤذن وفراش.

ومما أنشد فيها من الاشعار هذه الابيات [3]:

أنظر لآثار إفضال وإحسان * واذكر بها فضل ذي التقوى سليمان
هو الذي قد بنى للعلم مدرسة * ينحط عن سمك أعلاها السما كان!
قد أحكمها يد الاتقان رافعة * بنيانها للمعالي فوق كيوان!
شمس المعارف دارت حول قبتها * ومن ذراها بدت أقمار عرفان
بين المدارس قد أضحت نشاهدها * كروضة أينعت فى وسط بستان!
حتى غدت مطمح الانظار مذ بنيت * في وسط بغداد للقاصي وللداني
وكل من زارها قد قال مفتخراً * أنعم بمدرسة الباشا سليمان!

ومدرس هذه المدرسة مفتي بغداد [4] ولها واعظ ومحافظ للكتب.

---

(١) متصلة بجامع النعمانية (ص ٧٥) ومسجد نجيب الدين (ص ٧٩).

(٢) انظر ترجمته في ص ٤٠ و ٥٧ (٣) طرحت بعضها واقتصرت على اقواها

(٤) أقول: يعني به العلامة محمد فيضي الزهاوي (نسبة الى زهاو من اعمال كرمانشاه). نشأ في كردستان ودرس في السليمانية، وورد بغداد سنة ١٢٥٦ ﻫ فاتصل بعلمائها وأدبائها وظهر فضله فسموا له وعين مدرساً. وفي سنة ١٢٧٣ جعل مفتياً للحنفية ببغداد بدلا من امين افندي الزند وبقي في هذا المنصب حتى وفاته يوم ٤ جمادى الاولى سنة ١٣٠٨ ﻫ وقد تجاوزت سنه التسعين. وكان يعد من كبار

المدرسة العلية

هذه المدرسة كانت روضة من رياض الجنة ، يدرس فيها كل فن ولاسيما فنون الكتاب والسنة ، وهى على دجلة غربي جانب الرصافة كان فيها مصلى ومحل واسع للتدريس وحجر فى الطبقة العليا والسفلى لطلبة العلم وسكناهم ، وكانت تقام فيها الصلوات والجماعات ، وفيها مدرس وخطيب وإمام وخدم.

أنشأها علي باشا الشهيد وكان والي بغداد تولى حكومتها خمس سنوات من سنة ١٢١٧ الى سنة ١٢٢١ ثم قام عليه الموالي فقتلوه . ومن الكتابات التي كانت على الجدران : (بسم الله الرحمن الرحيم * ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون . قد أمر بانشاء هذه المدرسة لتدريس العلوم الدينية ، وتعليم الفنون العقلية والنقلية، عاد الوزراء ، وامير العلماء ، محب العلم واهله ، لتقواه وفضله ، الوزير الاعظم،والامير الافخم ، والي إيالة العراق،ومدبر امورها على الاطلاق: ابو المعالي

علماء بغداد فى العلوم العقلية كالكلام والمنطق والحكمة اليونانية مع مشاركة له في العلوم النقلية. وتخرج به كثير من الاكراد وغيرهم ولم يصنف شيئاً وله في ذلك يقول:

دق تدريسي عن التأليف لكن * لست من ذلك قط متأسف
من تلاميذي ألفت كتاباً * كل سطر منه في العلم مؤلف

وكان فى معتقده يميل الى مذهب السلف ويرجحه لانه الأحكم والأعلم ، وكان كثيراً ما ينشد :

وقصارى أمر من أو * ل أن ظنوا ظنونا
فيقولون على الرحـ * من ما لايعلمونا

وينشـــد :

لا تدع في حاجة بازاً ولا أسدا * الله ربك لاتشرك به أحدا

وتفصيل ترجمته في كتابنا الكبير (مشاهير العراق في القرن الثالث عشر ونصف الرابع عشر) وهو غير (أعلام العراق) الذي طبعناه فى مصر حديثاً .

والمحاسن علي باشا والي بغداد ، أناله الله تعالى من الخير كل مراد ، و لما تشيد منها البنيان، وقامت منها الاركان، حتى اصبحت كأنها روضة من رياض الجنان، وسطعت عليها أنوار العلم والعرفان ، أرخنا كمالها فى سنة ست وسبعين ومائة والف (؟) من الهجرة النبوية).

وهذه المدرسة قد اندرست اليوم ولم يبق منها اسمها ولا رسمها ، وذلك أن مدحت باشا والي بغداد سنة ١٢٨٥ غيرها وجعلها مدرسة للصنائع (١) ومطبعة ، وهدم عمارتها وعمرها على طرز آخر ونقل ما كان فيها من الكتب الى محل آخر . وباني المدرسة مدفون فيها ، وفيها قبور كثير من الصالحين وقد اندرست .

المدرسة المرادية

هي مدرسة كبيرة ، رصينة البناء ، واقعة أمام جامع الحيدرخانة يفصل بينهما الشارع العام . كانت مسكناً لمراد افنـدي احد رجال الدولة العثمانية وأمرائها ، فلما توفي وقفته زوجه نائلة خاتون واتخذته مدرسة تشتمل على غرف كثيرة وعلى مصلى للعبـادة ، ووقفت عليه بساتين وعقارا ، ورتبت فيه مدرساً واماماً ومؤذناً وخدما واجرت لهم الجرايات ، واشترطت أن يوجد فى المدرسة نحو عشرين طالبا ليلاً ونهارا وخصصت لهم ما يكفيهم . وقد كتبت على الباب هذه الابيات :

دع ذكر (نازندة)(٢) فى وقتها ✻ وما بنتـه من بنـاء جميـــل
وانظـر الى ماقد بنت بعدهـا ✻ (نائلة) الخير بـبــاع طويل
وأوقفت لله مـــذ أوقفت ✻ مدرسة ليس من مثيـل

(١) وقد انقلبت في هذه الايام الى دار يسكنها الملك بعد أن رممت وأصلحت وصرفت عليها أموال طائلة .

(٢) يشير الى نازنده خاتون بانية الجامع الذي مر ذكره فى ص ٧٥ .

وشيدت أركانها حسبة * والله يجزيهـا الجزاء الجزيل
فأصبح العلم مقيما بهـا * مخيما ليس يريد الرحيـل!
ليهنها ان سلكت فعلها * في طرق الخيرات قصد السبيل!
قد قلت لمـا كملت أرخوا * نائـلة نلت مرادا جيـل[1]

١٢٩١هـ

المدرسة المستنصرية

هذه مدرسة عظيمة الشأن ، مطلة على دجلة ، متصلة بجامع الآصفية[2] لايفصل بينهما سوى جادة السوق وباب الجسر حتى قيل إن هذا الجامع كان منها ومن مرافقها ومتمماتها وهو في غربيها .

أنشأها أبو جعفر المستنصر بالله الخليفة العباسي رحمه الله تعالى دل على ذلك ما كتب على جدرانها مما هو باق الى اليوم . منها ما كتب فوق طاق الباب الجنوبي . وهذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم * قد أنشأ هذا المحل رغبة في « إن الله لايضيع أجر من أحسن عملا » وطلباً للفوز بجنات الفردوس التي أعدها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلا ، سيدنا ومولانا إمام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، أبو جعفر المستنصر بالله أمير المؤمنين ، شيدالله معالم الدين بخلود سلطانه ، وأحيا قلوب أهل العلم بتضاعف نعمه وإحسانه ، وذلك في سنة ثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله) .

ومنها ما كتب على الجدار المطل على دجلة من الخارج وهو مما بقي ايضاً الى اليوم وهذا نصه :

---

(١) وقد تداعت للسقوط فجددتها وزارة الاوقاف في السنين الاخيرة .

(٢) ص ٢٨

(بسم الله الرحمن الرحيم * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون . هـذا ما أمر بعملة أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، الذي طبق البـلاد إحسانه وعدله ، وغمر العباد بره وفضله ، أبو جعفر المنصـور المستنصر بالله قرن الله تعالى أوامره الشريفة بالنجح واليسر ، وجنوده بالتأييد والنصر ، وجعل لايامه المخلدة جداً لا يكبو جواده ، ولآرائه المجددة سعداً لا يخبو زناده ، في عز تخضع له الاقدار فيطيعه عواصيها ، وملك تخشع له الملوك فيملك نواصيهـا ، وذلك في سنة ثلاثين وستمائة وصـلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعترته وسلم تسليما).

وقد أحدث امام هذه الكتابة بعض الابنية فبقيت خلفها والله المستعان (١)

(١) تنبيه : ذكر الاستاذ بعد هـــذا الكلام ان كثيراً من المؤرخين وصفوا هذه المدرســة منهم الشيخ عبد الرحمن الاربلي في (خلاصة الذهب المسبوك في ذكر سير الملوك) ، وابن الساعي في (تاريخ بني العباس) ، ثم نقل كلام هـــذا في وصف المستنصر بالله وأورد بعده ما قالاه في وصف المستنصرية والساعة التي كانت في صفة مدرسة الطب التابعة لها . ثم نقل عن بعض المؤرخين كلاماً نحو ذلك ولكنه أوجز وأتبعه بقصائد لابن أبي الحديد وغيره في المستنصر بالله ومدرسته فلخص الشروط فوصف الساعة ايضاً فذكر وفاة المستنصر بالله فلخص ماجرى على المدرسة الى عصرنا . وقد وقفنا نحن على تفاصيل لم نرها فيما اورده الاستاذ وردت في جزء من تاريخ الصفدي محفوظ في المكتبة الاحمدية بحلب ونشرها محمد راغب الطباخ في مجلة المجمع العلمي م ٤ ص ٤٠ وما بعدها ، وعلى وصف الساعة أيضاً في مجلة الزهراء (م ٣ ص ٢٥٤) وقد نقلته عن جزء قديم مجهول الاسم والمؤلف من مخطوطات الخزانة التيمورية بالقاهرة . فجمعنا بين ذلك كله وحذفنا الزوائد المكررة على ماترى . وقد ورد ذكر المستنصرية وخزانة كتبها في كتاب ابن الفرات ومنه نسخة في روما وفي كتاب نزهة القلوب بالفارسية المستوفي وليسا لدي فانقل عنهما .

وكثير من المؤرخين قد نوه بشأن هذه المدرسة ونحن نذكر ماوقفنا عليه بعد بذل الجهد ومزيد التنقير .

قال الصلاح الصفدي في تاريخه المرتب على السنين في حوادث سنة ٦٣١ هـ :

« في هذه السنة فتحت المدرسة المستنصرية ببغداد ونقل اليها جميع مايحتاج اليه من الفرش والقناديل والربعات والمصاحف بالخطوط المنسوبة. قال ابن الساعي : حمل اليها من الكتب مائة وستون حملا سوى ما نقل اليها بعد ذلك وسوى ما أحضره أرباب الدولة والمتمولون من كتبهم تقربا الى قلب الخليفة . وحضر الوزير وارباب الدولة وسائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والقراء والوعاظ وأعيان اهل بغداد والشعراء وجماعة من التجار والغرباء [وعين الشيخ عبدالعزيز لاثبات الكتب واعتبارها وولده ضياء الدين احمد الخازن بخزانة كتب المستنصر التي في داره فرتبها أحسن ترتيب مفصلا لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها[1]] ورتب محيي الدين بن فضلان مدرس الشافعية ، ورشيد الدين عمر بن محمد الحنفي للحنفية ، ومحيي الدين ابن الجوزي للحنابلة ، وأبو الحسن علي المغربي للمالكية . وخلع عليهم وعلى سائر الفقهاء ، ورتب شمس الدين علي المعروف بابن الكتبي خازناً [والعماد علي بن الدباس المشرف والجمال ابراهيم ابن حذيفة المناول] ومد سماط فيه من سائر الاطعمة والحلويات وغريب المآكل .

وشرط الواقف عظم الله أجره أن يكون (عدة الفقهاء) بها مائتين وثمانية

(١) ماتراه بين هاتين العلامتين [ ] فقد زدناه من كتب اخرى تنقل عنها الاستاذ المؤلف .

وار بعين رجلا من كل طائفة اثنان وستون ، وأن يجري لكل واحد منهم فى كل يوم ار بعة ارطال خبزاً وغرف طبيخ مما يطبخ في مطبخها وفي كل شهر ديناران غير الحلوى والفاكهة والصابون والزيت .

وأن يكون (لكل طائفة) مدرس واربعة معيدين ، وأن يكون لكل مدرس فى كل يوم عشرون رطلا من الخبز وخمسة ارطال من اللحم بخضرها وحوائجها وحطبها وفى كل شهر اثنا عشر ديناراً ، وان يكون لكل معيد فى كل يوم سبعة ارطال خبزاً وغرفان طبيخا وفى كل شهر ثلاثة دنانير .

وأن يكون فى (دار القرآن المجيد) شيخ يلقن القرآن وثلاثون صبياً أيتاماً ، ومعيد يحفظ الثلاثين ، ويكون للشيخ كل يوم سبعة ارطال خبزاً وغرفان طبيخاً وفى الشهر ثلاثة دنانير ، وللمعيد فى كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طبيخاً وفي كل شهر دينار وعشرون قيراطاً ، وللصبيان لكل صبي فى كل يوم ثلاثة ارطال خبزاً وغرف طبيخاً وفى كل شهر ثلاثة عشر قيراطاً وحبة .

وأن يكون في (دار الحديث النبوي) شيخ عالي الاسناد يشغل بعلم الحديث وقارئ وطلبة ، ويكون للشيخ المسمع فى كل يوم ستة ارطال خبزاً ورطلان لحما وفى كل شهر ثلاثة دنانير وللمشتغلين لكل واحد منهما (؟) في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طبيخا وفي كل شهر ديناران وعشرة قراريط ، وللقارئ فى كل يوم اربعة ارطال خبزاً وغرف طبيخا وكل شهر ثلاثة دنانير ، وللطلبة أسوة الأيتام الذين يتلقون القرآن فى الخبز والغرف والمشاهرة .

وأن يكون (لخازن الكتب) فى كل يوم عشرة أرطال خبزاً واربعة لحما وفى كل شهر عشرة دنانير .

وأن يكون (للمشرف) على هذا الخازن فى كل يوم خمسة ارطال خبزاً ورطلان لحما ، وفي كل شهر ثلاثة دنانير .

وأن يكون (للمناول) في هـذه الخزانة في كل يوم اربعة ارطال خبزاً وغرف طبيخا وفى كل شهر ديناران .

وان يكون بها (نحوي) يشغل بعلم العربية يكون له في كل يوم ستة ارطال خبزاً ورطلان لحماً بحوائجها وخضرها وحطبها وفى كل شهر ثلاثة دنانير .

وأن يكون بها (طبيب) حاذق يشغل عشرة أنفس بعلم الطب أسوة طلبة الحديث فى الخبز والطبخ والمشاهرة . [وجعل لهم الاكحال السائلة و بنيت لهم صفة فاخرة مقابلة للمدرسة يجلس فيها الطبيب فيقصده المرضى فيداويهم] .

وأن يكون بها من كل طائفة (إمام) يصلي بهم ، و (قارئ للسبعة) و (داع) يدعو . وأن تضاعف المشاهرات فى رمضان ، وأن يكون (للناظر) المرتب بها في كل يوم عشرون رطلاً خبزاً وخمسة أرطال لحماً بحوائجها وخضرها وحطبها وفى كل شهر اثنا عشر ديناراً ، و (للمشرف) فى كل يوم عشرة أرطال خبزاً وثلاثة أرطال لحماً وفى كل شهر سبعة دنانير . و (للكاتب) في كل يوم مثل المشرف و (معمارية) و (فراشون) و (بوابون) و (حمامي) و (مزين) و (قيم) و (طباخ) و (غلام) و (خازن الآلات) و (خزنة الديوان) و (غلمان الديوان) و (مزملاتي) و (مؤذن) و (نفاط) . وقرر لهؤلاء كلهم جرايات ومشاهرات .

وأما الدار المجاورة لهذه المدرسة في الحد الأعلى منها فلم يرَ مثلها أحد ، ولا لادراك وصفها أمد » .

قال الصفدي : وهذه الشروط نقلتها من تاريخ ابن الساعي . انتهى .

ونقل السيوطي عن الذهبي أنه قال : بلغ ارتفاع وقوف المستنصرية فى العام نيفاً وسبعين الف مثقال .

وكان ابتداء عمارتها في سنة ٦٢٥ هـ وتمت في سنة ٦٣٠ هـ وقد أنفق عليها أموالاً طائلة وتولى عمارتها مؤيد الدين أبو طالب محمد العلقمي ، وفتحت يوم الخميس في رجب باحتفال مهيب حضره الخليفة ورجال الدولة والقضاة والعلماء والادباء وكان يوماً مشهودا .

وقد أنشد الشعراء قصائد غرآء منهم الحسين بن مجد الدين حسن بن الحسين الطاهر الكوفي الشاعر الشهير على ما قاله السيد الشريف تاج الدين ابن محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني نقيب حلب فى كتابه (غاية الاختصار فى أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار) وهى :

سمعاً أمير المؤمنين * لمدحتي وثنائها
لك مكة وجميع ما * يأوي الى بطحائها
سبقت بفرعك هاشم * وسموت فى عليائها
أدناك خير رجالها * شرفاً وخير نسائها
عمرت مدرسة أمرت * بسمكها وبنائها
سرت عيون الناظرين * بحسنها وبهائها
ليست مدارس من مضى * فى الحسن من نظرائها
ووسمت بالمستنصريـ * ـة منتهى أسمائها
سمة مقدسة لما * ضمنت حروف هجائها
فخلدت مثل خلودها * وبقيت مثل بقائها

وللعلامة ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة :

ما مثل الفلك العظيم لمبصر * فى الأرض قبل إيالة المستنصر
هذا بناء معرب عن قدره * رفعت قواعده بفعل مظهر
حسدت به الأرض السماء ولم يزل * حسد الفضائل من طباع العنصر

أنظر تجد نظم الثريا فى ذرى * شرفاته وضياء نور المشتري
ضحك الزمان وذاك بعد عبوسه * ورأى الصواب وذاك بعد تحير
فالافق بين مذهب ومفضض * والجو بين مكوفر ومعنبر
والأرض حاسرة القناع كأنها * خود تبرج فى رداء أخضر
تزهو بها عمر الخليفة فوقها * علماً لأحكام البشير المنذر
بالجانب الشرقي بالشاطئ الذي * هوطور سينا كل صاحب منبر

ومنها :

ماحق دجلة أن تفوه بلفظة * قهرت وأي مساجل لم يقهر
غلب العطاء الماء فيها وانثنى * سداً يفوق صناعة الاسكندر
إن أصبحت بحراً فان بنانه * باضافة المعروف خمسة أبحر
وضع الامام أساس بنائه * والموج بين مجمجم ومزمجر
قصراً ومدرسة لمن طلب الغنى * أو رام شأو العالم المتبحر
هى جنة الفردوس يجري تحتها * من ماء دجلة ماء نهر الكوثر
حصباؤها در النظام وتربها * مسك الجنوب وطينها كالعنبر
لبس الغني بها شهادة ماهر * وغدا المقل مزاحماً للمكثر
لم تخل من حبر وشيخ فاضل * يروي الحديث وساجد ومعفر
قد كانت الفقهاء قبل بنائها * فى كل قطر واحد لم يذكر
فرقاً يشق على المريد طلابها * فى الشرع والمطلوب كالمتعذر

وله فى مدح المستنصر بالله وذكر فيها فتح المدرسة المستنصرية :

أبيت فلا أقوم على الصغار * وبالمستنصر الملك انتصاري
وكيف أخاف دهري بعد حجي * الى حرم الخليفة واعتماري !
سأبلغ كل إيثاري بمدحي * لسدته وأدرك كل ثاري

إمام هدىً اذا افتخرت معد * بعقر النيب واللبن السمار (١)

أتى بالفخر فى شرف مطال * وصيت فوق كيوان (٢) مطار

وعد من الأب الأدنى ملوكاً * الى العباس ثم الى نزار

كما اطردت أنابيب العوالي * وما التطمت أواذي [٣] البحار

بآباء أباة للدنايا * وأبناء بناة للفخار

وجوه مثل أقمار وضاء * وأيد مثل أنواء [٤] غزار

لها فى المنفسات حروب عبس * وأيام كأيام الفجار [٥]

أمير المؤمنين لك التهاني * تجدد فى رواح وابتكار

ولا برح الزمان لمن يواري * لك البغضاء مشبوب الأوار

وأعناق الملوك لديك إما * بذل أو بقتل أو اسار

فجودك أوسع الأيام خصباً * وكانت قبل صائمة القطار

وعدلك أمن الدنيا وكانت * كأيام النسار أو الجفار [٦]

ومذ أنشأت (دار العلم) قلنا * عرين الليث جل عن الوجار (٧)

جرى الوادي فطم على قريٍّ * صغير بين أنهار كبار (٨)

وأطرق ياكرا (٩) إما رأينا * نعام الدو فى هذي (١٠) الديار

---

(١) الكثير الماء ، والنيب جمع ناب : الناقة المسنة . (٢) زحل . (٣) أمواج .
(٤) النوء المطر . (٥) من أيام العرب (٦) من ايام العرب أيضاً .

(٧) جحر الضبع وغيرها (٨) قري الماء كغني مسيله من التلاع وجرى الوادي فطم على القري مثل يضرب عند تجاوز الشيء حده (٩) اطرق كرا مثل وتمامه ان النعامة فى القرى . والاطراق : خفض النظر والكرا طائر شبيه البطة لاينام بالليل فسمي بضده من الكرا وقيل يصيدونه بهذه الكلمة فاذا سمعها يلبد في الارض فيلقى عليه ثوب فيصاد . وهو يضرب للذى ليس عنده غناء ويتكلم فيقال له اسكت وتوق انتشار ماتلفظ به وقيل يضرب لمن تكبر وتواضع من هو اشرف منه ومعنى ان النعامة فى القرى أنها تأتيك فتدوسك باخفافها . (١٠) الدو : الفلاة.

تضاءلت المدارس إذ رأتها * وباءت بالمذلة والصغار
ولو كانت تطيق لها سجوداً * لتربت الترائب بالغبار
أقول لصاحبي لما رآها * أنخ بذرى المشقر من طمار
وقد جئنا الى محراب سيف * لخمر إذ دخلت الى ظفار [1]
يرد الطرف منظرها حسيراً * كأن الشمس في شرف الجدار
وما كنا نصدق أو رأينا * بان الارض تسكنها الدراري
مخيمة على نهر المعلى [2] * فدجلة لا المنيفة فالضمار [3]
فكم دين قويم شدت فيها * وكم حبل عقدت بها مغار [4]
أعدت بها هلال العلم بدراً * وقد لقحت به ظلم السرار
وأوضحت المنار لطالبيه * وقدماً كان مجهول المنار
فدم واعمر لها الفي نظير * فكم بعد العشية من عرار
وهل هي غير عزم منك ماض * تناط الى زناد منك وار
اليك تجمعت سبل المعالي * كمجتمع السيول الى القرار
وأنت الدهر يخفض كل عال * بقوته ويمسك كل هار
ويبرم مايشاء بلا اعتساف * وينقض مايشاء بلا اقتسار
يداك الضرتان على المعالي * فما تثني اليمين من اليسار
فطوراً من سيوب ندى ممير * وطوراً من سيول دم ممار

---

(١) في المثل من دخل ظفار حمر يضرب للرجل يدخل في القوم فيأخذ بزيهم ، وظفار كقطام قرية باليمن وحمر تكلم بالحميرية (٢) محله اليوم بالرصافة يسمى سبع ابكار
(٣) يشير الى قول الشاعر :

اقول لصاحبي والعيس تهوي * بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

(٤) محكم الفتل .

وجدك مطعم الطير الموافي * وقاري الوحش في البيد القفار
وحامي أحمد والخيل تردى * بخرصان كأطراف المدار
وقد لمح المغامر في حنين * منيته فحن الى الفرار
وشافع أهل مكة إذ أتتهم * من المختار قاصمة الفقار
وكم لك من أب غمر[1] جواد * بطين[2] الشوط مأمون العثار
بعيد نومه الا غراراً * وفي الاعداء مفتوق الغرار[3]
يراوح بين محراب بليل * يقوم به وحرب في نهار
ويكره أن يقر له قرار * محافظة على دار القرار
وميمون نقيبته ولكن * على الاعداء أشأم من قدار
ويخلق حين يعزم ثم يفري * اذا خلق العزيمة غير فار[4]
مناسب حلقت عن ذي رعين * وغضت من جلالة ذي المنار[5]
وناطحت النجوم فلم ينلها * أبو كرب وآكال المرار[6]
وكم فرع نضير إن عددنا * قديكم وكم اصل نضار
وقد وزر الصدور لكم قديماً * ولكن اين غنم من غفار[7]
ندمت على اختيارك الف عام * وكنت على زمانك بالخيار
دعاء مخالص يهدي اليكم * لآلئ لم تدنس بالسفار
قلائد نزهت عن كل عيب * كما نزهتم عن كل عار

---

(١) بالفتح كثير المعروف سخي . (٢) واسع .(٣) الغرار الاول بمعنى قليل والثاني حد الرمح والسهم والسيف . (٤) يخلق : يقدر ويفري : يقطع .(٥) ذو رعين وذو المنار : من ملوك حمير . (٦) ابو كرب من التبابعة واكال المرار أو آكل المرار لقب حجر بن معاوية الاكرم بن الحرث بن معاوية وهو جد فحل الشعراء امرئ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار.(٧)غنم وغفارقبيلتان.

وعن (عبدالحميد) نشأن فيكم * وليس ولي مروان الحمار [1]
ثار قبله ماظن خلق * بأن الشهب تدخل في ثار
بقيت وعشت يامولى الموالي * كما عاش ابن عاد فى وبار [2]
تدوم لنا فتغنينا وتبقى * بقاء الدهر والفلك المدار
وأهلا بالوزير لكم وسهلا * سقى أيامه صوب السواري
ولا نسي الآله له جهاداً * أعاد الملك مخنط العذار
اذا امهى [3] سنان العزم أغنى * عن السمر المثقفة الحرار
وان ناجى بالفاظ مشيراً * فقل ماشئت بالاري المشار [4]
وان سدكت [5] بجبار يداه * فيالله من قتل جبار [6]
سوار صفته ليد المعالي * وما حسن الذراع بلا سوار
وسيف شمته لطلى الاعادي * كما شام ابن عمك ذا الفقار [7]

وقد رأى ابن بطوطة الرحالة عند مروره على بغداد المدرسة المستنصرية وسمع التدريس فوصفها فى رحلته فقال : ذكر الجانب الشرقي منها وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة وأعظم اسواقها سوق تعرف بسوق الثلاثاء كل صناعة فيهاعلى حدة وفي وسط هذه السوق المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الامثال تضرب بحسنها وفى آخرهاالمدرسة المستنصرية ونسبتها الى أمير المؤمنين المستنصر بالله ابي جعفر وبها المذاهب الاربعة لكل مذهب ايوان

---

(١) ولي مروان هو عبدالحميد الكاتب العربي المشهور شيخ الكتاب الاوائل قتله السفاح سنة ١٣٢ هـ وترجمته في وفيات الأعيان (م ١ ص ٣٠٧)

(٢) أرض بين اليمن ورمال يبرين كانت منازل عاد .

(٣) امهى الحديدة : احدها وسقاهاالماء . (٤) الاري العسل . والمشار : المستخرج من الوقبة (٥) سدك به كفرح لزمه (٦) بالضم الهدر . (٧) الطلى: الرقاب وشام السيف : استله

فيه المسجد وموضع التدريس وجلوس المدرس في قبة خشب صغيرة على كرسي عليه البسط ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لابساً الثياب السود معمّاً وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل مايمليه وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الاربعة وفى داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة ودار الضوء[1] اهـ

ساعة المستنصرية

كان من فروع المستنصرية وتوابعها مدرسة للطب ومستشفى ، وهما عبارة عن ايوان مقابل لها عمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب ، وعنده جماعته الذين يشتغلون بعلم الطب ، ويقصده المرضى فيداويهم .

وقد كمل بناء هذا الايوان والصفة فى سنة ٦٣٣ ، و بني فى حائط هذه الصفة دائرة ، وصورت فيها صورة الفلك ، وجعلت فيها طاقات لطاف لها أبواب لطيفة : وفى الدائرة بازان[2] من ذهب فى طاسين من ذهب . ووراءهما بندقتان من شبه[3] لايدركهما الناظر .

فعند مضي كل ساعة ينفتح فم البازين ، وتقع منهما البندقتان ، وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب تلك الطاقات ، والباب مذهب فيصير حينئذ مفضضاً . واذا وقعت البندقتان في الطاسين ذهبتا الى مواضعها ، ثم تطلع أقمار من ذهب فى سماء لازوردية في ذلك مع طلوع الشمس الحقيقية ، وتدور مع دورانها وتغيب مع غيبوبتها . فاذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها : كلما مضت ساعة تكامل الضوء فى دائرة القمر ثم يبتدئ فى الدائرة الأخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس ، فتعلم بذلك اوقات الصلوات .

---

(١) لعله دار الوضوء .

(٢) تثنية « بازي » الطائر المعروف . (٣) هو النحاس الاصفر .

وقد نظم الشعراء في ذلك قصائد منها قول بعضهم يمدح المستنصر بالله ويذكر الساعة ، وهو :

يا أيها المنصور ، يا مالكاً * برأيه صعب الليالي يهون
شيدت لله ورضوانه * أشرف بنيان يروق العيون
إيوان حسن وضعه مدهش * يحار في منظره الناظرون
صور فيه فلك دائر * والشمس تجري مالها من سكون
دائرة من لازورد حكت[1] * نقطة تبر فيه سر مصون
فتلك في الشكل وهذي معاً * كمثل هاء ركبت وسط نون

وجاء[2] في حوادث سنة ٦٨٣ من الجزء القديم المجهول الاسم والمؤلف[3] الذي أشرنا في حاشية (ص ٨٦) ان نور الدين علي بن ثعلب الساعاتي توفي في تلك السنة وكان يتولى تدبير الساعات التي تجاه المستنصرية ، وان مولده كان سنة ٦٠١ هـ . وورد نحو ذلك في كتاب الفوائد البهية (ص ٢٦) عند ترجمة ابنه احمد بن علي بن ثعلب بل قال ان علياً هو الذى عمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد .

ملخص ما جرى على هذه المدرسة الى عصرنا

لم تزل هـذه المدرسة على ما كانت عليه زمن منشئها الى ان حدثت حادثة التاتار[4] ، وخراب بغداد على ايدى الفجار ، وما كان فيها من سفك الدماء ، وقتل الانفس ، وتخريب الديار ، ونهب الاموال ، وسبي النساء والاطفال ، وغير ذلك مما هو مفصل في كتب التأريخ ، فجميع ما كان في هذه المدرسة

---

(١) لعله : حوت . (٢) من اضافات المهذب . (٣) يرى بعض الباحثين ان هذا الكتاب هو (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) للمؤرخ البغدادي قوام الدين عبدالرزاق المعروف بابن الفوطي . (٤) سنة ٦٥٦ هـ .

من كتب وفرش ومرافق قد نهبه جند العدو المخذول ، بل من الكتب مارموا به الى دجلة قهراً لاهل العلم والدين ، وبعد ان تولى امر بغداد من تولى عاد شمل المدرسة ولعلها الى ما كان عليه ، ولم تزل مجمع الافاضل والفضائل الى ان دخل العراق في حوزة الدولة العثمانية فهنالك اختل أمر المدرسة وانتظامها ، وغابت من افقها شمس العلم ، وتفرق عنها جموع الطلبة والمشتغلين ، وخلت ربوعها من العلم والعلماء العاملين ، لاستيلاء يد الظلم على عقاراتها وسائر ضياعها ومبراتها ، فلم يبق المشتغلين مايسدون به فم حوائجهم، فعدلوا عما كانوا عليه من مسلكهم ومناهجهم . غير أن بنيان المدرسة ووضعها على ما كانت عليه ايام انشائها ومبدأ تأسيسها وبنائها من هاتيك الرصانة والبنيان المتين الذي يخيل لرائيه انه جبل مكين[1] ؛ ولم تزل ربوعها خالية من الانيس ومجالسها لايسمع فيها صوت تدريس الى ايام ولاية أبي سعيد سليمان باشا والي بغداد وباني (المدرسة السليمانية [2]) فجعل المدرسة المستنصرية خاناً ووقفها على مدرسته في جملة ماوقف عليها من العقارات الكلية اخماداً لنورها ونسياناً لذكرها ، ولم تزل موسومة من يومئذ بخان الموصليين ، ولولا ما كتب على الجدران لم يعلم انها المدرسة التي انشأها أبو جعفر امير المؤمنين . ومن أمد غير بعيد استأجرها من دائرة الوقف المجلس العسكري وجعلها مخزناً لملابس الجنود وادوا اجارة الوقف عدة سنوات ، ثم قطعوا ذلك وأعرضوا عن الاداء الى ان تجرأوا على بيعها الى دائرة الرسومات من غير استئذانه ، وذلك سنة احدى عشرة بعد الثلاثمائة والالف من الهجرة ، بعد ان كان قسم منها بيد

---

(١) أقول : ولم يبق منها اليوم الا نحو نصفها ، والباقي اغتصب واصبح أسواقاً وحوانيت ومخازن . ومن جملة ذلك سوق الرماح وسوق دانيال وسوق الموطانة وقهوة الميز والادارة النهرية ومنه ايضاً جامع الآصفية المتقدم ذكره . (٢) ص ٨٢ .

هانيك النظارة [1] واهل بغداد ساهون لاهون لايدرون مايصنعون .

ولاشك أن سلطان المسلمين وأمير المؤمنين لاينشرح بمثل هذه الامور التي منها السماء تمور ، فانه أيده الله كثير المبرات غزير الصدقات محب لآثار الاقدمين ، ولا سيما مثل هذا المحل المقدس الذي كان ينبوع الصالحين !

وقد أسف لذلك كل ذي دين ، وبكتها الاقلام بدمع معين ، وانشد شاعر مصرنا (معروف) الاسم واللقب راثياً لهذه المدرسة وشاكياً عن لسانها وباكياً عن عينها :

---

(١) قلت : وظلت دائرة الاوقاف ساكتة عن امرها حتى سنة ١٣٢٩ هـ فرفعت الدعوى وشهد خمسون شاهداً عدلا بانها وقفت من قبل سليمان باشا على مدرسته فحكم القاضي (وهو يومئذ محمد عاصم بك) بردها وقفاً بشهادة التواتر والوقفيات وذلك فى اليوم الثالث من شهر ربيع الثاني ١٣٢٩ هـ وأرسل اعلام الحكم الى الاستانة ليصدقه شيخ الاسلام الرسمي فسدل عليه حجاب النسيان حتى شبت نار الحرب العامة واحتل البريطانيون بغداد سنة ١٣٣٥ ثم كانت الحكومة العراقيـــة وعلى رأسها الملك الهاشمي فرجونا اعادتها الى سالف عزها بل زارها الملك قبل تشكيل حكومته يوم كان اميراً واقيم فيها احتفال عظيم وانشد الشعراء بين يديه القصائد الرنانة طالبين منه احياء هذا المعهد العلمي الجليل ثم مضت على ذلك ايام وتلتها اعوام فلم تر وزارة الاوقاف بداً من المطالبة بيدل اجارتها اوتسليمها وذلك عام ١٣٤٤ هـ فامتنعت وزارة المال مدعية انها ملك لها فرفعت الاوقاف الدعوى عليها فى المحكمة الشرعية فشهد بوقفها جم غفير من الثقات وابرزت الوثائق الرسمية ولكن « القاضي الشرعي » متع الله به رد دعوى الاوقاف ولم يصغ الى شهادة التواتر فاضطرت الاوقاف الى تمييز هذا الحكم الجائر بل الفاسد فاحال مجلس التمييز الشرعي الدعوى الى محكمة سامراء الشرعية فحكمت للاوقاف وتم لها الامر ، وقد حدثني معالي الوزير أمين عالي بك بان في النية جعلها مدرسة ومكتبة عامة يجمع فيها كل مافي خزائن الجوامع من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، اخذ الله بيد انصار العلم والادب .

أما لزماني الماضي ارتجـــاع * أما لمشتت الشمل اجتماع ؟
زمان ضربت فيه من المعالي * رواقاً للعـــلوم به اتساع
وكنت مشيدة الاركان حتى * بناني لايخـاف له انصداع
وكان لواء مجـدي في البرايا * على هام السماك له ارتفـاع
وكم قدماً هزمت جيوش جهل * وعدت ومن مواضي اليراع
وكم قـد كان للاقوام طراً * لغيث الفضل في ربعي انتجاع
فألوت بي يد الحدثان حتى * خلت مني المرابع والبقـاع
ومرت بالهوان علي تعدو * ليال ما لأنجمها شعـــاع
رميت بهـا بثالثة الاثافي * وصرت بكل حادثة أراع
وضيعني الألى عرفوا بمجدي * وبي كم قد غدا لهم انتفـاع
وبعد اولئك العلماء صارت * بعين الجهـل ترمقني الرعاع
وبعت بأبخس الاثمان بيعاً * على زهد كما بيع المتـــاع
فيابغداد كيف نبذت عهدي * (كما نبذت براذتها الصناع)
وكيف لديك ساغ حرام بيعي * (لحاك الله هل مثلي يباع)
اعندك لم اكن قدراً اداني * (سكاب فلا أعار ولا أباع)
فها أنا فيك أنشد عند بيعي * (اضاعوني وأي على أضاعوا)

ترجمة مؤسس المستنصرية

هو أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله، بويع بالخلافة بعـد وفاة أبيه سنة ٦٢٣ هـ ولقب بالمستنصر بالله، فسار سيرة أبيه فبسط العدل، ورفع المكوس، وأعاد الأملاك المغصوبة الى أصحابها، وفعل كثيراً من الخيرات والمبرات، فكان مثال الخلفاء العادلين حتى بالغ ابن كثير وقال: إنه أعاد سنة العمرين ولم يل بعـــد عمر بن عبدالعزيز مثله لـكن

لم تطل مدته (١) .

وقال ابن الساعي « وما زال الدين في أيامه باهر المطالع ، عامر المراتع ، وكان مواظباً على الصلوات فرضاً ونفلاً ، مكثراً من الصلات إنعاماً وفضلاً ، يعظم أهل الدين وينفق على أربابه ، ويحب أهل الأدب ويقرب من طلابه ، ومباره دارة عليهم ، وصدقاته واصلة اليهم ، وتنبهت الهمم في أيامه وأزداد المشتغلون بالعلوم رغبة واشتغالا ، ووسعهم بعطاياه العميمة كرماً وإفضالاً ، وحن على الأئمة حنو الشفيق لجبر كسيرهم ، وفك أسيرهم ، وأحسن الى محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، فأصبح الدين ثابت الاركان ، رفيع البنيان ؛ ولقد شاع من مكارم أخلاقه مازاد ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر ، فسبحان الذي جعله سهلاً في طلاقة محياه ، وكرم سجاياه ، فأما ما خصه الله تعالى في نفسه من الميل الى العلوم فانه لم يزل من أول أمره ، ومبدإ عمره ، متشاغلاً بالعلوم الدينية والأدبية ، منعكفاً على نقل الكتب حريصاً على ذلك ، حسن الخط ، صحيح الضبط ؛ ومن محبته للعلوم أنه أنشأ (خزانة الكتب) بشريف حضرته ، ومقدس سيرته : جمع فيها من أنواع العلوم على اختلافها ، وتباينها وائتلافها ، بالأصول المضبوطة والخطوط المنسوبة ما جاوز حد الكثرة » .

وكانت وفاة المستنصر قدس الله روحه بكرة نهار يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة ، وكتم موته الى ان بويع ولده الاكبر أبو أحمد عبدالله (٢) ، ثم خطب له على منابر بغداد وهو ميت ، ثم أشيع موته بعد ذلك ودفن في (الدار الشمسة) على دجلة ، ثم نقل تابوته الى تربة الرصافة فدفن تحت قبة كان اتخذها لنفسه مدفنا .

---

(١) من اضافات المهذب .

(٢) المستعصم بالله آخر ملوك بني العباس . ولي سنة ٦٤٠ هـ وقتل سنة ٦٥٦ هـ

ولعل هذا المحل هو المشهور بمرقد المحاسبي في جامع الآصفية المجاور لهذه المدرسة، والظن في ذلك قوي فان مثل هذا المحل لا يمكن ان يكون الا للملك ونحوه، وقد سبق منا ذلك (١).

وكان مبلغ عمره اثنين وخمسين سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوما، ومدة خلافته ست عشرة سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوما.

المدرسة النظامية

هي أقدم مدرسة في مدينة السلام، بل أول بيت وضع للعلم في بلاد الاسلام (٢)، وكانت لها شهرة عظيمة في العالم. ولما جرى ماجرى على بغداد من المصائب احترقت مرتين ثم أعيدت ثم اندرست. وكانت في جانب الرصافة من بغداد وسط سوق الثلاثاء بناها ابو علي الحسن بن علي بن اسحق ابن عباس الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي. وكان ابتداء تأسيسها وعمارتها على ماذكره أبو الحسن محمد بن هلال الصابي في تاريخه في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة، والانتهاء من عمارتها سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وفتحت يوم السبت عاشر ذي القعدة من السنة المذكورة، وكان يوماً مشهوداً حضره اركان الدولة والأعيان والعلماء الاعلام وجمع من الناس لا يحصون كثرة.

كانت المدرسة النظامية لا نظير لها في غيرها من البلاد: كانت روضة من رياض الجنة، ومأوى للكتاب والسنة، وكانت مشرق انوار العلوم ومطلع بدور علماء المنطوق والمفهوم، وكانت رياض الأدب فيها مفتحة الازهار، وحدائق المعارف يانعة الثمار،

أين سعد السعود أين قيس منها   بمحل وأين سعد الخبايا؟

(١) ص ١٠٠ و ٣١. (٢) أنظر ص ١٦ و ١٧

قصدها أهل العلم والفضل على اختلاف طبقاتهم من أطراف البلاد ، وخصص منشؤها وظائف وجرايات لكل من أقام فيها من طلبة العلم وقام بمؤونة أطعمتهم وملابسهم وفرشهم وسرجهم وغير ذلك من ضروريات معاشهم حتى نبغ فيها جم من الفقهاء والافاضل ممن لا يحصون كثرة . ويقل إنه أنفق عليها ستين الف دينار مع ما بني حولها من الاسواق والخانات وغير ذلك .

ولا تسل عما كانت عليه من لطافة الوضع واتقان الصنع . فالمستنصرية وإن أفرغت على قالبها وحيكت على منوالها وصيغت على مثالها وحاكتها ولكن فاتها الشنب . كانت مستطيلة البناء متناسبة الزوايا والأرجاء . فيها محل واسع للدروس وآخر مثله معد للمذاكرة ولترويح النفوس ومصلاها يسع من المصلين الألوف وفيها مواضع لرؤساء العلم والمدرسين وأفنية للذخائر وأدوات الطباخين ، وكانت تشتمل على طبقتين من البناء وفيها من الحجر والبيوت عدد كثير . وكانت مرفوعة الجدران مشيدة الأركان قد عقد في جوانبها طاقات مستديرة الشكل تنتهي الى ذلك البنيان المشيد وقد فرشت ساحتها بالمرمر وسورها مؤزر بمثله وكان فيها خزانة كتب اشتملت على ما يفوت الحساب من الكتب التي جمعت من الآفاق وصرف على استنساخها الاموال الطائلة ، وأذن واقفها لأهل العلم والفضل ان ينتابوها متى شاؤا الى غير ذلك من أوصافها التي تستوقف الابصار .

وقد درس في هذه المدرسة جم من الأفاضل وأساتذة العصر ممن تحلت بدور مزاياهم نحور الايام واشتهرت آثارهم بين الانام: منهم الشيخ أبو اسحق الشيرازي ، وأبو نصر عبد السيد بن محمد المعروف بابن الصباغ وأبو سعيد عبد الرحمن بن مأمون المعروف بالمتولي الفقيه الشافعي . وأبو حامد الغزالي

الملقب بحجة الاسلام . وأبو بكر محمد بن أحمد الشاشي الملقب بفخر الاسلام المعروف بالمستظهري . الى غيرهم من الاعلام الذين كانوا مفخر الاسلام . وأما المتخرجون من هذه المدرسة فكثير عددهم .

خراب هذه المدرسة وضياعها

من سمع ببغداد ووصفها وما كانت عليه أيام الدولة العباسية و رآها اليوم علم أن مارآه غير ماسمعه . فقد تبدلت الارض غير الارض ولم يبق مما كان سوى ذكر الأسماء في الطروس ، وقد اندرست رسومها ، وانمحت علومها ، وتفرقت جموعها ، وأوحشت ربوعها ، وأظلم نهارها ، وذبلت أزهارها ، وأقفرت أرضها ، ويبس روضها ، وعمها الخراب ، وتناثر منها التراب ، وألفها الوحش اليباب ،

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أما المدرسة النظامية التي نوهنا بشأنها و بيان ما كانت عليه من إتقان صنعها و رصانة بنيانها فلم ندرك نحن ولا آباؤنا أثراً من آثارها[1] ، وساحتها الكبرى قد اصبحت اليوم مسكناً لاراذل اليهود ومجمعاً لاقذارهم وجيفهم ، هذا مع انها كانت اول بيت بني للعلم وشيد لنشر الفضائل في اعظم بلد من

---

(١) كذا ، وسيذكر قريباً انه لم يبق منها الا بقايا مئذنة ، اذن فهو يريد بالاثر الاثر الكامل الذي يمثل للمدرسة البائدة

وقد أدركنا نحن ايواناً كبيرا عند جامع مرجان يقال انه ايوان باب النظامية . كانت فيه صخرة مرتسم فيها شكل كف تسمى (بنجه علي) أي كف الامام علي ابن ابي طالب (رض) وقد اتخذتها الشيعة مزارا تعظيما لهذا الاثر ، ولما جاء القائد خليل باشا التركي الى بغداد في اثناء الحرب العامة هدم هذا الايوان وادخل في الشارع ، فحمل الشيعة تلك الصخرة وبنوا لها موضعاً في محلة (الامام طه) وضعوها فيه .

بلاد الأسلام ،وقد نبغ فيها من نبغ من الأئمة وسادات الامة وفضلاء الزمان ومجتهديه ممن تزينت بذكرهم صحائف الاخبار وتجملت ببيان مزاياهم كتب الآثار . وماجرى على هذا البلد ماجرى الا من تلاعب أيدي أقوام كانوا أعداء المعارف وآفة العدل وخصوم الانصاف . أهملوا أسباب السعادة وجدوا في الافساد وتخريب البلاد ولاسيما في محو آثار سلف الامة وبقاياهم ، ولذلك عرا هذه المدرسة ماعراها ولم يبق منها سوى بقايا مئذنة [1] بقيت تشكو بلسان حالها ماجرى على ربعها من الاوغاد ، ولم تزل تنادي كل رائح وغاد ، ولكن أين المستمعون ؟ وهذه قصيدة غراء أنشدها عن لسان حال هذه المدرسة الاديب معروف افندي البغدادي :

قوض الدهر بالخراب عمادي * ورمتني يداه بالأنكاد
ضعضع الدهر من بنائي أركا * نا شداداً طالت على الأطواد
كم أنادي وليس لي من مجيب * واخراباه جهرةً كم أنادي
طالما رفرفت من العلم رايا * ت فخار مني على بغداد
طالما طاولت ذرى قنن الشم * حصوني بفضلها المستجاد
كنت للعلم روضة باكرت أز * هارها الغر بالعهاد الغوادي
وجميع الانام تضرب أكبا * د المطايا كي تجتني أورادي
كم رنت بي نواظر العلم حتى * كنت منها بها مكان السواد !
فالغزالي سائلن وآباء إسـ * حق عما حويت من ارشاد
قد رمتني صواعق الدهر فانهـ * د بنائي وصرت بعض الوهاد
فبكتني من السماء دراريـ * ـها وكانت تعد من حسادي

---

(١) تسمى اليوم المنارة المقطومة أي المقطوعة والمحلة التي حولها قريبة من الشارع العام تسمى محلة المنارة المقطومة وبينها وبين جامع مرجان نحو ثمانين خطوة وقد رأيتها لعبت بها الايدي تحاول محوها كما محت المدرسة من قبل !

أهل بغداد ما لأعينكم تغـ * ـمض عني أظنكم في رقاد
أهل بغداد هل ترقون قلباً * أوما راعكم عظيم افتقادي !
رق حتى قلب الجماد لفقدي * فلتكونن قلوبكم من جماد
أفلا تنجدون مدرسة العلـ * ـم وعهدي بكم ذوي إنجاد
أين تطنيبكم من العلم أبيا * ت المعالي من فوق سبع شداد ؟
أين ما شيد من نظامي ربعي * فلقد كان نجعة المرتاد ؟
لم تزل في طلاب الابل النجـ * ـب تخفي مضروبة الأكباد
أين تلك المعارف التي كا * نت ربوعي تذيعها في البلاد ؟
أصبحت مسكن اليهود وقد كا * نت ربوعاً يأوي لها كل هاد
ليتها بعد محقها عشعش البو * م عليها ولا انتحتها الأعادي
أقفرت سوحها وقد نعي العلـ * ـم فلاحت تجر ثوب الحداد
وتوارت بالغي ظلماً وكانت * خافقاً فوقها لواء الرشاد
كيف قضت خيامها زعزع الدهـ * ـر وكانت رصينة الأوتاد
أيها الدهر كل ما شئت فاصنع * اذ حدا في ركائبي غير حاد
ورعاني من راح من ظامة العد * ل فقيداً ميعاده في المعاد
فرقوا شمل امة قبلهم كا * نت لعمري وحيدة الاتحاد[1]

---

(١) هذه القصيدة منشورة في ديوان معروف الرصافي المطبوع ببيروت باختلاف عن هذه من حيث التقديم والتأخير والحذف والتهذيب . ولا ريب انه حينما طبع الديوان أجال فيها قلم الاصلاح فحصل هذا الاختلاف !

« التكايا والزوايا »[1]

زاوية الشيخ ابراهيم ابي بطغانه

كانت هذه الزاوية على وضع لطيف وبناء محكم بناها الشيخ ابراهيم المذكور في محلة الشيخ عبدالقادر الجيلي، وكان شيخاً متصوفاً مسموع الكلمة وشاع عنه بين العامة انه كان يعلم الاكسير وصنعة الحجر المكرم . وقد اتخذت هذه الزاوية بعد وفاته منزلا وهذا بعض منظومة في تأريخ بنائها ومديح صاحبها نظمها عند اكمال العمارة عبد الباقي الفاروقي :

بغداد كم فيها شيوخ عظام * وأولياء كبراء فخام
وكم رأينا قمراً طالعاً * من برجها يخجل بدر التمام
وشمس عرفان تجلت على * آفاقها فانجاب عنها الظلام
لم يخل وقت من ولي بها * في رشده يدعو لدار السلام
وينقذ العالم من ورطة الـ * جهل ويهدي الناس خاصا وعام
لاسيما من قام في عصرنا * هذا مقاماً شأوه لايرام !
(الشيخ ابراهيم) من قد صفا * مشربه فاستعذبته الانام
وازدحم الناس على ورده * والمنهل العذب كثير الزحام
قد اخذ الارشاد عن سادة * تم بهم للدين حسن انتظام

---

(١) شيدت في القرن الماضي ببغداد تكايا وزوايا كثيرة ثم بادت بهلاك أنصار التصوف من امراء الاتراك ولم يبق منها لعهدنا هذا الا القليل ، والاستاذ المؤلف لم يذكر منه الا هذه الزاوية والتكية الخالدية التي ادخلناهـا في الجوامع ص ٢٦ باسم (جامع الاحساني) لاتخاذها اليوم – كما كانت سابقاً – مسجداً . وربما ذكرنا ما اهمله الاستاذ في المستدرك الذي سنذيل به الكتاب .

ترى المريدين بساحاتـه * قائمة بالذكر حق القيـام

قـد زرته يوماً وهنـأته * فى بيته هذا البديع النظـام

وقلت إذ طفت به أرخوا * شيدت ابراهيم أعلى مقـام

وكانت هذه الابيـات مكتوبة باحسن خط وهو خط ابن مقلة عصره (سفيان الوهبي) ومنها نقلت ما أثبته هنا . وقد عاش هذا الشيخ حتى بلغ من العمر زهاء الثمانين ولما توفي دفن فى مسجد العيدروسي .



هـ ـ السقايات (١)

* سقاية جامع الازبك ص (٢٧) .

* سقاية جامع الآصفية :

أنشأتها وزارة الاوقاف حديثاً .

* سقاية السيدة أمينة :

أنشأتها امرأة من أهل المبرات ، وهي السيدة أمينـــة ، قرب جامع علي أفندي (ص ٥٣) بالبارودية ، وقد كتب على جدارها خمسة أبيات نقتصر منها على شطر التاريخ وهو :

(تأريخها : حوض صفت موارده)

* سقاية مسجد الدسابيل (ص ٧٨) :

أنشأها أبو يحيي الشيخ زكريا سنة ١٢٢٨ كما نطق بذلك ما كتب على جدارها من الابيات ، وهي :

أباح لوراد من الماء صافيا ... وأوردهم عذباً فراتاً وأنهلا
وصيره وقفاً على كل وارد ... أراد وضوءاً أو تطلب منهلا
فحاز ثواباً كالذي صام دهره ... وصلى دوام العمر طولا وهللا !
ترى زمر الوراد تأتي صواديا ... وترجع في ري من الماء عللا
لذلك أضحوا قائلين وارخوا ... سقى زكريا يوم يبعث سلسلا

* سقاية جامع الشيخ سراج الدين (ص ٤١) :

---

(١) فى اكثر الجوامع والمساجد سقايات يشرب منها المارة ، وقـــد اشار الاستاذ المؤلف الى بعضها استطراداً وأفرد بعضها بابحث، فجردنا ذلك كله وزدنا عليه بعض الزيادات وجمعناه تحت هذا العنوان مرتباً على الحروف كما ترى .

أنشأها حسن باشا والي بغداد سنة ١١٣١ هـ كما نطق بذلك الشعر في لوح من المرمر والحجر الكاشاني عندها ، وهو :

الحمد لله عظيم النوال ... وزيرنا أيده ذو الجلال
ان سراج الدين فى عصره ... أضاء للناس طريق الوصال
يا (حسن) عزك الله فى ... دار السلام بسلام ينال
أجريت للناس سبيلا لهم ... فيه سبيل الخير فى كل حال
قد نزل الناس بساحاته ... واجتذبوا الماء بدون الحبال !
للشرب والطهر ودفع الاذى ... حباك ربي نعمــــة لا تزال
هذا الذى فيه ينال الرضا ... فى عطش الحشر يوم السؤال
أنله قــــد يسر تأريخه ... أجرى لك الكوثر ماء زلال

* سقاية الشيخ صبغة الله الحيدري :

أنشأها الشيخ المذكور ، وهو من علماء بغداد فى المائة الثالثة عشرة ، قرب جامع الخلفاء . وقد حررت على جدارها هذه الابيات :

ذي بركة يرتوى منها بضحضاء ... كادت تؤلف ابداناً بارواح
فصبغة الله أجرى ماءها غدقاً ... للواردين بتبريد وإصلاح
يرجو الثواب من الرب الكريم بها ... يوم الحساب وأن يسقى بأقداح
بشراه قــد ربحت فيها تجارته ... وفاز فى خير محصول وأرباح
إن جئت ظمآن فلب يامؤرخها ... إشرب هنيئاً مريئاً بارد الراح

* سقاية جامع العاقولي (٢٦)

* سقاية علي رضا باشا :

أنشأها والي بغداد علي رضا باشا فى جوار جامع الشيخ عبد القادر الجيلي سنة ١٢٤٧ هـ وأجرى إليها جدولاً من نهر دجلة ، ووقف عليها عقاراً لتبقى

على مر الايام وتعاقب الأعوام [1] ؛ وقد كتبت على جدارها هذه الأبيات:

لله ساقية قد شـــاد مبناها ... والي العراقين أقصاها وادناها !
أعني (علي رضا) بل حيدري وغى ... سميه لجميع الناس مولاها !
من مآء دجلة أجرى سلسبيل ندى ... يروي العطاش من الرمضآء أصفاها
وانساب جدولها فى صحن دائرة ... قطب المجرة يحكي عن مزاياها
أنعم بها كعبة للائذين بها ... لقد صفا زمزم الجدوى ومرواها!
تطوعا واحتسابا من فواضله ... تجددت وسمت أركان علياها
فيالها منة لله خالصة ... تفتر عن شنب الحسنى ثناياها
صح القبول جرى فوراً فأرخه ... تجرى فينبوع بسم الله مجراها

* سقاية جامع الشيخ عمر (ص ٥٣) :

يجرى اليها المآء من دجلة بقناة ولعل اسمعيل باشا هو الذي أنشأها يوم أصلح الجامع و بنى بعض جهاته فى سنة ١٢٧٠هـ .

* سقاية جامع الحاج فتحي (ص ٥٦)

* سقاية جامع الكهية :

أنشأها كامل بك بن أمين افندى الزند مفتي الحنفية ببغداد ، حينما بنى الجامع سنة ١٣٢١هـ

* سقاية جامع نازنده خاتون :

أنشأتها نازندة خاتون زوج علي باشا الشهيد سنة ١٢٦٣هـ ، وعلى جدارها هذه الأبيات المشتملة على التاريخ :

لنازنده خاتون المحامد ، قد غدا ... لها عند ذكر الصالحات ثنآء
فكم عمرت لله بيتا ، وكم لها ... بجبر قلوب المعدمين بنآء

---

(١) تداعت للسقوط وانقطع عنها الماء ، ولا سائل عنها ولا مسؤل !

لأعمالها المرضي (؟) عند إلهها   من الصدقات الجاريات بقاء
فذي بقعة من بعض آثار برها   بها منهل عذب المياه صفاء (؟)
أعدت لوراد السبيل فأرخوا   بموردها للشاربين شفاء

* سقاية جامع النعمانية (ص ٧٥).

* سقاية مسجد النقيب :

أنشأها السيد سلمان النقيب في مسجده خارج الباب الشرقي (ص ٨٠) سنة ١٣١٢هـ.



٢ - مساجد الجانب الغربي وآثاره

الجوامع — المساجد — المدارس — السقايات

١ - الجوامع

جامع عنانه

هو من الجوامع القديمة العهد، واسع الساحة، رحب الفناء، كبير المصلى، رصين البناء. وفيه خطيب وامام ومؤذن، ولم نر على جدرانه كتابات تدلنا عليه. وهو قريب من الجسر القديم.

جامع الشيخ صندل

هو من الجوامع القديمة العهد على الجادة التي تؤدي الى جامع الشيخ معروف الكرخي ومقبرته. تقام فيه الجمع والاعياد والصلوات المكتوبة، وفيه مدرس وخطيب وامام وواعظ وجملة من الخدم. وهو رحب الساحة، واسع المصلى مفروش باحسن الفرش. وقد أمر السلطان عبدالحميد الثاني بتجديد عمارته بعد أن اشرف على الخراب وذلك سنة ١٣٠٩ هـ فشيدت أركانه وعقدت قبة مصلاه على أربع أساطين من الرخام، وبني أمام المصلى رواق معقود سقفه بالآجر، وبنيت فيه مدرسة لطيفة وعدة حجر للطلاب والفقراء والغرباء؛ وكمل كل ذلك سنة ١٣١١ هـ، وقد أرخ احدهم عمارته وتجديده بقوله:

إن كان هارون بنى شامخاً ... في جانب الكرخ وركناً مشيد
فان سلطان الورى قد بنى ... في سوحه هذا البناء الفريد

قد كان قدماً مسجداً جامعاً محاسناً في كل يوم يزيد
يذكر فيه الله سبحانه ويبذل العلم به المريد
فكم حوى من عابد خاشع فيما مضى وكم حوى من رشيد
فهد هذا الدهر أركانه وما رأى في عصره من يعيد
فشاده القرم إمام الهدى خليفة الله المليك السعيد
بشرى لنا قد شاده أرخوا فخر الملوك الصيد عبد الحميد

جامع القمرية (١)

هو من المساجد القديمة فى الجانب الغربي على ساحل دجلة تجاه دار الحكومة التي فى الجانب الشرقي وهو أصح مساجد بغداد قبلة . فيه مصلى واسع تظله قبة رفيعة السمك فيه منافذ من جهة القبلة على حديقة من اوقاف المسجد وحول القبة مئذنة بيضاء مبنية بالآجر والجص قديمة العهد رصينة البناء .

ذكر الزبيدي في تاج العروس شرح القاموس فى مادة (ق م ر) أن مسجد قمرية بضم القاف وسكون الميم ونسب بعض أهل العلم الى هذا المسجد وقال بعض المؤرخين: ان هذا المسجد من أبنية الناصر لدين الله الخليفة العباسي. والوضع والبناء يشهدان له بذلك ، وقمرية هذه لعلها من أهل بيته او احدى حضاياه من الجواري ، والله أعلم .

وقد جرت على هذا المسجد عمارات كثيرة من ذلك عمارة السيدة عائشة بنت احمد باشا والي بغداد سنة ثلاث وستين ومائة والف من الهجرة وكانت زوج عمر باشا الذى كان والياً على بغداد سنة سبع وسبعين ومائة والف كما دل على ذلك مضمون الابيات المحررة على باب المصلى. ثم اختل البناء ومال الى الانهدام سنة ثلاثين ومائتين وألف فتداركه سعيد باشا والي بغداد يومئذ

---

(١) بفتح القاف والميم .

فأعاد عمارته الى أحسن مما كانت عليه ، وعند ختامها كتبوا تاريخها على محراب المصلى ، وهو هذه الابيات :

جوامع ذكر الله بالخير أسست * ولازال بانيها يبوء بنعمة
فيامسجداً من بعدما عرصاته * تعفت على طول المدى فاقشعرت
وصارت حضيضاً يحجل الطيرفوقها * وأركانه أقوت وبالذكر هدت
بناه وزير العدل ثم أجاده * برصف له الاهرام دانت فذلت
وزير بأعباء الخلافة قائم * تراه سليمان الوزير الخليفة (؟)
حباه (سعيد) أسعد الله نصره * وأسعدنا فيه باحسن سيرة
الى أن أتم الصنع قلت مؤرخاً * سعيد مقيماً جامع القمرية

وهذا المسجداليوم تقام فيه الجمع والاعياد وسائر الصلوات، وفيه خطيب وامام وجملة من الخدم ، والمصلى مفروش باحسن الفرش ، وفيه بضع حجر يقيم فيها خدام المسجد .

ومن الكتابات التي على جدرانه هذه الابيات :

وعائشة الخير قد عمرت * مكان الوضوء فضاهى قصورا
وأجرت به من نمير المياه * زلالاً يروي العطاش دهورا
بمتجر أيمانهم أرخوا * سقاهم ربهم شرابا طهورا[1]

---

(١) تنبيه : كتب الاب انستاس الكرملي ببغداد فصلا مقتضباً عن خزائن كتب العراق نشره جرجي زيدان في الجزء الرابع من (تاريخ آداب اللغة العربية) ، وقد زعم فيه ان في جامع القمرية خزانة سرقت أغلب كتبها ولم يبق منها الا المبذول الذي لايؤبه له ، وهذا وهم من جملة أوهامه الشائعة التي نبهنا الى بعضها في ص ٥٣ ؛ فانه ليس في هذا الجامع خزانة بل ولا كتاب ، وانما الخزانة هي في المدرسة العمرية شرقي جامع القمرية وقد بادت ولم يبق منها لا نفيس يؤبه له ولا مبذول لايؤبه له !

جامع الكاظمية [1]

﴿ وفي ضمنه ذكر جامع أبي يوسف وجامع السلطان سليم العثماني ﴾

لما كانت قصبة الكاظمية تعد في العصر العباسي إحدى محلات الجانب الغربي من بغداد ناسب أن نذكر جامعها في كتابنا فنقول :

ان هذا الجامع رحب الفناء ، مشيد الارجاء ، رصين البناء ، قد زخرفه الشيعة أتم الزخرفة وزينوه بابدع النقوش ؛ وفيه قبر الامام موسى الكاظم والامام محمد الجواد وعليهما قبة عظيمة غشي سطحها بالذهب ، وترى الشيعة يطوفون حولها طواف الحجيج بالكعبة المعظمة ، ولهم مواسم للزيارة يجتمع منهم هنالك الالوف المؤلفة ويحضرون لها من بلاد شاسعة .

وكانت هذه المقبرة تسمى مقابر قريش فلما توفي موسى الكاظم رحمه الله دفن خارج القبة قبة جعفر [2] بن ابي جعفر المنصور ، وذلك لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة من الهجرة [3].

ثم وسع المحل بموت الامين محمد بن هرون الرشيد وأمه زبيدة بنت جعفر ، و بني على قبري موسى ومحمد مشهد [4] علقت فيه القناديل و أنواع

---

(١) واقعة على بعد اربعة اميال من الكرخ وانت تصعد دجلة وبينها وبين النهر نحو ميل ، وسكانها نحو عشرين الف نسمة وكلهم شيعة والقبائل التي حولها كلهم من اهل السنة والجماعة . وقد كانت قديماً ـ كما ذكر الاستاذ المؤلف ـ تعرف بمقابر قريش واول اسم (الكاظمية) اطلق عليها بعد ان سقطت بغداد بيد التاتار سنة ٦٥٦هـ وتحولت مقابر قريش الى قرية صغيرة منفصلة عن بغداد .

(٢) توفي سنة ١٥٠ هـ وهو اول من دفن في (مقابر قريش) . ودفن بعده رجلان من ابناء الحرث بن عبدالمطلب ثم الامام موسى الكاظم ثم الامين ثم امه زبيدة ثم الامام محمد الجواد المتوفى سنة ٢٢٠ هـ .

(٣) اخباره في وفيات الاعيان ج ٢ص ١٣١ .

(٤) لم يذكر الاستاذ تاريخ بناء المشهد ولعله بني في القرن الرابع كما يؤخذ

الآلات . قال ابن خلكان : « وقبره (قبر موسى الكاظم) هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش مما لا يحد » .

ولما استولى الشاه اسماعيل الصفوي على العراق سنة ٩١٤ هـ نقض المشهد والقبة وأعاد بناءها على وضع بديع ، وغشيت الجدران بالذهب الخالص داخلاً وخارجاً وعلقت النفائس والتحف ولما تم ذلك حسبما أمر كتب على جدرانها ما نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم * أمر بانشاء هذه العمارة الشريفة سلطان سلاطين العالم ! ظل الله على جميع بني آدم ! ناصر دين جده الاحمدي ، رافع أعلام الطريق المحمدي ! أبو المظفر الشاه اسماعيل بن الشاه حيدر بن جنيد الصفوي الموسوي ، خلدالله تعالى ألوية الدين المبين بملكه وسلطانه، وأيده لهدم قواعد أهل الضلال بحجته وبرهانه ؛ وحرر ذلك في سادس شهر ربيع الثاني سنة ست وعشرين وتسعمائة الهلالية) .

ويقال : إن كثيراً من المباني التي أمر بانشائها وعمارتها لم تكمل وإنه مات سنة ثلاثين وتسعمائة .

فلما استرد العراق السلطان العادل الغازي (سليم) خان العثماني وجاء بنفسه الى بغداد وذلك سنة ٩٤١ هـ أمر حينئذ باكمال تلك العمارة ، وأنشأ حولها (جامعاً عظيماً) تقام فيه الجمع والجماعات . وهو الى اليوم على رصانته ووضعه ، وبنى منارة في الركن الذى بين الشرق والشمال ، وهي أول

من بعض الاخبار وقد احترق (في صفر سنة ٤٠٣) في الفتنة الكبرى التي سيذكرها المؤلف عند ذكر مسجد زبيدة ، وعمر في القرن السابع الهجري عمره البويهيون فيما اظن ، وبقي على ذلك الى ايام وزارة ابن العلقمي فعمر القبة التي نقضها بعد ذلك اسماعيل الصفوي وشادها على وضع جديد كما فصله الاستاذ المؤلف .

منارة شيدت هناك ، وتحتها — عند باب الدرج الاسفل على ارتفاع قامة عن الارض — صخرة منقوش فيها بحروف بارزة أبيات باللغة التركية مشتملة على تاريخها ، وهي :

همت كاظم وجواد قلوب ــــ بو مناره قيا منه اقدام
بخت سلطان سليم دن برود ــــ أول ملاذ جهان وقطب أنام
مظهر عدل ومظهر إحسان ــــ ماحي كفر حامي إسلام
قلدى امداد أمر عالي ايله ــــ ويردي حق بو مناره اتمام
فضلي اخلاص ايله دبدى تاريخ ــــ اولدى بوجانفر مناره تمام(١)

وفى صحن جامع الكاظمية حجرة صغيرة فيها قبر ابراهيم وقبر أخيه جعفر ابني موسى الكاظم ، وقد عمرهما سليم باشا الفريق وشاد القبة التي عليهما ، وذكر ذلك عبد الباقي الفاروقي في أبيات نذكر منها شطر التاريخ وهو قوله (شاد سليم مرقد الفرقدين) .

وفى سنة ثلاثمائة والف استاذن من الحكومة العثمانية (فرهاد ميرزا) أحد أكابر الفرس أن يجدد سور الجامع ، والمشهد ، وأن ينشئ بعض العمارات ، فأذنت له فبنى السور كله بالحجر الكاشاني الملوّن ، وفرش الساحة بالمرمر ، وعمق الاسراب التي هي مدفن أموات الشيعة ، وكتب على السور سورة

---

(١) قلت : وفي أوائل المائة الثالثة عشرة عمر السلطان محمد القاجاري ماتهدم من الصحن وابتاع بعض الدور المجاورة له من الجنوب الغربي وأقام ثلاثة منائر على مثال منارة السلطان سليم العثماني ثم أقام أربعاً أخرى صغاراً في كل ركن واحدة وغشى ذروتها بالذهب كما غشى القبتين أيضاً . وجاء بعده فتح علي شاه فزخرف الحرم بقطع المرايا ، ثم جاء من غشى بعض الايوانات بالذهب وبنى الصفة الشرقية والصفة الغربية . . . وقد وضع بعض الكاظميين المعاصرين تاريخاً الكاظمية شرح فيه كل ذلك مفصلا فارجع اليه .

العاديات والقدر والضحى والحاقة ، وبعض الأخبار نحو ما يعزى الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » ، وكتب في جهة تأريخ العمارة وهذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم • قد وقع الفراغ من هذا الصحن بأمر من قصد بعمله وجه المنان ، وبلوغ غرفات الجنان ، الجناب المستطاب الأشرف الأمجد معتمد الدولة فرهاد ميرزا أدامه الله تعالى وأعز إجلاله وإقباله بجاه محمد وآله الطاهرين سنة ثمان وتسعين بعد المائة والالف من الهجرة النبوية المقدسة على صاحبها آلاف التحية والثناء .

* * *

وقد اتصل بهذا الجامع والصحن جامع الامام أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب أبي حنيفة ، وقبره عن شمال مصلاه وعليه قبة كبيرة ؛ والجامع تقام فيه الجمع والاعياد والصلوات ، وهو رصين البناء ، قويم الارجاء (1)

وكان أبو يوسف على جانب عظيم من التقوى والعلم والورع . تولى قضاء القضاة في بغداد على عهد خلافة هرون الرشيد الخليفة العباسي ، وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة (2)

جامع الشيخ معروف الكرخي

هذا ايضاً من المساجد القديمة العهد في الكرخ . وهو اليوم خارج المدينة وحوله مقبرة عظيمة . تقام فيه الجمع والاعياد وسائر الصلوات (3) . وفيه

---

(1) وقد جددته وزارة الاوقاف بعد الاحتلال .

(2) ترجمته في وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٠٣ الى ٣٠٠

(3) لا أدري من الذي أجاز لهؤلاء المسلمين الصلاة في جامع معروف والجنيد والجيلي والسهروردي و و . وهي كلها مقابر باطنها وظاهرها دفائن وجثث من طويل

مصلى واسع وساحته صغيرة ، وله خطيب وامام وخدم . وفي سنة ١٣١٠ ﻫ اصلحه والي بغداد وهو يومئذ حسن باشا وزخرف المصلى و بنى على قبر الشيخ معروف قبة وهو فى شرقي المصلى من جهة القبلة فى سرب من الارض معقود عليه عقد بالآجر والجص والصندوق الذى فى المشهد اليوم انما هو فوق السرداب على محاذاة القبر وهذا السرداب طويل جدا وعمقه نحو اثنتي عشرة درجة ، وهناك بئر تزعم النساء الجاهلات ان من اغتسلت بمائها حملت ولهن مواسم للاغتسال بهذا الماء !

والشيخ معروف الكرخي من مشاهير الزهاد . كان أبواه نصرانيين فأسلماه الى المؤدب فقال له : ان الله ثالث ثلاثة ! فقال : بل هو الله أحد ، فضربه ، فهرب وأسلم على يد موسى الرضا (رض) ورجع الى أبويه فاسلما ، وله فضائل كثيرة ، ومن كلامه « علامة مقت الله للعبد أن يراه مشتغلا بما لا يعنيه من أمر نفسه » وقال « طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق »(١).

جامع الشيخ موسى

قرب جامع الشيخ معروف الكرخي في آخر المدينة جدده الشيخ موسى الجبوري سنة ١٢٩٤ ﻫ فنسب اليه ولم يصلني مبتدأ خبره . وهو مسجد واسع تقام فيه الجمع والأعياد والصلوات المكتوبة ، وقد كتب على جداره : (بسم الله الرحمن الرحيم * إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم

الازمان والآباد ، وكتب الشريعة الاسلامية كلها تحظر الصلاة في المقابر ؟

(١) توفي سنة ٢٠٠ وقيل ٢٠١ وقيل ٢٠٤ ﻫ وترجمته في وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٠٤

الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين * قد عمر هذا المسجد الشيخ موسى الجوري بن الحاج حمد بن السيد عبد الله من خالص ماله الحلال، بعد ماوصل من وقوعه الى الزوال، جزاه الله تعالى جنان النعيم ، وأناله المقام العالي عند الرب العظيم ، وذلك سنة اربع وتسعين ومائتين والف)

ب - المساجد

مسجد براثى - او - المنطقة

هو من مساجد بغداد القديمة العهد، يتبرك به الشيعة الى اليوم لماثبت عندهم ان الامام علياً كرم الله وجهه بعد فراغه من واقعة النهروان ورجوعه عبر دجلة وصلى باصحابه عند دير راهب، كان قريباً منهـــا فاتخذ شيعته مصلاه مسجداً .

وبراثى وزان حبارى [1]، وفي كتاب مجمع البحرين « براثى بالضم محلة بجانب بغداد ومسجد براثى معروف هناك وهو مسجد صلى فيه امير المؤمنين علي كرم الله وجهه لما رجع من قتال اهل النهروان » [2]

---

(١) قال الحموي : براثى بالباء بالمثلثة والقصر .

(٢) جاء في مناقب بغداد الذي نشرناه سنة ١٣٤٢ (ص١٤)« وفي سوق العتيقة مسجد تنشاه الشيعة وتزعم ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام صلى هناك . وقيل انه مادخل بغداد وانما سلك طريق المدائن في ذهابه الى النهروان ورجوعه » وفي ص ٢١ و ٢٢ منه « وكان في براثى مسجد يجتمع فيه قوم من الشيعة

وظاهر هذا ان المسجد كان قبل صلاة الأمير لكن يجوز ان يراد بالمسجد موضع السجود لا المسجد المتعارف بين المسلمين .

وهذا المسجد اليوم يسمى (المنطقة) وهو على نحو ميل او أكثر غربي الجانب الغربي من بغداد بين بغداد وبين الكاظمية عن يسار الذاهب من بغداد الى الكاظمية ، وحوله مقبرة لموتى الشيعة ، والشيعة يتبركون بزيارته ويزعمون ان المهدي المنتظر ، يصلي فيه اذا ظهر ، وقد رأينا عند بئر هناك صخرة عظيمة اسطوانية الشكل طولها نحو ذراعين أو أكثر وعرضها نحو ذراع يقولون ان الامير اقتلعها بيده وذلك انه لما وصل الى هذا المكان عطش هو وأصحابه ولم يكن ثمّ ماء حيث كانت دجلة اذ ذاك بعيدة عنهم فحفروا بئراً فصادفوا صخرة عظيمة عجزوا عن قلعها فأخبروا الاميرفاقتلعها بيده ! قالوا: وكان هناك دير فيه راهب فلما رأى ذلك نزل منه وقال لايقلع مثل ذلك الا نبي أو وصي وأسلم على يده ! ومن الجهلة من يزعم في هذه الصخرة غير ذلك .

ويقال في وجه تسمية هذا المسجد (بالمنطقة) أن علياً تمنطق بسيفه بعدأن صلى هناك، وقيل: سمي بذلك لاعوجاج دجلة هناك فكأنها المنطقة!

وربما ذكروا الصحابة فامر بكبسه عليهم فاخذوا وعوقبوا وحبسوا وهدم المسجد وعفي اثره ووصل بالمقبرة التي تليه ومكث خراباً الى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة فامر الامير بجكم باعادة بنائه فبني بالآجر والجص وسقف بالساج المنقوش ووسع فيه وكتب في صدره اسم الراضي بالله، ثم امر المتقي بالله بنصب منبر فيه واقيمت الجمعة فيه في سنة تسع وعشرين وثلثمائة . . . ومازالت تقام فيه الى ان تبطلت بعدالخمسين والاربعمائة » . وقد ادرك ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ بقايا من حيطانه . قال « وقد خربت في عصرنا واستعملت في الابنية » معجم البلدان ج ٢ ص ٩٦ طبع بمصر .

مسجد الشيخ بشار

فيه مصلى صغير و بعض حجر ، و فيه قبر الشيخ بشار ولم افف على ترجته ولاخبره . وقد انهدت اركانه فى سنة ١٣١٠هـ فاقامه بعض اهل الخير وقد قيل فى ذلك :

ذا مسجد رب التقى انقذه * من امرئ خان وبالحق غدر
اسسه بيتاً له مذ درست * اطلاله وقد خفى منه الاثر
فالسعد مذ تم لنا بناؤه * أرخه وقال بالله ظهر

مسجد الجنيد

هذا مسجد قديم العهد فى الجانب الغربي خارج البلد [1] . فيه مصلى كأفحوص القطا ، وله امام وخادم .وقد وهى بناؤه سنة١٢٦٩ هـ فاعاده محمد نامق باشا والي بغداد وقد نظم بعضهم فى ذلك مقطوعتين تقتصر على بيت التاريخ من احداهما ، وذلك قوله :

عام الف ومائتين و تسع * بعد ستين قد اتم العماره

وقبر الجنيد في هذا المسجد وعليه قبة صغيرة . والجنيد [2] اصله من نهاوند ومولده ومنشؤه العراق . قرأ الفقه على ابي ثور وكان يفتي فى حلقة درسه .ثم صحب خاله السرى السقطي و الحرث المحاسبي وغيرهما من الاكابر، وفضائله مشهورة . توفي سنة ٢٥١ هـ و دفن عند خاله السرى فى المقبرة الشونيزية .

وفى هذا المسجد دفن كثير من الصلحاء والعلماء [3] .

---

(١) وهو محاط بمقبرة كبيرة .

(٢) ترجمته في وفيات الاعيان ج ١ ص ١١٧ (٣) وقد دفن الاستاذ المؤلف عليه رحمة الله في هذه المقبرة مساء رابع شوال ١٣٤٢ هـ تجاه المسجد في القسم الثاني

مسجد حبيب العجمي

هو قريب من جامع القمرية والمدرسة العمرية وقريب من دجلة ايضاً[1].

فيه مصلى واسع ورواق وحجرة وله امام ومؤذن وخادم ، والمصلى مفروش بالحصر والبسط . وفيه قبر حبيب العجمي ، ومن الناس من قال انه توفي في البصرة . وكان أصله من ملوك فارس . أخذ عن الحسن البصري وكان كثير الخوف من الله تعالى : يبكي الليل كله ولا يشغل عن طاعة ربه وذكره وقتاً من الاوقات . انتهت اليه الرآسة بعد الحسن البصري ، وممن تخرج عليه داود ابن نصير الطائي ؛ وتوفي في حدود سنة أربعين ومائة .

قال صاحب (روضة الناظرين) جم من الناس على أن مرقده في الجانب الغربي من بغداد ، وكراماته ومناقبه مشهورة ، ومن لطيف كلامه « إن من سعادة المرء أن تموت معه ذنوبه اذا مات » .

وقد جدد عمارة هذا المسجد رشيد باشا بن محمد فيضي الزهاوي ، وذلك سنة ١٣١٦ﻫ فهو اليوم من المساجد المعمورة بالعبادة .

مسجد الخنيني

مسجد قديم العهد ، ضيق المصلى ، صغير الفناء . وكان من المساجد التي أخنى عليها الدهر ورضها بكلكله فتلافاه ذو الهمة الشماء الشيخ عبدالله ابن صالح من آل خنين أحد رجال نجد واكابرها المقيمين في بغداد ، فجدد عمارته سنة ١٢٩٢ﻫ ، كما تنطق بذلك هذه الابيات وهي مكتوبة على جداره :

من المقبرة ، ثم أخوه وزير العدلية السيد مصطفى الالوسي بمدة وقد دفن الى جنبه ، وفيها قبلهما أبوهما العلامة السيد عبد الله بهاء الدين وعم أبيهما الاديب الشاعر السيد عبد الحميد .

(١) بينه وبينها مدرسة دار المعلمين .

وفقــك الله أبا صــالح * لـكل ما فيه يقام الهدى
ودمت عبد الله في نعمة * طيبة ترغم انف العدى
بنيت بالـكرخ لنا مسجداً * ما حـله المجرم الا اهتدى
للعلم والزهد حوى معشراً * لله فيه ركعاً سجدا
بالجود قد تم فأرخ به * على التقى أسسته مسجدا

مسجد رأس الجسر

قريب من دجلة عند الجسر ، وهو قديم العهد ، فيه مصلى صغير وفناء مثله وحجر ، وله إمام ومؤذن وخادم . وقد جدد عمارته داود باشا والي بغداد فلما فرغ منها أرخها الأديب الشاعر السيد عمر رمضان (١) بهـذه الأبيات الثلاثة وهي مكتوبة بالـكاشاني على جدار المصلى :

ذا مسجد قد شكا ضيقاً فوسـعه * داود من ينصف المشكو والشاكي
وكان منحرفاً محراب قبلتـه * قدماً فسـواه عن علـم وادراك
مــذ تم بنيانه نادى مؤرخه * داود شيد هـذا المسجد الزاكي

مسجد زبيدة أم جعفر

هذا المسجد كان قرب مسجد الشيخ معروف الـكرخي وقد اندرس سنة خمس وتسعين ومائة والف ، وكان واسعاً رصين البناء قوي الاركان ، ولما بنى سليمان باشا الـكبير والي بغداد سور الجانب الغربي استعملت انقاضه في بناء السور ولم يبق اليوم سوى قبر زبيدة من ذلك المسجد وعليه قبـة مخروطية الشكل من نوادر الفن المعاري ، وهي نحو ميل السهروردي (٢) ،

---

(١) تجد ترجمته في كتابنا (مشاهير العراق) وفي مجلة المعرض البغدادية (م ٢ ص ٤١ الى ٤٤ و ٩٦ الى ١٠١) نقلا عنه .

(٢) ص ٥٦ .

وكان تأريخ العمارة داخل المشهد بالحجر الكاشي ، وقد اقتلعه من اقتلعه ، ويقول من أدركه انه حفظ شيئاً منه وهو :

[بسم الله الرحمن الرحيم إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * هذا مرقد أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وهي ام الأمين محمد بن هرون الرشيد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكانت وفاتها سنة ست عشرة ومائتين في جمادى الاولى وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين] انتهى .

وكان لزبيدة معروف كثير ، وفعل خير ، وقصتها فى حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة . قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي فى كتاب الألقاب « انها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار ، وانها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال ونحت الصخر حتى غلغلته من الحل الى الحرم وعملت عقبة البستان ؛ فقال لها وكيلها : تلزمك نفقة كثيرة ، فقالت : إعملها ولو كانت ضربة فأس بدينار . وانه كان لها مائة جارية يحفظن القرآن ولكل واحدة ورد عشر القرآن ، وكان يسمع فى قصرها دوي كدوي النحل من قرآءة القرآن ، وان اسمها أمة العزيز ولقبها جدها أبو جعفر المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها . قال الطبري فى تأريخه : أعرس بها هرون الرشيد فى سنة خمس وستين ومائة ، وكانت وفاتها سنة ست عشرة ومائتين فى جمادى الاولى ببغداد رحمها الله تعالى ، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور سنة ست وثمانين ومائة رحمهم الله تعالى أجمعين[1] .

وما ذكرناه من أن تربة زبيدة قرب تربة معروف هو الشائع عند أهل

---

(١) وفيات الاعيان ج ١ ص ١٨٩ الى ١٩٠ .

بغداد ، والتحقيق خلاف ذلك ، ولعل التربة التي في مقبرة معروف لزبيدة أخرى ، وأما زوجة هرون الرشيد فقبرها في جوار قبر موسى بن جعفر كما يدل على ذلك ما ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة حيث قال [ج ٩ ص ٢١٤ و ٢١٥ طبع بولاق] :

« ذكر الفتنة بين العامة ببغداد واحراق المشهد على ساكنيه السلام .

قال : في هذه السنة في صفر تجددت الفتنة ببغـــداد بين السنة والشيعة ، وعظمت أضعاف ما كانت قديماً فكان الاتفاق الذي ذكرناه في السنة الماضية غير مأمون الانتقاض لما في الصدور من الاحن ، وكان سبب هـذه الفتنة أن أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السماكين وأهل القلائين في عمل ما بقي من باب مسعود ففرغ أهل الكرخ وعملوا ابراجاً كتبوا عليها بالذهب « محمد وعلي خير البشر » فأنكر السنة ذلك وادعوا ان المكتوب « محمد وعلي خير البشر فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر » وانكر أهل الكرخ الزيادة ، وقالوا ما تجاوزنا ماجرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العباسيين ، ونقيب العلويين ، وهو عدنان بن الرضى ، لكشف الحال وانهائه ، فكتبا بتصديق قول الكرخيين ، فأمر حينئذ الخليفة ونواب الملك الرحيم بكف القتـــال ، فلم يقبلوا ، وانتدب ابن المذهب القاضي والزهيري وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصمد بحمل العامة على الاغراق في الفتنة ، فأمسك نواب الملك الرحيم عن كفهم غيظاً من رئيس الرؤساء لميله الى الحنابلة ، ومنع هؤلاء السنة من حمل الماء من دجلة الى الكرخ ، وكان نهر عيسى قد انفتح بثقه ، فعظم الأمر عليهم وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه في الظروف وصبوا عليه ماء الورد ونادوا الماء للسبيل ، فأغروا بهم السنة وتشدد رئيس

الرؤساء على الشيعة ، فمحوا « خير البشر » وكتبوا « عليهما السلام » فقالت السنة : لا نرضى الا ان يقلع الآجر الذى عليه محمد وعلي، وأن لا يؤذن « حي على خير العمل » وامتنع الشيعة من ذلك ، ودام القتال الى ثالث ربيع الأول ، وقتل فيه رجل هاشمي من السنة فحمله أهله على نعش وطافوا به في الحربية وباب البصرة وسائر محال السنة ، واستنفروا الناس للأخذ بثأره ، ثم دفنوه عند احمد بن حنبل ، وقد اجتمع معهم خلق كثير أضعاف ماتقدم ، فلما رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبن ، فاغلق بابه ، فنقبوا في سورها وتهددوا البواب ، فخافهم وفتح الباب ، فدخلوا ونهبوا مافي المشهد من قناديل ذهب وفضة وستور وغير ذلك ، ونهبوا ما في الترب والدور ، وأدركهم الليل فعادوا ، فلما كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد ، وأحرقوا جميع الترب والآراج ، واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي والجوار والقبتان الساج اللتان عليهما ، واحترق مايقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه : معز الدولة وجلال الدولة ، ومن قبور الوزراء والرؤساء (وقبر جعفر بن أبي جعفر المنصور وقبر الأمين محمد بن الرشيد وقبر أمه زبيدة) وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر فى الدنيا مثله ، فلما كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي لينقلوهما الى مقبرة أحمد بن حنبل ، فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر فجاء الحفر الى جانبه ، وسمع أبو تمام نقيب العباسيين وغيره من الهاشميين والسنة الخبر ، فجاؤا ومنعوا عن ذلك ، وقصد أهل الكرخ الى خان الفقهاء الحنفيين ، فنهبوه وقتلوا مدرس الحنفية أبا سعد السرخسي ، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء ، وتعدت الفتنة الى الجانب الشرقي فاقتتل أهل باب الطاق وسوق يحيى والاساكفة وغيرهم ، ولما انتهى خبر احراق المشهد الى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ

لانه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل وتلك الولاية كلهم شيعة ، فقطعت فى أعماله خطبة الامام القائم بأمر الله فروسل فى ذلك وعوتب فاعتذر بأن أهل ولايته شيعة واتفقوا على ذلك فلم يمكنه ان يشق عليهم كما ان الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد مافعلوا ، وأعاد الخطبة الى حالها » انتهى كلام ابن الأثير .

فتبين من هذا أن قبر زبيدة العباسية فى جوار قبر موسى بن جعفر وأن المشهور اليوم « وهو الذي فى مقبرة باب الدير قرب تربة معروف الكرخي » لعله تربة امرأة من بنات الامراء أو زوجاتهم أو تربة ملك من الملوك .

وقد جدده ورممـــه في عصرنا بعض امراء الاتراك ظناً منه انه قبر زبيدة أم جعفر !

مسجد السيف

هذا المسجد مطل على دجلة شرقي رأس الجسر وهو قديم العهد ، وقد جدد عمارته داود باشا والي بغداد وعند الفراغ من العمارة أرخه الشيخ صالح التميمي البغدادي[1] بقوله :

كم شـاد داود بوادي المدى * بيتـاً سمت بالفضل أركانه !
وكم بنى لله من شـاهق * يجزى على الطـاعة سلطانه !
فعج الى الـكرخ ترى مسجداً * قد أورقت بالعفو أفنـــانه
بالصلوات الخمس قم واستعن * على تقى أسس بنيـــانه

والسيف موضع على دجلة يباع فيه ما يرد فيها اليه من الاطعمة ونحوها وقد عمره داود باشـــا أيضاً وأرخ ذلك الشاعر ختام عمارته بهذه الأبيات المحررة على الباب الغربي :

---

(١) تجد ترجمته وأمثلة من أشعاره في كتابنا (مشاهير العراق) .

أقسم بالله الذى زينت * سماؤه بالخنس الكنس
ان الذى شيد هذا البنا * ذو همة بالفلك الأطلس
داود ذو الأيدي ومن علمه * ماحل فى شخص سوى هرمس
فقل لمن جد على مكسب * من ناطق فيه ومن أخرس
أوف اذا كلت ومن بعد ذا * أرخ وبالميزان لا تبخس

١٢٤٠ هـ

وله أيضاً — وقد حرر على الباب الآخر ، وهو الباب الشرقي — من أبيات ذهب الكثير منها :

دع هرمي مصر وبانيهما * ولا تقل ذا من عجيب الزمان
وعج الى دجلة من كرخها * تجد بناء دونه الفرقدان
شيده داود عن حكمة * تخفى وسر العدل منه أبان
لكي اذا باع به واشترى * ذو سعة يخشى مكين مكان
وفى الأقاليم جرى أرخوا * من يخسر الميزان حكماً يهان

١٢٣٦ هـ

وداخل السيف قبور لبعض الصالحين يقال منهم الامام الاشعري .

مسجد علاوى الجص

هو قريب من المحل الذى يباع فيه الجص عند رأس الجسر عن يمين الذاهبين الى المقبرة الكرخية وهو نحو ثلاثين ذراعاً طولاً وعرضاً . وقد اختلت اليوم مبانيه ولكنه تقام فيه الصلوات أحياناً . وقد حزرت على جداره هذه الأبيات :

عاد ذا المسجد كالبيت المقدس * عام أمن بعدما قد كان مدرس (؟)
وبعبد القادر النـــدب الذى * شاد أركان مبانيه تهندس

رغبـــةً فى الأجر قد عمره * دام للتوفيق للخيرات مغرس
وعماد الدين فيـه قد غـدا * ساطعاً يبدو اذا ما الليل أغلس
وبه فجر الهـدى ينشق عن * فلق النسـك اذا الصبح تنفس
ولسان الحق قد أرخـه * مسجد للزهـد بالتقوى تأسس

١٢٥٣ ﻫ

مسجد علاوي النورة

مسجد صغير قريب من الجسر فيه مصلى عليه قبة من الآجر والجص وساحة المسجد أيضاً صغيرة .وفيه مدرسة وبعض الحجر . أنشأه عبدالله بك الشاوي سنة ١١٧٥ ﻫ ولم يزل تقام فيه الصلوات ولـكن لا تدريس فيه اليوم . وهذا نص ما كتب على جداره :

عمر ذا المسـجد مع * مدرسة فيها التقى قد رسا
الشهم عبد الله رب الندى * ومن رقى السبع العلى دائسا
فيا له من مسجد نوره * أزال عنا الحالك الحندسا
قد جاء فرداً حر تأريخه * على تقى الرحمن قد أسسا

١١٧٥

مسجد ابن غنام

مسجد لطيف الوضع متقن الأنشاء واقع فى محلة الشيخ بشار . فيه مصلى صغير وفناء مثله وحجر، وله امام وخادم . وقداشرف على السقوطسنة ١٢٥٣ فعمره صاحب الخيرات والمبرات الشيخ سلمان الشهير بابن غنام العقيلي (١) وقد كتبت على جداره ابيات تشتمل على تاريخ العمارة ، منها :

---

(١) قتل سنة ١٢٥٨ ﻫ ورثاه السيد عبدالغفار الاخرس بأبيات تشتمل على تأريخ قتله (الطراز الانفس فى شعر الاخرس ص ٤٠٧) .

اجل مكان فى الانام تشيدا * ترى ركعا لله فيه وسجدا
بناه (ابن غنام) لطاعة ربه * هو اليوم بانيه سيحظى به غدا
باحسانه الفرد استقام مؤرخاً * (سليمان) فى الاسلام أثر مسجدا
١٢٥٣ هـ

مسجد النبي يوشع

هو مسجد صغير قرب مسجد الجنيد يقال ان يوشع عليه السلام قد دفن فيه وليس له سند صحيح[1]، وقد كان اليهود يزورونه في مواسم مخصوصة حتى تجاسروا على دفن موتاهم فيه ، فدفنوا فيه سنة ١٣٠٥ هـ بعض احبارهم فقام عليهم المسلمون وكادوا يفتكون بهم حتى صدرت ارادة سلطانية بنبش قبره وإخراجه ، فاخرجوه يومئذ ودفنوه بمقابر اليهود بعد أن تغير وانتفخ وأنتن ومنذ ذلك اليوم منع اليهود من الوصول الى هذا المسجد .

وفى هذا المسجد حجرة صغيرة نحو القبلة فيها القبر وعليها قبة صغيرة . وعمارته جيدة .



(١) قلت : ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري فى تاريخه (ج ١ ص ٢٢٩) طبعة مصر : انه دفن في جبل افرايم . وفي تاريخ ابن أبي عدسة ان يوشع بن نون بن اليساماع بن عيهود دفن في كفر حارس من نابلس وقبره بها ظاهر يزار فى حفيرة هناك ، وفي الحفيرة هود وذو الكفل وحارس هو والد يوشع ثلاثة أنبياء . هكذا يقولون ، وقيل بالمرة ، وله من العمر مائة وعشر سنين .

ج - المدارس

مدرسة السويدي

هذه مدرسة علية ، وروضة قدسية ، كانت أغصان العلم فيها مورقة ، ورياض الادب بالانوار مؤتلقة ؛ شيدها العلامة الكبير صاحب المؤلفات المفيدة الشيخ محمد امين السويدي رحمه الله [1] سنة ١٢٣٩ هـ وكانت منزله ومحل سكناه ، كما كانت للفضل مربعه ومغناه ، وترجمته قد فصلتها في كتاب (المسك الاذفر)

وهذه المدرسة كانت رصينة البناء ، واسعة الارجاء ، كأنها قد لبست من ملابس الربيع ثيابه المطرزة ، ومن البهاء خلعه المفوفة ، وكانت طبقتين: عليا ، وسفلى [2] وعند ختام عمارتها أرخها بعض الشعراء بهذه الابيات المكتوبة بخط حسن على جدار مجلس العلم وهي الى اليوم على حالها :

يا ابن علي حزت علم الورى * وفقت بالفضل على العالمين

جددت داراً للتقى مخلصاً * كي تبذل الدرس الى الطالبين

---

(١) هو من نوابغ علماء الشريعة الاسلامية في العراق . ولد ببغداد في اواخر سنة ١٢٠٠ هـ ، وأخذ العلم عن أبيه حافظ عصره أبي المعالي الشيخ علي السويدي وغيره ، وعاني التأليف وهو شاب فصنف كتباً مهمة احصيناها في كتابنا (مشاهير العراق) ، ومن أجلها كتاب الصارم الحديد منه نسخة في المكتبة النعمانية بعرجان في مجلدين عظيمين ، وكتاب التوضيح والتبيين شرح كتاب أبيه (العقد الثمين) ، وكتاب سبائك الذهب في أنساب العرب وهو مطبوع ، ونقد أحاديث احياء العلوم للغزالي . . . وفضائله كثيرة . وتوفي سنة ١٢٤٦ هـ في بريدة احدى قرى نجد ودفن فيها وذلك عند قفوله من الحج ولم يعقب نسلا . رحمه الله

(٢) صارت اليوم جامعاً يسمى (جامع خضر الياس) .

دارًا بها العـــلم وبث التقى * والفضل فيها ياله مستبين
قد أزلفت للدرس حقـاً كما * أزلفت الجنــــة للمتقين
تقول للخـائف : كن آمنـاً * فانك اليـوم لدينا مكين
قل للذي استفتح أبوابهـا : * إنا فتحنا لك مفتحاً مبين
في عصرها كعبة ربي غدت * فى جنـة ذات قرار معين
مذ حل فيهـا العلم أرختها * بشرى لدار الدرس فيها أمين

١٢٣٩ ﻫ

المدرسة العمرية

مدرسة لطيفة الوضع على شاطئ دجلة متصلة بجامع القمرية (ص ١١٤)

يقال ان عمر باشا أحد ولاة بغـداد ابتناها لرجل من الافاضل اسمه الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ محمود من أهل ماوراء النهر ، وقد كانت هذه المدرسة مجمع الفضلاء ومثابة الاعلام ، وقد أقام فيها الجد [1] عليه الرحمة وذكرها فى مقـامته الطيفية حيث قال « ... وقد لزمت الاقامة فى المدرسة العمرية ، الواقعة فى الجانب الغربي شرقي جامع القمرية ، بين طلبة أخلاقهم أرق من دمعة الصب ، بل الطف من وابل بل ادام الزهر غب الجدب ، مافيهم الا من جعل له لثم يدي لثاماً ، واتخذني دون من هو في السن أمامي إماماً ، وان كانوا أبناء أخياف لكنهم فى الحقيقة أبنـاء أعيان ، وعلى العلات لاتكاد ترى مثلهم فى زمان ؛

قوم زكوا أصلاً وطابوا مخبرا * وتدفقوا جـوداً وراقوا منظرا

فبينا أنا هناك فى ليلة أصافح صفحات الكتاب بالجبين ، منتظرا من حبلى

(١) هو الامام العلامة شيخ كتاب عصره وعلمائه السيد محمود شهاب الدين الالوسي . ولد سنة ١٢١٧ﻫ وتوفي سنة ١٢٧٠ﻫ ونجد ترجمته مفصلة في كتابنا (أعلام العراق) من ص ٢١ الى ٤٣ .

ليالي العبارات بروز الجنين ، فاذا بالباب مرة يدفع ، وأخرى كعبد القفـا واللهازم يصفع ، فقمت امسح عن عيني غبار النوم ، ظاناً أن الذي بالبـاب واحد من اولئك القوم .. »

وكانت في هذه المدرسة حديقة مشتبكة الاغصان ، وخزانة كتب يعجز عن وصفها لسان التحرير[1] ، وهي اليوم خراب[2] ، لامدرس ولا طلاب، ولا تقرير ولا كتاب .

د – السقايات

سقاية خلف اغا

هذه السقاية خارج سور الكرخ . أنشأها خلف اغا سنة ١٢٧٧ هـ فى جنب حديقة له هناك يبرد فيها الماء العذب لأبناء السبيل . وهذا الرجل من المهتدين وكان من رجال الحكومة . وقد كتبت فى المرمر على جدار هذا المحل أبيات تقتصر على بيت التاريخ منها ، وهو :

ياحبذا سيب سبيل ورده * ساغ فارخت : شراباً عذبا
١٢٧٧

سقاية مسجد السيف

أنشأها الوزير داود باشا عام ١٢٣١ هـ فى مسجد السيف (ص١٢٩) . وقد كتبت على جدارها هذه الابيات :

---

(١) انظر ص ١١٥ . (٢) جعلتها وزارة الاوقاف اخيراً مدرسة اولية للصغار الناشئين.

أرى كل مكرمة في الورى * الى غير داود لا تنسب
حبى الكرخ فى بركة سيبها * اذا نضب البحر لا ينضب
وما يتبقى الناس فى صيب * ونائل راحتــه صيب
اذا ذقت من مائها فاستعن * بآخر ري به يعذب
وأرخ وناد بورادها * هنيئاً مريئاً لمن يشرب

١٢٣١ هـ

سقاية علي رضا باشا

كانت هذه السقاية فى الكرخ انشأها والي بغداد علي رضا باشا سنة ١٢٤٨هـ وجعلها وقفاً على مقام ذي النون عليه السلام . وقد كتبت عليها قصيدة من نظم عبد الباقي العمري يذكرها ويصف ناعورتها ومنها :

بدر الوزارة في الخضرآء متقد * له على (ابن كمال) فى الكمال يد
روح قد انتعشت أهل العراق به * وهكذا الروح فيها ينعش الجسد
أجرى لذي النون عين السلسبيل فما * نهر المجرة الا عندها ثمـد
وقد أدارت على قطب العلى يده * (ناعورة) ينقضي في دورها الأمد
لاتدرك العين اطرافاً لها ابداً * فالرأس مع ذنب بالدور متحد
من البطون ظهور فى تقلبها * من غير فاصلة يبدو فيفتقد
لها الدلآء بروج وهي منطقة * أو سبحة بدراري الأفق تنتضد
تسبح الله فى سر وفي علن * وما لتسبيحها حصر ولا عدد
فيهم تصلي بمحراب القليب وما * تخر راكعة الا وقد سجدوا
دارت سماحاً ومن عين الجلال على * تبريزها اذ حكت شمس الضحى رصد
تدق دائرة ايـدي النسيم على * اعضادها فيزول الكرب والكمد
صريرها السائرات السبع أوقفها * فكادت التسعة الافلاك ترتعد

وكل دلوله نوء يسيح حيـــا * اذا استهـل بودق اخصب البلد
فى غربها سرطان الاوج مغترب * ناء عن الاهل صفر الـكف منفرد
سمي حضرة(ساقى الحوض)سلسلها * كما تسلسل في موضونة زرد
فزمزم الماء من أنبوبهـــا وصفا * ورداً لمن جاء من راووقها برد

وبيت التاريخ

وفى ذراع العلى أومت مؤرخة * لصاحب الحوت بئراً قعر الأسد

ولم يسمع اليوم صوت لناعورة ، ولا ذكر لهذه السقاية المذكورة؛ وقد عمر مثل ذلك في الموصل ايضا ، ولعل الذي حل بهذه قد حل بتلك .

سقاية نجيب باشا

انشأها سنة ١٢٦١ هـ فى (المنطقـة) او مسجد برانى (ص ١٢١) فانشد العمري قصيدة مهنئاً ومؤرخاً ، وقد رسمت على السقاية ، ومنها :

أجرى محمـــد نجيب الوزرا حوضاً (اساقى الحوض) يحكي الكوثرا
يروي حديثاً للشفا مسلسلا ما كان والله حديثاً مفـــترى
لكل صادٍ سلسبيل عينه من نقطة الباء لقـــد تفجرا

وبيت التاريخ

ياسائلا عما جرى انظر ترى تاريخه : هذا ارق ما جرى
١٢٦١ هـ

وقد اندرست هذه السقاية منذ زمن طويل [1] .

---

(١) فرغ الاستاذ المؤلف رحمه‌الله تعالى من جمعه وترتيبه سنة ١٣٢١ هـ

الفوائت

ذكرت فى التصدير (ص ٤) أن قد فات الاستاذ المؤلف ذكر بعض المساجد وحملت ذلك على كونها ليست بذات بال ، لأنه انما يدون فى هذا الجزء من تاريخ بغداد أشهر ما يعرف من جوامعها ومساجدها وآثارها ، ثم قلت « اننى كنت احب ان استقريها واضيفها الى الكتاب غير أني الآن مخلد الى الراحة .. وأنه لولا .. ولولا ... ما حركت بنانًا ولا أجريت قلمًا فضلاً عن الاصلاح والتهذيب والتعليق والقيام بشؤون الطبع » .

وفى الحق أننى لما شرعت فى الطبع اعترضتني عقبات ومشاكل افسدت عليّ كل لذات الراحة - بعد عناء السنين - فى المصطاف فقد اضطرتنى الى أن اجيء فى أغلب الايام المدينة أقاسي فيها شدة الحر فضلاً عن عناء البحث والتحقيق حتى وجدت أن ما كنت استثقله من استقراء مالم يرد ذكره فى هذا الكتاب من الجوامع والمساجد هو اخف عبءً من عبء ذلك العناء : عناء الحر وعناء البحث ، فأمهيت سنان العزم وقصدت ذات يوم الجهة الشرقية من الجانب الشرقي من بغداد مصطحبًا بعض العارفين لاستقراء مساجدها فوجدت أغلبها كما قلت فى التصدير « إن لم تكن أفاحيص قطا فهي امكاء ضباب » على أن فيها ما كان يجب على الاستاذ المؤلف ذكره لانه ذكر ما هو اقل خطراً ، وأدني شهرة وذكراً ؛ ثم أشفقت ان يكون استقرائي ناقصًا فبدا لي ان ارجع الى « سجل الاوقاف » لأزداد تثبتًا واحيط بكل ماهنالك خبراً ، فرجعت اليه اليوم (١٥-٣-١٣٤٦) فاذا به لم يعن فيه بما ليس « تحت نظارة الوزارة » ، ثم صرت أنا وبعض الموظفين والمعمرين نستعرض فى اذهاننا مساجد الجانبين حتى وقفت لتدوين ما يأتي ملتزمًا فيه طريقة الاختصار ، ومكتفيًا بالاشارة دون تفصيل العبارة .

(جامع اغا زادة) في محلة الاغا قرب الشارع العام وقد خرب منذ زمن طويل ثم اعطت الاوقاف قسما منه بالاجارتين فانشئت فيه داران وبني مصلاه ثم اهمل من نحو اثني عشر عاما .

(جامع آل حميل) في محلة قنبر علي .

(جامع بنات الحسن) في محلة بنات الحسن ، وهو خراب بباب فيه مصلى قد نسجت فيه العناكب وهو مستطيل مسقف بالخشب والحصر ، يسع نحو مائة مصل ، وفيه مئذنة بيضاء ، وعن شمال الداخل فيه قبة كبيرة بنتها وزارة الاوقاف منذ بضعة اعوام على قبر يزعمون ان صاحبه من ابناء الحسن بن علي او من بناته ، واتخذت منه دارا عن يسار الداخل فيه وتركت مصلاه وجدرانه على ما وصفنا . ومن يحشر العجائب .

(جامع حسين باشا) في محلة الحيدرخانة واسع الساحة والمصلى وفيه منارة مطلة على الطريق من جهته الغربية وله بابان متقابلان من شرقيه وغربيه .

(جامع خضر بك) في محلة قنبرعلي كانت فيه مدرسة وسقاية ومدرس وامام وخطيب وقد خرب منذ بضع سنوات واهمل .

(جامع القزازة) هو في محلة الفناهرة من فروع محلة الشيخ عبد القادر الجيلي شرقي بغداد .

(جامع القلعة) هو جامع كبير في وسط القلعة (الثكنة العسكرية) فيه منارة بيضاء مازالت تقام الجمعة فيه .

(جامع قنبر علي) قريب من جامع آل حميل ، وهو واسع يحتاج الى ترميم .

(جامع اسماء خاتون) في شارع الاطفائية القديم الذي يؤدي الى دار الحكومة . وهو اليوم مدرسة وقفية اولية .

(مسجد باباكركر) في الميدان بين شارع الاطفائية وسوق الهرج كان زاوية للبكتاشية ثم نزعت منهم وجعلت مسجدا ومدرسة وفيه اليوم مدرسة وقفية اولية .

(مسجد البرزنلي) في محلة المربعة وهو مسجد صغير مهجور وقد اتخذ مصلاه مقبرة .

(مسجد بيرداود) مسجد صغير على الشارع العام في الميدان شرقي جامع المرادية (ص ٦٢)

(مسجد تحت التكية) في محلة التكية . كان قديما جامعا كبيرا ثم خرب وقبل بضعة اعوام جددته الاوقاف واتخذت منه دارين وسوقا صغيرة .

(مسجد حاجية خاتون) في محلة الامام طه وهو مسجد معمور عند بابه عن شمال الداخل فيه سقاية .

(مسجد حسب الله) في محلة تحت التكية .

(مسجد الملا حمادي) في المربعة وهو مسجد معمور والملا حمادي هو ابن داود المعمورش من آل عرموش توفي منذ نحو ثلاثين عاما وكان يعد من مشاهير ظرفاء بغداد امثال عبد الله الخياط ومحمد افندي الخشالي وقدري الجلاوي الهنداوي ، وكان كاتب النقيب وبيته وحديقته في محلة المربعة مجمع ذوي الظرف والادب .

(مسجد دكان شناوة) مسجد صغير امام مخفر الشرطة في محلة دكان شناوة ، فيه كتّاب صغير .

(مسجد رأس الساقية) ويسمى (قره بيبر) وهو على شارع محلة الشيخ عبد القادر الجيلي عن شمال الذاهب الى جامعه ·

(مسجد الرواس و) ويسمى (مسجد دكاكين حبوب) في رأس الساقية قرب محلة الجيلي فيه مدرسة في الطابق العلوى ومصلى عن شمال الداخل فيه وفي وسط فنائه قبة محكمة البناء مرتفعة عن ارض المسجد فيها قبر الرواس وهو على ما يقال رجل متصوف مجذوب من اهل القرن الماضي كان يبيع رؤوس الخراف في محلة دكاكين حبوب، وقد شاءت " ارادة " ابي الهدى الصيادى الرفاعي ان يوجد لنا " وليا جديدا " تغريرا للعامة وتضليلا للبسطاء فشاد على قبره مسجدا تتبرك به العوام واشباه العوام من الشيوخ القبوريين ·

(مسجد السادات) مسجد قديم في محلة السنك قرب الجامع النعماني (ص ٧٦) ·

(مسجد السكخانة) وهو عبارة عن مصلى صغير فقط واقع بين سوق الصفافير وخان الارتمة ·

(مسجد السور) واقع في محلة السور غربي بغداد ·

(مسجد سوق الهرج) مسجد صغير في منتهى سوق الهرج في الميدان قرب الشارع العام ·

(مسجد صابيغ الآل) هو اليوم بيد الشيعة وقد عمرته وزارة الاوقاف حديثا ·

(مسجد صدر الدين) في الصدرية من محال غربي الجانب الشرقي وهو مسجد كبير عمرته وزارة الاوقاف في الايام الاخيرة وكان قديما زاوية فاتخذها حبيب اغا الدركزنلي مسجدا كما اتخذ مسجد الالفي الذى يأتي ذكره قريبا مسجدا ·

(مسجد الصفافير) مسجد صغير عند سوق الصفافير.

(مسجد ظهير الدين) هو مسجد نور الدين المذكور في (ص ٨١) بعينه ، وقد دون في سجل الاوقاف باسم ظهير الدين خطأ .

(مسجد عائشة خاتون) في محلة الطوب غربي بغداد .

(مسجد الحاج عباس الجراح) مسجد قديم في محلة السنك جدده الحاج عباس المذكور منذ ربع قرن او اكثر.

(مسجد عثمان افندي) في محلة جديد حسن باشا قرب سوق الصياغ الجديد ، معروف باسم (مسجد الخواجة علي افندي) المقرى أمين الفتوى المتوفى ليلة الاربعاء ٢٤ رمضان ١٣٣٦ هـ وكان شيخا معمرا وقورا جميل الخلق والخلق وهو كردي الاصل ، نشأ اولا في الكتابة ثم صار معلم كتاب في هذا المسجد وطلب العلم حتى فاز بالاجازة عن المفتي الزهاوي (ص ٨٢) ثم صار امين الفتوى لدى مفتي الحنفية . وخدم القرآن الكريم بالتعليم اكثر من ستين عاما حتى وفاته وقد عمر مصلى هذا المسجد قبل بضع سنين .

(مسجد عثمان بن سعيد) مسجد صغير في سوق الميدان خلف دائرة البرق والبريد اليوم .

(مسجد العمار) قريب من جامع بنات الحسن . غلته من دار بجنبه واربعة حوانيت على ما يقول امامه .

(مسجد العيد روسي) في محلة رأس الساقية على الشارع الذي يؤدي الى جامع الجيلي . فيه مصلى صغير عن يمين الداخل وبستان عن يساره وقبور بعض الشيوخ وقد جدد سنة ١٣٢٤ هـ كما نطقت بذلك الابيات المكتوبة بالكاشاني على بابه والعيد روسي هذا كان من المتصوفة يتبعه بعض الشذاذ الى يومنا هذا وهم يزعمون انه يحيي الموتى !

ملاحظة

حيث تعذر الحصول على نسخة كاملة توفى النقص الحاصل في هذه النسخة التى تم الطباعة عليها فى المكتبات العامة او المكتبات الخاصة والتى عند بعض أصحابنا ولاهميت النسخة وندرتها قد تجرئنا وطبعنها بنقصها ولعلنا نحصل على نسخة كاملة فى المستقبل نطبع عليها لهذ ننوه باعتذارنا للقاري الكريم

الشذاذ الى يومنا هذا وهم يزعمون انه يحيي الموتى ! أشار الى ذلك عبد الغفار الاخرس فى ابياته المشهورة فقال :

تقول العيدروسي كان يحيي   من الاموات من قد مات دهرا
أ كان شققت للبارى شريكا   فيملك دونه نفعاً وضرا
فويحك قد كفرت ولست تدري   ولم تبرح على هذا مصرا

(مسجد الشيخ كنعان) فى محلة قهوة شكر .

(مسجد الحاجة محبوبة خاتون) .

(مسجد محمد الالني) فى الصدرية قرب جامع الجيلي . كان قديماً زاوية ثم بناها حبيب آغا الدركزنلي مسجداً ووقف له أملاكاً .

(مسجد الملا محمد) فى محلة باب الاغا على الشارع العام عن يمين الذاهب الى الجهة الشرقية ، وقد عمرته الاوقاف وشادت حوله حوانيت وفوقه بناية كبيرة لتجعلها مكتبة عامة ولم تفعل حتى الآن .

(مسجد معروف) في محلة عبدالقادر الجيلي .

(مسجد الشيخ مكي) فى فضوة العرب من فروع محلة عبدالقادر الجيلي

(مسجد المهدية) فى محلة المهدية ، وهو صغير جداً .

(مسجد الشيخ واصل) في فضوة مرجان من فروع محلة الشيخ الجيلي .

(مسجد هداية الله) قرب محلة أبي سيفين .

(مسجد السيد يس) مسجد صغير فى محلة رأس القرية على مقربة من جامع الاحساني .

— ٣ —

(مدرسة الطبقجلي) الشيخ أحمد بن محمد بن اسماعيل مفتي بغداد المتوفى سنة ١٢١٣ هـ وقفها على طلاب العلم ثم اتخذها بعض الشيوخ داراً

يسكنها ولا يزال أبناؤه وأحفاده يقيمون فيها ، وهي في محلة الحيدرخانة على مقربة من الشارع العام

— ٤ —

(تكية البدوي) في رأس القرية عند الشارع العام اتخذتها وزارة الاوقاف في بنايتها الجديدة التي هي مركز الأوقاف العام اليوم مسجداً صغيراً وعينت فيه مدرساً يدرس اللغة العربية والفقه .

(تكية البندنيجي) في محلة الشيخ عبدالقادر الجيلي .

(تكية الشيخ رفيع) تكية كبيرة في محلة الشيخ الجيلي ، لها أوقاف كثيرة ونحو نصف اراضي الهنيدى شرقي الرصافة من أوقافها ، والشيخ رفيع فيما ذكر لي بعض المعمرين هندي كان مجاوراً في جامع الجيلي

(التكية القادرية) على الشارع العام غربي جامع المرادية (ص ٦٢) وهي مأوى متصوفة الاكراد القادرية . يقيمون فيها ظهر كل جمعة « حلقة ذكر » بغناء وتنحنح ونقر دفوف وتصفيق ، فتغص بالمتفرجين عليهم ، حتى اذا جن جنونهم وأصابهم « الحال » عربدوا وأزبدوا وهجموا على الحيطان ينطحونها برؤوسهم فتكاد تنفلق الحيطان ولا تنفلق جماجمهم ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً !

الجانب الغربي

-١-

(جامع الحاج امين) فى محلة سوق حمادة مركز الحصانة . كان مسجداً فاتخذ منذ نحو عامين جامعاً تقام فيه الجمعة .

(جامع خضر الياس) مطل على دجلة غربي مجلس النواب . كان قديماً مدرسة العلامة الشيخ محمد امين السويدي المذكورة فى ص ١٣٣ من هذا الكتاب ، ثم اتخذت جامعاً تقام فيه الجمعة . وقد اصلح ورمم فى هذه الايام .

(جامع عطاء) جامع معمور في محلة عطاء .

(جامع الست نفيسة) فى محلة الست نفيسة من محال الكرخ الغربية على طريق (الترام) عن شمال الذاهب الى الكاظمية ، فيه قبور بعض الشيوخ .

-٢-

(مسجد السيد ابراهيم) فى محلة علاوي الحلة شرقي الكرخ .

(مسجد التكارتة) فى محلة التكارتة على طريق تؤدى الى دجلة .

(مسجد ثريا) بنت معروف فى التكارتة .

(مسجد حمام شامي) فى الفحامة لايعرف واقفه .

(مسجد سوق حمادة) واقع عند مقاهي سوق حمادة عن يمين الذاهب اليه من طريق الترام .

(مسجد الشواف) فى محلة سوق حمادة .

(مسجد عدوان) مسجد كبير الفناء في المشاهدة من محال الكرخ الغربية .

استدراك

(ص ١١٧)

لما أتى الأستاذ المؤلف على ذكر جامع الكاظمية استطرد الى (جامع السنة) المشهور عند الناس باسم جامع السلطان سليم وقال إن بانيه السلطان سليمان القانوني الذي جاء بغداد سنة ٩٤١ ، فعدلت عن قوله الى القول المشهور ، وزدت بعده هذه الجملة « وبنى فى الركن الذى بين الشرق والشمال الخ » ثم ذيلتها بأبيات تركية وجدتها على هامش النسخة المخطوطة . وقد ورد فيها اسم السلطان سليم فكان ذلك ايضاً من جملة الدواعي التي حملتني على متابعة القول المشهور ، غير أني لم أنتبه الى قوله (فلما استرد العراق الخ) الا بعد أن طبعت الملزمة ، فان الذي استرد العراق من الصفويين انما هو سليمان القانوني ، فبقي فى العبارة لبس لا يزول الا بجعل سليم (سليمان) كما كان أولاً . ولعل هذا هو الصحيح وان لم يترجح لدي أحد الأمرين حتى الآن . واذا صح أن قول المؤلف باني الجامع هو سليمان القانوني بقي عندنا أمر المنارة ولا ريب أن ورود اسم السلطان سليم فى الأبيات يدل على أنه هو الذي أمر ببنائها وان لم يدخل بغداد . على أنني قد عددت قول الشاعر التركي فى تاريخها (اولدى بوجانفرا مناره تمام)فوجدت بين بنائها وبين زمن سليم الثاني بوناً شاسعاً ...!

وقد وددت لو يتسع لي نطاق الوقت فأحل هذه العقدة . فانني ما زلت متحيراً فى ذلك على ما بذلت من الجهد فى مراجعة عشرات المؤلفات التأريخية في التركية والعربية ، ولعل بعض الواقفين يرشدنا الى الحقيقة ان شاء الله .

الاغلاط المطبعية

ص	س	خطأ	صواب
٥	١٣	وقوله وأمن ظلم	وقوله تعالى ومن اظلم
١٣	٧	*	(زائدة)
١٦	١٧	الصرخت	الصرخة
٢٥	٢	غرفة	ذروة
٢٦	٨	تكية	التكية
٢٧	١٣	المتوفي	المتوف
٣٩	١	مصلاة	مصلاه
٣٩	١٦	ولا	ولولا
٤١	٦	حسين	حسن
٤٥	١	لاينفع	لا ينتفع
٤٦	٦	جهته	جهتها
٤٨	٨	يعد	بعد
٤٩	٢٢	ثبتت	اثبتت
٥٢	١٢	وهما	ومهما
٥٤	٢١	والخلاق	والخلق
٥٧	١	بالمصلين	المصلين
٦٥	١٢	المخلصلين	المخلصين
٦٦	٦	غرافات	غرفاته
٧٧	١٧ و ١١	ايالةمن	ايالة بغداد من
٧٩	١٣	وكان اعيان	وكان من اعيان
٩٨	١٨	استثنناء	استثناء
٩٩	٢٣	الفينة	النية
١١٧	١١	بن	ابن
١١٨	٨	جانفر	جانفرا
١٣١	١٩	سلمان	سليمان
١٣٢	١	بالانام	الانام
١٣٨	١٧	ادني	ادنى
١٤١ و ١٤٣		الدركزنلي	الدركزلي

فهرس

لاهم ماحواه هذا الكتاب من الأغراض والاعلام

أعلام العراق

وهو كتاب تاريخي أدبي انتقادي

يحتوي على تراجم طائفة من كبار علمآء العراق

وآثار أدبائه بأسلوب رشيق

قال فيه العلامة الشيخ عبدالقادر المغربي أحد أركان النهضة العلمية والادبية في بلاد الشام :

« . . . افتتح المصنف الكتاب بفصول ضمنها نشأة أسرة الألوسي في بغداد ثم أتى على تراجم بعض نوابغهم ونشر رسومهم ورسوم بعض أبنائهم . وأشهر هؤلاء النوابغ السيد محمود الالوسي صاحب التفسير الكبير المتوفي سنة ١٢٧٠ ﻫ . وهو جد المرحوم محمود شكري الالوسي ، ومن اشهر نوابغهم ايضاً عمه السيد نعمان مؤلف كتاب جلاء العينين في محاكمة الاحمدين المتوفى سنة ١٣١٧ ﻫ . ثم أفاض المصنف في ترجمة استاذه فاستغرقت نحو ثلثي الكتاب . . . وكنا اثناء تصفحنا لهذا الكتاب نعجب لذكاء مؤلفه وحسن تصرفه في الثناء على استاذه وكنا نرى علم استاذه واخلاقه وطريقته في الاصلاح وشدة وطأته على الجامدين : كل ذلك متجسما فيه ضارباً قبابه عليه . فما أشبههما بالشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية فكما كان هذان كوكبي اصلاح في العصور المتوسطة كذلك كان الالوسي وتلميذه الأثري في هذه العصور المتأخرة . وان كان الدهر فجعنا بالاستاذ الشيخ ، فندعو الله ان يمتع المسلمين زمناً طويلا بالتلميذ الذي ما زال في ميعة الشباب ، وغضاضه الاهاب ، وهو مع كونه لم يزل ابن لبون . قد شأى القرمين ، واستطاع ان يبذ البزل الصـاولين . ولم نجد في كل ما كتبه المؤلف أثراً لغلوآء الشباب ، اللهم الا ثلاث جمل كنـا نحب ان يتنزه عنها الكتاب ، كلمة في ص ٣٧ وردت في

وصف أبي الثناء محمود لنساء الاستانة . وكلمة اخرى في ص ٩٩ فيها شتم لرجل قضى نحبه . وكلمة ثالثة في ص ١٣٥ فيها تحقير لرجل مشهور لا شبهة في فضله ونبوغه . نعد على صديقنا المؤلف هذا ملقين تبعته على شبابه لا عليه وهو موضع الثقة في أن يحل نقدنا محله ويصغي اليه » .

مجلة المجمع العلمي العربي م ٧ ص ٢٨٠ الى ٢٨٢

وقال الاستاذ الباحث المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف منشئ مجلة الآثار :

« أطرفنا صديقنا الاستاذ العالم السيد محمد بهجة الأثري البغدادي بكتاب نفيس وضعه في سيرة أستاذه العلامة السيد محمود شكري الالوسي البغدادي المتوفى سنة ١٣٤٢ هـ عن ٩٠ سنة صرفها في التحرير والتحبير والتدريس . فبحث فيه عن الاسرة الالوسية ومشاهيرها وتراجمهم المزدانة برسومهم وأفاض في ترجمة الاستاذ المتوفى حديثاً ووصف مؤلفاته الكثيرة ثم الحق هذا بالتأبين واقوال الجرائد ، فكان مجموع صفحات الكتاب ٢٠٠ طبع باتقان ورتب بذوق بالمطبعة السلفية المشهورة في القاهرة بهذه السنة وقدمه الى المجمع العلمي العربي بدمشق الذي كان الفقيد من جملة اعضائه المراسلين . فجاء الكتاب طرفة تأريخية أدبية تستمطر الرحمات على العلماء الالوسيين ولا سيما فقيدهم الاخير وتحمل على شكر جامعه جزاه الله خيراً فان آثار أقلامه مستفيضة بيننا » .

مجلة الآثار م ٤ ص ٩٢

وقال الاستاذ العالم العامل الشهير السيد محب الدين الخطيب منشئ الزهراء :

« بيت الالوسي في بغداد بيت علم وشرف ، وقد نبغ منه في المائة السنة الاخيرة عدد غير قليل من العلماء والوجهاء والصلحاء ورجال السيف والقلم . وفي مقدمتهم الشهاب الالوسي صاحب التفسير ، وابوه وإخوته وخاتمتهم فقيد العراق وعالمها

وطرها السيد محمود شكري صاحب المؤلفات والحسنات الكثيرة .

ومن حسناته صديقنا العالم الفاضل ، والاديب الضليع السيد محمد بهجة الأثري كبير تلامذته وحامل امانته . فقد ألف كتاباً باسم (أعلام العراق) أتى فيه على تاريخ هذه الاسرة الشريفة وتراجم رجالها واحداً واحداً حتى انتهى الى شخه السيد محمود شكري فاورد سيرته على وجه التفصيل من سنة ولادته (١٢٧٣ هـ) الى يوم وفاته (٤ شوال ١٣٤٢ هـ) ، وأتبعها بمقالة في احواله وأخلاقه ، وأخرى في مميزاته وعنايته بأمر الدين واللغة والتاريخ ، ثم أتى على ثبت مؤلفاته الاصلاحية والتاريخية والعلمية ، ومجموعها ٥٢ كتاباً . وعقد فصلاً لاسلوبه الكتابي وأتى على امثلة متنوعة من انشائه ، وختم الكتاب بالتآبين التي قيلت فيه بمناسبة وفاته . وهي ثلاثة اقسام : رسائل التعازي ، المقالات ، القصائد .

ان السيد محمد بهجة الأثري قد أحسن بكتابه هذا الى التاريخ بما اذاعه من تراجم هؤلاء الاعلام ، وبيان مكانة بيت جليل من بيوت العلم والشرف في الاسلام . وأحسن به الى وطنه بغداد بما نشره من مآثر جماعة من رجالها ، وقام فيه بما عليه لشيخه من حق الوفاء ، مع الصدق في النقل ، والامانة في التدوين ، والاستطراد الى كثير من الفوائد التي لا يجدها القارئ في كتاب آخر . جزاه الله خيراً » .

الزهراء م ٣ ص ٤٧٢



اِجع مناقب بغداد

استدراك

الحروف العربية متشابهة تكون عرضة للتصحيف غالباً فلذا لاتكاد ترى كتاباً عربياً يخلو
من وقوع اغلاط فيه وان تعاقب المصححون على تصحيحه ، وقد بذلنا الجهد مع (المنضدين)
في تصحيح هذا الكتيب فلم يخل مع ذلك من اغلاط نبهنا على بعضها في آخره ، وبقيت
اغلاط اخرى ننبه عليها هنا . فمنها كلمة (سلمان) في ص ٧ وفي (و) من الفهرست
وصوابها (سليمان) و (غرفاً) في ٧ وصوابها (عرقاً) و (كسرى المدائن) في ٨
وصوابها (قصر المدائن) و (نقضه) في ٩ والصواب (نقضها) و (باب جديد) في ١٠
والصواب (باب حديد) و (اسواقها) في ١١ والصواب (اسواقهما) و (اربعة) في
١٢ والصواب (واربع) و (وكان) في ١٥ والصواب (وكانت) و(المتعمد) في ١٥
والصواب (المعتمد) و (كان سنة تسع عشرة وخمسانة) في ١٦ والصواب (كانت سنة
تسع عشرة وخمسمائة) و (القيض) في ١٦ والصواب (القيظ) و (ستة وستين) في ١٧.
والصواب (ست وستين) و (الصينات) في ١٨ وفي (ط) والصواب (الصبيبات)
و (كثيرة) في ٢٠ والصواب (كثرة) (والخبازين) في ٢٦ والصواب (للخبازين)
و (مصفرة) في ٢٦ والصواب (مضفرة) و (دار رقيق) في ٢٧ و ٣٣ والصواب
(دار الرقيق) و (والكناس) في ٢٩ والصواب (الكناسة) او (كناسة) و(ابو
حنينة) في ٣٠ والصواب (وابي حنيفة) و (فصلا - ديبقي) في ٣١ والصواب
(فصلانا - ديبقي) و (ورواصنه) في ٣٣ والصواب (ورواضعه) و (وتعب) في ٣٤
والصواب (ولعب) و (جنته) في ٣٦ والصواب (جفنة) و (اردى - خلقه) في
٣٧ والصواب (اردأ - حلقه) هذا وخفاء بعض النقط او سقوطها او زيادتها لا يخفى
على قارئ . وفي ص ٣٥ كلمة محرفة في الاصل لم يظهر لنا وجه صوابها وهي (وعرلها)
ثم ظهر لنا بعد الطبع انها (وحزنها) .

رقم الايداع
٢٠١٠/٢٧٦٦

مناقب بغـداد

تأليف

جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الشهير
بابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ



انتسخه عن نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة في الخزانة التيمورية في القاهرة
وعني بتصحيحه وتعليق هوامشه ونشره

محمد بهجة الاثري البغدادي

مطبعة دار السلام : ببغـداد

١٣٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

اما بعد فان من آثار السلف الصالح التي عثرت عليها بالبحث والتنقيب وصحت عزيمتي على طبعها ونشرها هذه الرسالة المسماة (مناقب بغداد) لابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري الحنبلي الملقب جمال الدين الشهير بابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

وقد اطلعني شيخي علامة العراق المفضال السيد محمود شكري الآلوسي على نسخة منها فوتوغرافية [1] ، مهداة من حضرة العالم المحسن الجواد الشهير صاحب السعادة احمد تيمور باشا المصري الى صديقنا الاستاذ انستاس ماري الكرملي ، فوجدتها — على صغر حجمها — قد احتوت على فوائد مهمة بعبارة موجزة ربما يصعب العثور عليها في غيرها فراقت لي وعزمت على طبعها ونشرها .

ولما صحت العزيمة انتسخت نسخة منها بيدي ، وقابلتها بعد اتمامها بالاصل ، وعنيت بتصحيحها بعد مراجعة كثير من المظان ، وزدت بعض عبارات للتكميل وضعتها بين قوسين ( ) ثم علقت في اثناء اعادة نظري عليها سوانح وخطرات ربما تقع موقع القبول لدى الحذاق والمتبصرين ، فجاءت بحمد الله تعالى اصح واحسن من الاصل بكثير وان لم اتوفق لتصحيحها حسب ما احب ، فقد بقيت مواضع لم اهتد الى قراءتها لرداءة الخط وغموضه فاضطررت

---

(١) يظهر من عبارة كتبت في هامش الكلام على انهار بغداد انها منقولة من نسخة بخط ابن الجوزي .

الى ان اكتب على هوامش بعضها ما يناسب المعنى مما اجده في بعض المظان ، وان اترك مالا اجدله نصاً أولا افقه له معنى واشير اليه بقولي (كذا الاصل) أو (لعل الصواب كذا) أو (كذا الاصل والصواب كذا) على حسب اقتضاء المقام .

هذا وان نسبة هذه الرسالة الى الشيخ عبد الرحمن بن الجوزي لست بواثق بها ، ولا جازم بصحتها ، فقد راجعت ما بين يدي من الكتب التي ترجم فيها ابن الجوزي وذكرت له فيها ما ينيف على مائة كتاب في التفسير والحديث والفقه والسير والتراجم والوعظ والتصوف والجغرافية والتاريخ واللغة ، فلم ار بينها لهذه الرسالة ذكراً . وقد يجوز ان يكون من ترجمه لم يقف عليها أو لم يسمع بها فاغفلها والله أعلم .

بغداد : ١ رجب سنة ١٣٤٢ هـ　　　　محمد بهجة الأثري



بسم الله الرحمن الرحيم

نقلت من كتاب مناقب بغداد الذي الفه الشيخ جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

قال : ذكر علماء الاوائل ان اقاليم الارض سبعة ، وان الهند رسمتها فجعلت صفة الاقاليم كأنها حلقة فالاقليم الاول بلاد الهند . والثاني الحجاز . والثالث مصر . والرابع بابل وهو اوسط الاقاليم واعمرها وفيهِ جزيرة العرب وفيهِ العراق الذي هو سرة الدنيا و بغداد هي وسط هذا الاقليم . والخامس بلاد الروم والشام . والسادس بلاد الترك . والسابع بلاد الصين . . فالاقليم الرابع الذي فيهِ العراق وفي العراق بغداد هو صفوة الارض ولذلك اعتدلت الوان اهله ، وامتدت اجسامهم ، وسلموا من شقرة الروم والصقالبة ومن سواد الحبش وسائر اجناس السودان ومن غلاظة الترك ومن جفاء اهل الجبال وخراسان ، ومن دمامة اهل الصين ومن جانسهم وشاكل خلقهم فلذلك اعتدلوا في الخلقة ولطفوا في الفطنة والتمسك بالعلم والآداب وهم اهل العراق ومن جاورهم .

حد العراق

من بلد (حديثة الموصل) الى عباذان طولا ومن العذيب الى جبل طور عرضاً (١) .

---

(١) هنا نحو سطر لم نتمكن من قراءته لغموضه فاعتضنا عنه بغيره . قال شيخ مشائخنا

مدح العراق

روي عن معاذ بن جبل انهُ قال : قال النبي صلى الله عليهِ وسلم اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وفي شامنا وفي يمننا وفي حجازنا قال فقام اليهِ رجل فقال يارسول الله وفي عراقنا فأمسك النبي « ص » فلما كان في اليوم الثاني قال مثل ذلك (فقـام اليهِ الرجل فقال يارسول الله وفي عراقنا . فأمسك النبي « ص » فلما كان) في اليوم الثالث (قام اليهِ الرجل فقال يارسول الله وفي عراقنـا فأمسك النبي « ص ») فولى الرجل وهو يبكي فدعاه النبي « ص » فقال : أمن العراق انت ؟ قال : نعم . قال : ان ابراهيم هم ان يدعو عليهم فأوحى الله اليه : لا تفعل فاني جعلت خزائن علمي فيهم واسكنت الرحمة في قلوبهم (١) .

وروي عن ابن عائشة انهُ قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ الى كعب الاحبار : أن اختر لي المنازل ، فكتب : يا أمير المؤمنين انهُ بلغنا ان الاشياء اجتمعت فقال السخاء : اريد اليمن . فقال حسن الخلق : انا معك . وقال الجفاء : اريد الحجاز . فقال الفقر : وانا معك . وقال البأس : اريد الشـام . فقال السيف : وانا معك . وقال العلم : اريد العراق . فقال العقل : وانا معك . وقال الغنى : اريد مصر . فقال الذل : وانا معك ، فاختر لنفسك . فلما ورد الكتاب

الشهاب الالوسي في الطراز المذهب (١١٢) : حد العراق طولا من حديثة الموصل على دجلة او من العلث وهو شرقي دجلة لا العلث الذي غربيها قرب الدجيل او من الموصل كما في القاموس - الى عبادان ، وعرضاً من القادسية قرب الكوفة الى حلوان . وهو يذكر باعتبار الاقليم ويؤنث باعتبار البلاد والارض . انتهى باختصار . اقول : وفي حده اختلاف ذكر في معجم البلدان (٦ : ١٣٥) .

(١) اقول : ان هذا الحديث لم يخرجه احد من الثقات ، وامارات الوضع بادية عليه اذ لم يثبت شيء ما في مدح العراق عن النبي صلى الله عليه وسلم قط بل قد ذمه في احاديث كثيرة ثبتت عنه . منها : حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : دعا النبي (ص) فقال : اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وبارك لنا في شامنا ويمننا فقال رجل من القوم : يا نبي الله وعراقنا . قال : ان بها قرن الشيطان وتهيج الفتن وان الجفاء بالمشرق ، رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات كذا في الترغيب والترهيب للامام المنذري ،

عليه قال : فالعراق اذن فالعراق اذن [١] .

اسم بغداد

قال الاصمعي : لا يقال بغداد بل مدينة السلام فان في الحديث ان « بغ » بالفارسية صنم ، و « داد » عطيته فكأنها عطية الصنم . وقال عبدالله ابن المبارك : لايقال بغداذ بالذال (المعجمة آخره) فان « بغ » شيطان و « داذ » عطيته فانها شرك ولكن يقال بغداد و بغدان كما تقول العرب . وقال ابو عبيدة : يقال بغداد و بغداذ و بغدان ومغدان . . وقال محمد بن القاسم الانباري : قولهم بغداد من لغة الاعاجم و (نعقدمالقرعه) [٢] بستان رجل بغ بستان وداد رجل . وقيل : هو اسم صنم ولا اشتقاق له في لغة العرب ولا اصل في كلامهم . وسميت مدينة السلام لمقاربتها دجلة وكانت دجلة تسمى قصر السلام [٣] . وانما قيل بغدان ومغدان للمجانسة بين الباء والميم كما يقال عذاب لازب ولازم . وقيل : ان المنصور لما اراد وضع الاساس قال : ما اسم هذا الموضع ؟ فقالوا : لا ندري ولكن ههنا رجل من الاولين فبعث عليه وسأله : ما اسمك ؟ فقال : اسمي داد . فقال : وما اسم هذا الموضع ؟ فقال : هذا باغ لي ، يعني البستان فسموه باغ داد . وقيل : ان هذا الاسم كان يعرف به قديماً قبل المنصور . وكانت بغداد في ايام ممالك الاعاجم قرية تقوم

---

(١) اقول : ذكر الثعالبي في المضاف والمنسوب نحواً من هذا غير انه فيه ذم للعراق . قال : ذكر ابو الحسن المدائني عن اشياخه عن الحجاج انه كان يقول لما نزلت الاشياء منازلها قالت الطاعة : انا انزل الشام ، فقال الطاعون : وانا معك . وقال الخصب : انا انزل العراق ، فقال النفاق : وانا معك . وقالت الصحة : انا انزل البادية ، فقال الشقاء : وانا معك .

(٢) كذا الاصل وعبارة ابن الانباري التي وردت في معجم البلدان : اصل بغداد للاعاجم والعرب تختلف في لفظها اذ لم يكن اصلها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغاتهم . . قال بعض الاعاجم : تفسيره بستان رجل فباغ بستان وداد اسم رجل .

(٣) كذا الاصل والصواب وادي السلام .

بها للفرس في كل سنة سوق عظيمة ويجتمع بها في ذلك الموسم التجار فلما توجه المسلمون الى العراق وفتحوا اول السواد ذكر للمثنى بن حارثة الشيباني أمر سوق بغداد فقصدها وهو اول من نوارب (١) الفرس في خلافة أبي بكر الصديق (رض) وسبب ذلك ان اهل الحيرة قالوا له : ألا ندلك على قرية يأتيها تجار مدائن كسرى وتجار السواد ويجتمع بها كل سنة من اموال الناس مثل خراج العراق وهذه ايام موسمهم الذي يجتمعون بهِ فان انت قدرت عليهم وهم لايشعرون اصبت بها اموالا يكون بها عز المسلمين وقوتهم على عدوهم وبينها وبين مدائن كسرى عامة يوم فسار الى الانبار واخذ منها من يدله الطريق ثم سار حتى صبحهم في اسواقهم فوضع فيهم السيف وقال لاصحابهِ : لا يأخذون الا الذهب والفضة ومن المتاع مايقدر الرجل على حمله على دابتهِ ففعلوا ذلك وعادوا الى الانبار وقد غنموا اموالا كثيرة .

بناء بغداد

روى عن حميد بن جبلة قال : حدثني ابي عن جدي جبلة قال : كانت مدينة ابي جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديين يقال لها المباركة وكانت لستين نفساً من البغداديين فعوضهم عنها عوضاً ارضاهم فاخذ جدي جبلة قسمته فيهم . قال سلمان بن مخالد : خرج المنصور يرتاد منزلا فخرجنا على ساباط فتخلف بعض اصحابنا لرمد اصابه فاقام يعالج عينه فسأله الطبيب: اين يريد امير المؤمنين؟ فقال: يرتاد منزلا . قال : فانا نجد في كتاب عندنا ان رجلا يدعي مقلاصاً يبني مدينة من دجلة والصراة تدعى الزوراء فاذا اسسها وبنى غرفاً منها اتاه فتق من الحجاز فيقطع بناءها ويقبل على اصلاح ذلك الفتق فاذا كاد يلتئم اتاه فتق من البصرة هو اكبر منه فلا يلبث الفتقان ان يلتئما ثم يعود الى بنائها

(١) لعله حارب .

فيشمه ويعمر عمراً طويلا ويبقى الملك في عقبه . قال سليمان : فبنيا امير المؤمنين في اطراف الجبال يرتاد منزلا اذ قدم صاحبي فاخبرني الخبر فاخبرت به امير المؤمنين فدعا الرجل فحدثه الحديث فكر راجعاً عوده على بدئه وقال : انا والله ذلك لقد سميت مقلاصاً واناصبي ثم انقطعت عني ، ثم انه شاور في ذلك فاتفق رأى القوم على بغداد وقالوا له : تجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة ، ومن ارمينية وما اتصل بها في تامرا حتى تصل الى الزاب ومن الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة وانت بين انهار لا يصل اليك عدوك الا على جسر او قنطرة فاذا قطعت الجسر واخربت القناطر لم يصل اليك عدوك وانت من دجلة والفرات لا يجيئك احد من المشرق او المغرب الا احتاج الى العبور فدجلة والفرات خنادق لامير المؤمنين ، فوجه في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط (فاحضروا وامر) [1] باختيار قوم من اهل الفضل والعدالة والثقه والامانة والمعرفة بالهندسة وكان ممن احضر الحجاج بن ارطاة وابو حنيفة النعمان بن ثابت وكان ابو حنيفة يعد اللبن بالقصب ، وامر بخط المدينة وحفر الاساسات وضرب اللبن وطبخ الآجر وكانت اللبنة ذراعاً في ذراع ووزنت لبنة فكانت مائة وسبعة عشر رطلا فبدىء بذلك وكان ذلك في سنة خمس واربعين .

واحب ان ينظر اليها فامر ان تخط بالرماد واقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلانها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد وأمر أن يحفر الاساس على ذلك الرسم . . ولما احتاج المنصور في بنائه الى الانقاض قال لخالد بن برمك : ما ترى في نقض بناء كسرى المدائن ؟ فقال : لااری ذلك لانه علم

(١) في الاصل : وواسط والبصرة فاحه ووصع متهم الوف ثم امر ؟ والعبارة ترى محرفة وقد صححناها على معجم البلدان .

من اعلام الاسلام يستدل به الناظر اليه على انه لم يكن ليزال مثل اصحابه عنه بامر دنيا وانما هو بامر دين . فقال : ابيت الا الميل الى اصحابك الاعاجم وامر بنقض القصر الابيض فنقضت ناحية منه وحمل نقضه فنظر في الخرج عليه فوجدوه اكثر من ثمن الجديد فرفع (دباحدورعا) [١] فدعا خالداً واخبره بذلك وقال : ما ترى ؟ قال : قد كنت ارى ان لا تفعل . فلما اقدمت فارى ان تهدم لئلا يقال انك عجزت عن هدمه فاعرض عن ذلك وامر ان لا يهدم ذلك [٢] . وامر ان يجعل عرض السور من اسفله خمسين ذراعاً واعلاه عشرين ذراعاً فكان في كل ساف مائة الف لبنة واثنتان وستون الف لبنة وكان ارتفاع السور خمساً وثلاثين ذراعاً وجعل لها سورين وفصيلين وجعلت المدينة مدورة ، وتمت في سنة ست وار بعين ونزلها ونقل اليها الخزائن وبيوت الاموال والدواوين . وقيل: ان مساحتها مائة جريب وثلاثون جريباً . وانفق عليها ثمانية عشر الف الف . وقال احمد بن علي : رأيت في بعض الكتب انهُ انفق عليها وعلى جامعها وقصر الذهب فيها وابوابها ما جلة ذلك اربعة آلاف الف وثمانمائة الف وثلاثة وثمانين درهماً وكان الاستاذ من الصناع يعمل يومه بقيراط الى خمس حبات ، والروزجاري بحبتين الى ثلاث حبات . ذكر اسحق الازدي : ان رباحاً البناء حدثهُ وكان ممن يتولى بناء سور مدينة المنصور ـ قال : من كل باب من ابواب المدينة الى الباب الآخر ميل ، وفي كل ساف مائة الف لبنة واثنان وستون الف لبنة . فلما بنينا الثلث من السور لطفناه

(١) كذا الاصل .

(٢) ومثل هذه القصة وقعت ليحي بن خالد مع الرشيد وهو اذ ذاك في اعتقاله وكان الرشيد بلغه ان تحته كنزاً فاراد هدمه واستشار يحي فاشار عليه بمثل هذا . انظر نهاية الارب للنويري (١ : ٣٨٠) .

فصيرنا الساف مائة الف لبنة وخمسين الف لبنة . فلما جاوزنا الثلثين لطفناه فصيرنا في الساف مائة وار بعين الف لبنة الى اعلاه . وذكر الخطيب : ان ارتفاع السور خمسة وثلاثون ذراعاً ، وعرضهُ من اسفله نحواً من عشرين ذراعاً . وجعل للمدينة اربعة ابواب فاذا جاء احد من الحجاز دخل من باب الكوفة ، واذا جاء من المغرب دخل من باب الشام ، واذا جاء من الاهواز وواسط والبصرة والبحرين دخل من باب البصرة ، واذا جاء من المشرق دخل من باب خراسان . ومن الباب الى الباب الف ذراع ومائتا ذراع وعلى كل ازج من ازاج هذه الابواب مجلس له درجة وعليهِ قبة عظيمة سمكها في السماء خمسون ذراعاً مزخرفة وعليها تمثال تديره الرياح (فاذا اراد المنصور النظر الى الماء والى من يقبل من القبة و يجلس في باب القبة واذا أحب النظر الى الارباض جلس في قبة باب الشام ، واذا أحب النظر الى الكرخ جلس في قبة باب الكوفة) (١) وكان على كل باب منها باب جديد نقل من واسط وهي ابواب الحجاج ، ويقال ان الحجاج نقلها من مدينة بناها سليمان بن داود واتفق له في سنة سبع وثلثمائة ان العامة كسرت الحبوس وافلت من كان فيها فغلقت الابواب وتتبعهم الشرط فلم يفلت منهم واحد . . وكان على ابواب المدينة ستور وحجاب وعلى كل باب قائد في الف وبين كل بابين ثمانية وعشرون برجاً وكان المنصور يجلس في هذه القباب للنزهة وكان لا يدخل احد من هذه الابواب الا راجلا الا المهدي وداود بن علي عم المنصور فانهُ كان منقرساً

---

(١) العبارة التي وضعناها بين القوسين محرفة وصوابها : (وكانت هذه القبة مجلس المنصور اذا احب النظر الى الماء والى من يقبل من ناحية خراسان ، وقبة على باب الشام كانت مجلس المنصور اذا احب النظر الى الارباض وما والاها ، وقبة على باب البصرة كانت مجلسه اذا احب النظر الى الكرخ ومن اقبل من تلك الناحية ، وقبة على باب الكوفة كانت مجلسه اذا احب النظر الى البساتين والضياع) انظر ص ١٣ من مقدمة تاريخ الخطيب البغدادي ،

فيحمل في محفة فقال له عمهُ عبد الصمد بن علي: يا أمير المؤمنين انا شيخ كبير فلو أذنت لي ان انزل داخل الابواب فلم يأذن له . فقال : يا أمير المؤمنين عدني بعض بغال الروايا التي تصل الى الرحاب . فقال : يا ربيع (بغال الروايا) تصل الى رحابي ؟ فقال : نعم . فقال : تتخذ الساعة قني بالساج من باب خراسان حتى تجيء الى قصري فمدت قناة من نهر دجيل الآخذ من دجلة قناة وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات (وجرهما) الى المدينة في عقود وثيقة محكمة بالآجر والصاروج وكانت كل قناة منها تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب وتجري صيفاً وشتاء واجرى لاهل الكرخ انهاراً . وكان المنصور يقول للربيع : هل تعلم في بنائي هذا موضعاً اذا اخذني فيهِ الحصار خرجت خارجاً منهُ على فرسخين ؟ فقال : لا . قال : بلى . ولعله أشار الى القنوات . وكانت الابنية متصلة بالمدينة من شاطىء دجلة الى الكبش والاسد وهما موضعان قريبان من قبر ابراهيم الحربي . حكى بشر بن علي بن حميد الكاتب قال : كنت اجتاز بالكبش والاسد ولا اكاد اخلص في اسواقها من شدة الزحمة .

بناء القصر

وأمر ببناء قصر كانت مساحتهُ اربعمائة ذراع في اربعمائة ذراع وكان في صدره ايوان طوله ثلاثون ذراعاً وعرضهُ عشرون ذراعاً وفي صدر الايوان مجلس عشرون في عشرين وفي صدر القصر القبة الخضراء طولها ثمانون ذراعا وعلى رأسها تمثال فرس عليهِ فارس . وقيل : كان على رأسها صنم في صورة فارس في يده رمح وكان السلطان اذا رأى ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومد الرمح نحوها ، علم ان بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة فلا

يطول الوقت حتى ترد عليهِ الاخبار بأن خارجياً قد هجم من تلك الجهة (١).

روي ان رأس هذه القبة سقط يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلثمائة وكان ليلتئذ مطر عظيم ، ورعد هائل ، وبرق شديد ، وكانت هذه القبة تاج بغداد ، وعلم البلد ، ومأثرة من مآثر بني العباس ، بنيت اول ملكهم فكان بين بنائها وسقوطها مائة واربعة وثمانون سنة .

بناء القصر المسمى بالخلد

بنى قصراً على دجلة (٢) مما يلي باب خراسان ، وسماه « الخلد » تشبيهاً بجنة الخلد لما حوى من العجائب .

بناء الرُصافة

وفي سنة احدى وخمسين ومائة ابتدأ المنصور ببناء الرصافة بالجانب الشرقي لابنهِ المهدي .. وكان السبب في ذلك ان الراوندية شغبت على المنصور وحاربوه على باب الذهب فدخل عليهِ قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس وهو يومئذ شيخ كبير مقدم عند القوم فقال له المنصور ما ترى ما نحن فيهِ من التياث

---

(١) اقول : ان هذا ـ كما يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان (٢ : ٢٣٥) ـ من المستحيل والكذب الفاحش ، وانما يحكى مثل هذا عن سحرة مصر وطلسمات بليناس التي اوهم الاغمار صحتها تطاول الازمان والتخيل ان المتقدمين ما كانوا بني آدم ، فاما الملة الاسلامية فانها تجل عن هذه الخرافات فان من المعلوم ان الحيوان الناطق مكلف الصانع لهذا التمثال لا يعلم شيئاً مما ينسب الى هذا الجماد ولو كان نبياً مرسلا وايضاً لو كان كلما توجهت الى جهة خرج منها خارجي لوجب ان لا يزال خارجي يخرج في كل وقت لانها لابد ان تتوجه الى وجه من الوجوه والله اعلم ،

(٢) اقول : وذلك في سنة ١٥٩ وكان موضع الخلد قديماً ديراً فيه راهب . قال الحموي : وانما اختار المنصور نزوله وبنى قصره فيه لعلة البق وكان عذباً طيب الهواء لانه اشرف المواضع التي ببغداد كلها قال : ومر بالخلد علي بن ابي هاشم الكوفي فنظر اليه فقال :

بنوا وقالوا لا نموت ... وللخراب بنى المبنى
ما عاقل فيما رأيت ... الى الخراب بمطمئن

العسكر علينا وقد خفت ان يخرج الامر من ايدينا؟ فأشار ببناء الرصافة وقال : ان فسد عليك أمر هـذا الجانب ضربتهم بأهل ذلك الجانب فبنى الرصافة وعمل لها سوراً وهدفاً وميداناً و بستاناً وأجرى لها المـاء وأقطع القواد هناك قطائع . وكل ذلك البناء بالرهص[١] الا ما يسكنهُ المهدي ولده .

بنـآء الكرخ

لما فرغ المنصور من مدينته وصير الاسواق فيها من كل جانب قدم عليه وفد ملك الروم فامر ان يطاف بهم في المدينة ، ثم دعاهم فقال للبطريق : كيف رأيت هذه المدينة ؟ قال : رأيت امرها كاملا الا في خلة واحدة . (قال : ماهي؟ قال:)عدوك يخترقها متى شاء وانت لا تعلم واخبارك مبثوثة في الآفاق لا يمكنك سترها. قال: كيف؟ قال: الاسواق فيها والاسواق غير ممنوع منها احد فيدخل العدو كأنه يريد ان يتسوق . واما التجار فانها ترد الآفاق فيتحدثون باخبارك ، فامر المنصور حينئذ باخراج الاسواق من المدينة الى الكرخ ، وان يبني ما بين الصراة الى نهر عيسى وولى ذلك محمد بن حبيش[٢] الكاتب ، ودعا المنصور بثوب واسع فخد فيه الاسواق ، ورتب كل صنف منها في موضعه وقال: اجعلوا سوق القصابين في آخر الاسواق فانهم سفهـآء وفي ايديهم الحديد القاطع ، ثم امر ان يبنى لاهل الاسواق مسجد يجتمعون فيه يوم الجمعة لا يدخلون المدينة ، وقلد ذلك رجلا يقال له الوضاح فبنى القصر الذي يقال له (قصر) الوضاح والمسجد فيه ، وسميت الشرقية لانها شرقي الصراة ، ولم يضع المنصور على الاسواق غلة حتى مات فلما استخلف المهدي اشار عليه ابو عبد الله بذلك فامر فوضع على الحوانيت الخراج وكان ذلك سنة

(١) بكسر الراء وسكون الهاء الطين الذي يبنى به يجعل بعضه على بعض .

(٢) في مقدمة تاريخ بغداد : حنيس

سبع وستين ومائة . . وكانت سوق دار بطيخ [١] قبل ان ينقل الكرخ في درب يعرف بدرب الاساكفة ودرب يعرف بدرب الزيت ودرب يعرف بدرب العاج فنقلت السوق الى داخل الكرخ في ايام المهدي . . وفي سوق العتيقة مسجد [٢] تغشاه الشيعة وتزعم ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام صلى هناك . وقيل : انه مادخل بغداد وانما سلك طريق المدائن في ذهابه الى النهروان ورجوعه [٣] . . قال ابو العيناء : جلس المنصور يوماً وعنده وافد من ملك الروم فسمع صرخة كادت تقلع القصر فقال : يا ربيع ينظر ما هذا ، ثم سمع صرخة اخرى اشد من الاولى ، فقال : يا ربيع ينظر ما هذا ثم سمع صرخة اخرى اشد من الاوليين فقال : يا ربيع اخرج بنفسك . فخرج ثم عاد فقال : يا امير المؤمنين انها بقرة قربت لتذبح فغلبت الجزار وخرجت تدور في الاسواق فاصغى الرومي الى الربيع يتفهم مايقول ففطن المنصور لاصغائه فقال : يا ربيع افهمه فافهمه فقال : يا امير المؤمنين انك بنيت بناء لم يبنه احد كان قبلك وفيه ثلاثة عيوب . قال : وما هي ؟ قال : اولها بعده عن الماء . والثاني فان العين خضرة تشتاق الى الخضرة وليس في محلك هذا بستان . والثالث فان رعيتك في بنائك واذا كانت الرعية مع الملك في بنائه فشى سره . قال: فتجلد المنصور وقال: اما الماء فحسبنا منه مابيل شفاهنا. والثاني فانا لم نخلق للهو واللعب . واما سري فمالي سر دون رعيتي وعرف وجه الصواب فيما قاله فقال : مدوا لي قناتين من دجلة واغرسوا لي العباسية

---

(١) دار البطيخ محلة كانت ببغداد كان يباع فيها الفواكه . واياها اراد محمد بن محمد ابن لنكك البصري .

انت ابن كل البرايا لكن اقتصروا على اسم حمزة وصفا غير تشميخ
كدار بطيخ تحوي كل فاكهة وما اسمها الدهر الادار بطيخ

(٢) يسمى مسجد براثا ويعرف الآن بالمنطقة .

(٣) انظر مقدمة تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ص : ٣٥ و ٣٦) .

وانقلوا الناس الى الكرخ ففعلوا ماتقدم شرحه .

ورتب محال مدينة السلام من الجانبين ترتيباً حسناً وكان مساحتها من الجانبين ثلاثة وخمسين الف جريب وسبعمائة وخمسين جريبا :الجانب الشرقي ستة وعشرون الف جريب وسبعمائة وخمسون جريبا . والغربي سبعة وعشرون الف جريب ولم يذكر اسماء المحال وقال : ليس في ذكرها كبير فائدة فلهذا اضربنا عن ذكره .

قال احمد بن الحرث : صورت بغداد لملك الروم ارضها واسواقها وشوارعها وقصورها وانهارها غربيها وشرقيها فكان يعجب من وضع شوارع الجانب الشرقي خصوصا من شارع « الميدان »[1] وشارع «سويقة نصر» بن مالك (الخزاعي) [2] والقصور التي في الاسواق والشوارع من «سويقة نصر» الى قنطرة البردان وكان اذا شرب دعا بالصورة فشرب على صورة شارع نصر ويقول: لم ار صورة شيء من الابنية احسن منه .

واما دار الخلافة فهي القصر الحسني كانت قصراً للحسن بن سهل فلما توفى صارت لابنته « بوران » واستنزلها عنها [3] المعتضد وقيل المتعمد [4] فعمرها وبيضها وفرشها باحسن الفرش وزينها بالخدم والجواري وكل ما تدعو الحاجة اليه فانتقل اليها واستضاف اليها مما يجاورها . . وبنى المكتفى بالله

---

(١) كان شارعاً ماراً من الشماسية الى سوق الثلاثاء وفيه قصر ام حبيب بنت الرشيد .

(٢) اقطعه اياها المهدي وهو والد احمد بن نصر الزاهد المطلوب في القران ايام الواثق .

(٣) في الاصل : عنه.

(٤) اقول : والصحيح ان الذي استنزلها عنها هو المعتمد وهي لم تعش الى زمان المعتضد وقد كان هذا القصر بعد ان جددته وفرشته ـ من احب البقاع الى المعتمد ، وكان يتردد فيما بينه وبين سر من رأى فيقيم هنا تارة ، وهناك اخرى ثم توفى فيه سنة : ٢٧٩ وحمل الى سامراء فدفن بها . . ثم استولاه المعتضد فاستضاف اليه ما جاوره فوسعه وكبره وادار عليه سوراً واتخذ حوله منازل كثيرة واقطع من البرية قطعة فعملها ميداناً عوضاً من الميدان الذي ادخله في العمارة .

التاج[1] على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس عجائب . وما زال الخلفاء يستجدون فيها البنيان العجيب و يوسعونها .

فاما دار المملكة المختصة بالسلاطين فانها كانت باعلى المخرم وكانت داراً لسبكتكين غلام معز الدولة فنقض عضد الدولة اكثرها واراد ان يعمل ميدانها بستانا و يأتي بماء من « الخالص » فشق نهراً في وسطها فبلغت النفقة خمسة الف الف درهم غير ما انفق على ابنية الدار . ولما ورد « طغرل بك » بغداد في سنة ثمان وار بعين وار بعمائة عمر هذه الدار و بنى مدينة عند المخرم وتقدم ملكشاه ببناء خانات للباعة هناك وسوق ودروب و بنى الجامع هناك، ثم ان دار المملكة خربت فاستجدها بهروز في سنة تسع وخمسمائة وحمل اليها اعيان الدولة الفرش الحسنة ، والاشياء الرائقة ، واستدعي القراء والفقهاء والقضاة والصوفية فقرؤا فيها القرآن ثلاثة ايام متوالية فلما كان سنة تسع عشرة وخمسائة مرت جارية في الليل و بيدها شمعة فوقعت النار في الخيش[2] فاحترقت الدار وكان

---

(١) اقول : ان الذي كان اول من وضع اساسه وسماه بهذه التسمية هو المعتضد لاغيره فانه ابتدأ في بنائه وجمع الرجال لحفر اساسه ثم اتفق خروجه الى آمد فلما عاد رأى الدخان يرتفع الى الدار فكرهه وابتنى على نحو ميلين منه (الثريا) ثم مات المعتضد بالله في سنة ٢٨٩ وتولى ابنه المكتفي بالله فاتم عمارته وقد ذكر الحموي قصته .

(٢) الخيش : ثياب خشنة من الكتان يعمل منها العراقيون مراوح وقد الغز فيها الحريري فقال :

وجارية في سيرها مشمعلة ... ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها ... على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في اوان القيض تنطف بالندى ... ويبدو اذا ولى المصيف قحولها

قال الشريشي : وهذه المروحة ـ مروحة الخيش ـ تستعمل ببلاد العراق تكون شبه الشراع للسفينة وتعلق من سقف البيت ويشد فيها حبل ويدار بها مشيها وتبل بالماء وترش بماء الورد فاذا اراد الرجل في القائلة او الليل ان ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجيء فيهب على الرجل منها نسيم طيب الريح بارد فيذهب عنه اذى الحر ويستطيب به النوم وهي فوقه ذاهبة وجائية . قال : ولذلك سماها ـ اي الحريري ـ جارية . وللسري الموصلي فيها :

وخيش كما انجرت ذيول غلائل ... مصندلة يختال فيها الكواعب
وقد اطلعت فيها الشمائل واشتفت ... مقيدة عن جانبيها الجوانب

السلطان على السطح فنزل هاربا الى سفينة وذهب كل ما كان فيها من الآلات والجواهر ما يزيد قيمته على الف الف دينار وكان على مدينة المنصور سور ، وعلى ما بنى المهدي من الرصافة سور فلما نزل المعتضد القصر الحسني ووافقه كثير من الناس كثرت العمارات ولم يكن هناك سور وبقيت على هذا الى ان جآء الغرق في سنة ستة وستين وار بعمائة فدخل البلد ولم يكن ثمَّ مانع فخرج الوزير عميد الدولة ابو منصور بن جهم في سنة ثمان وثمانين وار بعمائة فخط السور على الحريم وقلده وتقدم بجبايات المال الذي يحتاج اليهِ من عقارات الناس ودورهم ، وأذن للعوام في الفرجة والعمل فحمل اهل المحال السلاح وجاؤا بالاعلام والبوقات والطبول ومعهم المعاول والسلاب [1] وانواع الملاهي فعمل اهل باب المراتب فيلا من البواري المقيرة وتحتهُ قوم يسيرون بهِ ، وعملوا زرافة كذلك واتى اهل قصر عيسى بسميرية [2] كبيرة وفيها ملاحون يجذفون وهي تجري على هاذور [3] قد عملوه واتى اهل سوق يحيى بناعورة تدور معهم في الاسواق وعمل اهل سوق المدرسة قلعة خشب تسير على عجل وفيها الغلمان يضربون بقسي البندق والنشاب واخرج قوم عنزاً على عجل وفيها حائك ، والخبازون جاؤا بتنور وتحتهُ مايسيره والخباز يخبز ويرمي الخبز الى الناس .

وكان بناء السور مائة قامة فلم يزل كذلك حتى عزم المسترشد على بنائهِ في سنة سبع عشرة وخمسمائة فتقدم بجباية العقار الذي للناس فحصل منهُ مال كثير فضج الناس فاعيد عليهم وانفق عليهِ من ماله وأذن للناس في الخروج للفرجة والبناء فخرجوا على تلك القاعدة فكان كل اسبوع يعمل اهل محلة وجعل للسور اربعة ابواب وعرضهُ اثنان وعشرون ذراعاً ، ثم ان دجلة زادت زيادة عظيمة

---

(١) لعله السلات .
(٢) قال الزبيدي في المستدرك : السميرية ضرب من السفن .
(٣) اهزوجة بلغة العوام .

في سنة اربع وخمسين في خلافة المقتفي لامر الله واقتحم القورج واحاط الماء بالسور وانثلمت منهُ ثلم عجزوا عن سدها فاتسعت فتهدم معظم محال بغداد فتقدم المقتفي بعمل مسناة حول السور فعمل بعضها وتوفي . وولي المستنجد فعملوا منها قطعة وتوفي . وولي المستضيء فعمل بمقدار ماعمل في زمن الخليفتين .

انهار بغداد

كانت ببغداد انهار تجري بين المحال والدور ، واكثرها يأخذ من نهر عيسى بن علي الهاشمي ونهر عيسى يأخذ من الفرات وكان عند قنطرة دمما فاذا انتهى الى المحول تفرعت منهُ الانهار التي كانت تتخرق مدينة السلام ثم يمر الى قرية الياسرية وعليهِ هناك قنطرة ثم الى الزياتين وعليهِ هناك قنطرة (تعرف بقنطرة الزياتين ثم يمر الى موضع باعة الاشنان وعليهِ هناك قنطرة تعرف بقنطرة الاشنان) ثم الى موضع باعة الشوك وعليهِ هناك قنطرة تعرف بقنطرة الشوك ثم يصير الى موضع باعة الرمان وعليهِ هناك قنطرة تعرف بقنطرة الرمان ثم يصير الى قنطرة المغيض وعنده الارحاء ثم الى قنطرة البستان [١] ثم الى قنطرة المعبدي [٢] ثم الى قنطرة بني زريق ثم يصب في دجلة (اسفل قصر عيسى) . واما الصراة فيأخذ من نهر عيسى فوق المحول فيمر بقنطرة العباس ثم بقنطرة الصينيات ثم بقنطرة رحى البطريق وهي قنطرة الزبد ثم بالقنطرة العتيقة ثم بالقنطرة الجديدة ثم يصب في دجلة . ويحمل من الصراة نهر يقال له خندق طاهر (بن الحسين) اوله اسفل من فوهة الصراة بفرسخ يدور حول سور المدينة مما يلي الحربية الى ان يصل باب الانبار وعليهِ هناك قنطرة ثم يمر الى باب الحديد وعليهِ هناك قنطرة ثم يمر الى باب حرب وعليهِ هناك

(١) كان في الاصل البنيان .
(٢) في الاصل المغنين .

قنطرة ثم الى باب قطربل وعليه هناك قنطرة ثم يمر في وسط قطيعة ام جعفر ويصب في دجلة . . ويحمل من الصراة [١] نهر يقال له كرخايا [٢] اوله تحت المحول ويتفرع منهُ نهر آخذ في ربض ممتد ، حتى ينتهي الى سويقة أبي الورد ، ثم يمر ببركة زلزل فيدور فيها ثم يمضي الى باب طاق الحراني ثم يصب في الصراة اسفل من القنطرة الجديدة . . والانهار التي كانت تتخرق المحال كثيرة وقد بقي من الاسماء نهر البزازين ونهر طابق ونهر الدجاج ونهر القلائين . . وقد كان نهر [٣] يأتي من دجيل ويأتي الى الحربية في قنوات . . وكان في الجانب الشرقي نهر موسى يأخذ من نهر « بين » الى ان يصل الى قصر المعتضد المعروف بالثريا ثم يخرج (الى موضع يقال له مقسم الماء) فينقسم ثلاثة انهار فيدخل احدها الى بستان الزاهر فيسقيه و يمضي الثاني الى باب « بيبرز » [٤] فيدخل البلد ويسمى نهر « المعلى » يمر بين الدور الى باب سوق الثلاثاء ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب في [٥] دجلة . وهذا معلى من كبار قواد الرشيد ولي البصرة وفارس والاهواز واليمامة والبحرين ، ويمر النهر الثالث فيدخل الى القصر الحسني ويصب في دجلة . ويخرج نهر من الخالص يقال له نهر « الفضل » الى ان ينتهي الى باب « الشماسية » فيدخل شارع المهدي ثم يجيء الى قنطرة « البردان » ويدخل دار الروم ثم يجيء الى الرصافة ويمر في الجامع .

(١) في مقدمة الخطيب البغدادي وغيرها : ويحمل من نهر عيسى .

(٢) في معجم البلدان : كرخايا بالفتح ثم السكون وخاء معجمة وبعد الالف ياء مثناة من تحت * هو نهر كان ببغداد يأخذ من نهر عيسى تحت المحول .

(٣) وهذا النهر يقال له بطاطيا راجع مقدمة تاريخ بغداد « ص : ٦٨ » .

(٤) في الاصل « برز » وكتب في الهامش : كذا رأيته بخط ابن الجوزي .

(٥) في الاصل : الى .

جسور بغداد

اول من عقد الجسر ببغداد المنصور فانهُ لما بنى قصره «الخلد» في سنة تسع وخمسين ومائة عقد الجسر عند باب الشعير وروي انهُ عقد ثلاثة جسور احدها للنساء ثم عقد لنفسهِ وحشمهِ جسرين بباب البستان . وعقد الرشيد عند باب الشماسية جسرين فلما قتل الامين عطلت هذه الجسور وبقي منها ثلاثة ثم عطل واحد . وروي ان (أبا) علي بن شاذان قال : ادركت ببغداد ثلاثة جسور احدها يحاذي سوق الثلاثاء وآخر بباب الطاق والثالث عند الدار العزية . وقيل: ان الذي كان عند الدار العزية نقل الى باب الطاق فصار هناك جسران يمضي الناس على احدهما ويرجعون على الآخر ثم لم يبق غير جسر واحد عقد عند مشرعة الروايا من الجانب الغربي ، ولم ير في زمان المسترشد ومن بعده من الخلفاء غير جسر واحد كان عند نهر عيسى ثم نقل الى باب القرية ثم عملت المرأة [1] الملقبة بنفشه جسراً جديداً مستأنف السفن والسلاسل جعلته مكان هذا الجسر العتيق ورد ذلك الى مكانه من نهر عيسى وذلك في زمن المستضيء بأمر الله فصار للناس جسران .

مساجد بغداد وجوامعها

أما المساجد فلا تحصى كثيرة ، وأما الجوامع فأول جامع بناه بها المنصور ملاصق قصره المعروف بقصر الذهب بناه باللبن ومساحته مائتا ذراع في مائتين فأمر الرشيد بنقضه واعاد بناءه بالآجر والجص وكتب عليه اسم الرشيد ثم زيد فيه دار القطان وكانت قديماً ديواناً للمنصور تولى عمارتها قطان كان غلام مفلح التركي فنسبت اليه وذلك في سنة ستين (او احدى وستين) ومائتين .

(١) في الاصل : الجهة .

ثم اخبر المعتضد بالله ان الجامع يضيق عن الناس فزاد فيه الصحن الاول وهو قصر المنصور ووصله بالجامع وزاد فيه بدر مولى المعتضد المسقطات المعروفة بالبدرية .

جامع الرُصافة

بناه المهدي في اول خلافته الى ان ولى المعتضد وعمر القصر الحسني في سنة ثمانين ومائتين فكان يأذن للناس في دخول الدار يوم الجمعة للصلاة وليس قد رسم مسجداً فلما استخلف المكتفي في سنة تسع وثمانين ومائتين امر بهدم مطامير كان قد عملها المعتضد وامر ان يعمل مكانها مسجد جامع فعمل هذا الذي هو الآن واقيمت الصلاة في الجوامع الثلاثة وكان في براثا مسجد[1] يجتمع فيه قوم من الشيعة وربما ذكروا الصحابة فأمر بكبسه عليهم فاخذوا وعوقبوا وحبسوا وهدم المسجد وعفي اثره (ووصل بالمقبرة التي تليه ومكث خراباً) الى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة فامر الامير بجكم باعادة بنائه فبني بالآجر والجص وسقف بالساج المنقوش ووسع فيه وكتب في صدره اسم الراضي بالله ثم امر المتقي بالله بنصب منبر فيه واقيمت الجمعة فيه في سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، ثم اضيف الى هذه المساجد مسجد القطيعة ، روى : ان امرأة في الجانب الشرقي رأت في منامها النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرها انها تموت في غد عصراً وانه يصلي عليها في مسجد بقطيعة ام جعفر من الجانب الغربي ، ووضع كفه في حائط القبلة ففسرت هذه الرؤيا في يومها فقصد الناس الموضع فوجدوا اثر الكف وماتت بقية اليوم وكان ذلك سنة تسع وسبعين وثلثمائة فعمر ذلك المسجد ابو احمد الموسوي ووسعه بعد الرؤيا واستأذن الطائع لله ان يجعله مسجداً يصلي الناس فيه ايام الجمع واحتج بأنه من وراء خندق يقطع بينه وبين البلد

---

(١) أنظر « ص : ١٤ » .

فاذن له في ذلك وصار جامعاً . . وكان ابو بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي قد بنى مسجد الحربية في ايام المطيع لله ليكون جامعاً للناس يخطب فيه فمنع المطيع من ذلك فلما استخلف القادر (بالله) استفتى الفقهاء فاجازوا الصلاة فيه فانهى ذلك اليه فرسم ان يعمر ويكسى و ينصب فيه منبر ورتب له امام وصلي فيه سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وما زالت الجمع تقام في جامع المدينة وجامع الرصافة وجامع القصر ومسجد براثا ومسجد القطيعة ومسجد الحربية الى ان تبطلت من مسجد براثا بعد الخمسين والار بعمائة وكانت الجمعة كالعيد في هذه الجوامع خصوصاً في جامع المدينة فانهُ كان قديماً لا يسع الناس فالحقت فيه [1] دار القطان والبدرية ومدت ستائر على بابه لها حلق وكان الناس يمتدون فيه الى دجلة .

روى : ان أبا بكر بن الصلت قال : كنت اصلي صلاة الجمعة في جامع المدينة فانقطعت جمعة لعارض عرض لي فرأيت تلك الليلة في المنـام قائلا يقول لي : تركت الصلاة في جامع المدينة وانه ليصلي فيه في كل جمعة سبعون ولياً لله عز وجل . . وكان القاضي ابو تمام الزينبي يصلي في ايام الجمع على باب داره الراكبة لدجلة بباب خراسان والصفوف مادة من المسجد الى ذلك المكان والصلاة قائمة بمكبرين ينقلون التكبير عند الركوع والسجود وعلى ابواب المقصورة بوابون بثياب سود يمنعون من دخول احد اليها الا من كان من الخواص المتميزين بالاقبية السود ، وكان ذلك رسماً في سائر مقاصير الجوامع وقد بطل حتى صار لا يلبسه الا الخطيب والمؤذنون . وكان في زمن عضد الدولة يقف الانسان عند الباب الحديد من شارع الرصافة والصفوف ممتدة من المسجد الجامع بالرصافة الى هذا الموضوع ومسافة ما بينهما كمسافة ما بين

(١) كذا الاصل والصواب : فالحقت به .

المسجد الجـامع بالمدينة ودجلة . وحكى ابن محفوظ قال : كنت امضي الى الجامع بالمدينة لصلاة الجمعة فربما وصلت الى باب خراسان في دجلة وقد ضاق الوقت وقامت الصلاة وامتدت الصفوف الى الشاطىء فيصلي هناك . ثم امر السلطان ملكشاه بن محمد بن الب ارسلان بعمارة جامع بالمخرم وهو الجامع المسمى بجامع السلطان وتولى السلطان تقديره بنفسه وسوى قبلته جماعة من الرصديين واشرف على ذلك قاضي القضاة ابو بكر الشامي وحملت اخشابه من جامع سر من رأى ولم يتممه فتمم عمارته بهروز الخادم في سنة اربع وعشرين وخمسمائة ولم تزل هذه الجوامع كثيرة الفرج وكانت الفرجة والنزهة وافرة بجامع المنصور كل جمعة الى ان انشئت بالجانب الغربي جوامع منها جامع بدار القز في سنة ثلاثين وخمسمائة ، ثم جامع العقبة استأذن عمر بن بهلقا الطحان في عمارة مسجد العقبة من ماله وان يجعله جامعاً فاذن له فصليت به الجمعــة في منتصف شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . ثم جامع العتابيين اذن في صلاة الجمعة فيه المستنجد بالله في شوال سنة ست وخمسين وخمسمائة . ثم مسجد التوثة اذن في صلاة الجمعة فيه المستضيء بامر الله في رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة . ثم مسجد شارع دار الرقيق اذن في صلاة الجمعة فيه في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . ثم مسجد بقصر عيسى عمره ابو المظفر الحسن ابن هبة الله بن المطلب واستأذن المستضيء بامر الله في عقد الجمعة فيه فاذن في ذلك بشرط فتوى الفقهاء بجواز ذلك فاجاز بعض الفقهاء فعقدت الجمعة فيه في اواخر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، ثم منع المستضيء من الصلاة فيه فلما ولي الناصر لدين الله سئل في ذلك فاجاب فصلى فيه في اواخر ذي الحجة سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

واما الحمامات

قال احمد بن طاهر: ذكر في كتاب بغداد ان عدة الحمامات بها كان ستين الف حمام واقل ما يكون في كل حمام خمسة نفر: حامي ، وقيم ، وزبال ، ووقاد ، وسقاء ، يكون ذلك ثلثمائة الف رجل . وذكر انه يكون بإزاء كل حمام خمسة مساجد فتكون ثلثمائة الف مسجد واقل ما يكون في كل مسجد خمسة نفر يكون ذلك الف الف وخمسمائة الف انسان يحتاج كل انسان من هؤلاء في ليلة العيد الى رطل صابون يكون ذلك الف الف وخمسمائة الف رطل صابون . وقيل: عدت الحمامات ببغداد في ايام المقتدر فكانت سبعة وعشرين الف حمام ، وعدت في زمن ابي علي بن بويه فكانت بضعة عشر الف حمام . وعدت في زمن عضد الدولة خمسة آلاف حمام . وفي سنة عشرين وار بعمائة حزرت بمائة وسبعين حاماً .

السماريات [1]

أحصيت في ايام ابي أحمد الموفق فكانت ثلاثين الفاً قدر من كسب ملاحيها كل يوم تسعون الف درهم ، وكانت الابنية متصلة بالمدينة من شاطىء دجلة الى الكبش والاسد وهما موضعان قريبان من قبر ابراهيم الحربي ، وكان المجتاز لا يخلص في سوق الكبش والاسد من كثرة الزحمة .

وكانت بغداد

في زمن الرشيد في غاية الحسن، ثم تتابعت الفتن ووقع الخراب وما زالت الفتن والمحن متواترة الى ان وقع بين الرافضة واهل السنة فتنة احرقوا من الجانب الغربي ما لا يحصى من الدور والمساكن والحوانيت وقلت المعايش وكثر الجور وفترت الهمم عن طلب العلوم وغيرها ، وكان اهلها في سعة من

(١) انظر « ص : ١٧ » .

الارزاق ورخص الاسعار فانتقل عنها معظمهم .. قال محمد بن صالح الهاشمي: اخبرني رجل كان يبيع سويق الحمص منفرداً بهِ لا يبيع غيره أن في سنة ستين وثلثمائة حصر مايعمل في سوقه من هذا السويق كل سنة فكان مائة وار بعين كراً يكون حمصاً مائتين وثمانين كراً تخرج كل سنة حتى لايبقى منها شيء (ويستأنف عمل ذلك للسنة الاخرى) وسويق الحمص غير طيب، وانما يأكله المتجملون والضعفاء شهرين او ثلاثة عند عدم الفواكه ومن لا يأكله من الناس اكثر. قال الخطيب : ولو طلب من هذا السويق اليوم في جانبي بغداد مكوك [1] واحد ماوجد . وروي: ان داود بن صقر البخاري قال: رأيت في زمن أبي جعفر كبشاً بدرهم وحملا بأر بعة دوانيق [2]، والتمر ستون رطلا بدرهم ، والزيت ستة عشر رطلا بدرهم ، والسمن ثمانية ارطال بدرهم والرجل يعمل ، بالروزجار في السور كل يوم بخمس حبات . وقال الحسن بن سلام : كان ينادى على لحم البقر في جبانة كندة تسعون رطلا بدرهم ، ولحم الغنم ستون رطلا بدرهم ، والعسل عشرة ارطال بدرهم ، والسمن اثنا عشر رطلا بدرهم .

وصف بغداد ومحالها (*)

وقال ابو الوفاء بن عقيل : سألني صدر من صدور طريق خراسان عن بغداد وما ادركت بها . فقلت : لا اذكر لك امراً تكاد تستبعده فأذكر لك محلتي وهي واحدة من عشر محال كل محلة كبلد من بلاد الشام وهي المعروفة بـ « باب الطاق » ، اما شوارعها فشارع مما يلي دجلة من احد جانبيه قصور على دجلة طراز ممتد من عند الجسر الى اوائل « الزاهر » وهو بستان

(١) مكيال معروف لاهل العراق ويختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه في البلاد . وفي حديث انس ان رسول الله « ص » كان يتوضأ بمكوك .

(٢) جمع دانق وهو سدس الدرهم ويفتح نونه كالداناق .

(*) هذا العنوان وضعناه من عندنا ولم يكن في الاصل .

للملك نحو مائتي جريب وجانبه الآخر مساجد ارباب القصور ومساكن غلمانهم، وفي خلال ذلك اصطبلاتهم، ثم يليه من يمنته عند الجسر سوق يحيى الجامعة بين دور الوزراء والامراء مما يلي الشط كدار شادي والربيب وابن الاوحد وقصر الوافي الذي كان عليق دوابه كل يوم الف مخلاة . ثم في آخر هذا السوق دار فرج مساكن الثقاة والرؤساء ومن الجانب الغربي — أعني جانب سوق يحيى — الدكاكين العالية ، والدروب العامرة من دقاقين وخبازين وحلاويين ثم نهاية الدور الشاطئية دار معز الدولة ذات المسناة التي عرضها مائة آجرة، وكان لها الروشن (١) البديع ، فهذا طراز باب الطاق الشاطئي . فأما دواخلها فأوائلها العرصة التي هي رحبة الجسر وتنقسم رحبة الجسر الى شارعين عظيمين احدهما للاساكفة ، ثم سوق الطير وهو سوق يجمع الرياحين وفي حواشيها الصيارف الظراف، واصحاب الطيالس ، وفاخر الملابس ، ثم سوق المأكول الخبازين والقصابين وسوق الصاغة لم يشاهد احسن بناء منهُ بناء شاهق واساطين ساج عليها غرف مشرفة . ثم الوراقين سوق كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء . ثم سوق الرصافة عظيمة جامعة ، ثم شارع الترب، وقصر المهدي، وجامع الرصافة ، ودرب الروم ، وشارع عبد الصمد ، والسقايات العجيبة في طريق الجامع ذات الاجراس الكثيرة . . ونظير هذا من الجانب الغربي الكرخ وشاطئه قصور منتظمة ذوات دواليب و بساتين ورواشن متقابلة وبين يدي ذلك دار خيطية (٢) مشذبة لرب الدار مسرجة بالحلية المليحة والرجاشات (٣)

---

(١) الروشن : الكوة كما في الصحاح وهي فارسية .

(٢) الرجاشة بالجيم (وكان في الاصل بالحاء المهملة) ما يثير العجب في النفس من زينة الابنية ونقوشها وبديع محسناتها ويقال : انها من اصل ارمي مبنى ومعنى .

(٣) في الاصل حيطية بالحاء المهملة ووردت في كتاب احسن التقاسيم للمقدسي (ص: ٣٢) بين انواع سفن العراق بالخاء المعجمة كما اثبتناها وهي الصواب .

العجيبة ،والبط يتلاعب في مشرعة الدار الشاطئية ولربما اختلطت اصوات اغانيها برنيم دواليها ، ونقيق بطها ، وضجة غلمانها وخدمها ، ودجلة تنسل بين شاطىء قصورها الشاطئية . ولقد نزلت كثيراً في سميرية [١] منحدراً فما ازال اسمع هذه الانغام من شرعة الجسر بباب الطاق الى باب المراتب ، وكان لدور الشط ابواب الى شوارعها وعلى كل باب مراكب مسرجة مهيأة لركوب الظهر كما بين ايدي رواشنها خيطية او زبزب [٢] لركوب الشط والناس كأنهم في دعوة لا تخلو من ختان صبي، اوزفاف امرأة، وفي السبوت مجالس القراء على الكراسي بالالحان وحلق الملاج والصراع ومسابقة السفن ، ومن احسن القصور كانت دار الفخرية بالغربي ودار المملكة بالشرقي ، ولم يكن للدار العزية مثل دار بلدرك والحريم الطاهري وذوره الشاطئية وسوره الدائر وبابه الحديد ودار الامير حسن بن اسحق بن المقتدر الذي عرضت عليه الخلافة فأباها ، ووراء الحريم شارع دار رقيق محلة كبيرة كثيرة المنازل العجيبة . ثم درب سليمان والمارستان وسوقه العجيب ثم دار النقابة الشاطئية . قال : وكنت اسمع من المشايخ ان بدجلة خمسمائة مصفرة مزينة لا يركب فيها الاظراف التجار والاجناد وارباب المقاطعات، الرجل وغلامه والملاحون بالثياب الجميلة . ثم باب البصرة ذات السكك البعيدة ،ومن الجانب الشرقي «الزاهر» بستان عظيم جامع للنخل والازهار ووراءه ثلاث محال سوق السلاح والمخرم وسوق الداية ،وتمتد العمارة الى نهر معلى ودار الخلافة وتاجها العجيب وهي بنفسها بلد . وباب المراتب، محلة تختص بالكبراء وارباب المناصب ، وباب الازج والمأمونية . . وفي الجانب الغربي قصر عيسى وقصر المأمون والتوثة وغير ذلك . وجمعت الكرخ منازل عجيبة بديعة البناء ، وفيها درب الزعفران وفيه الدار

(١) قال الزبيدي في المستدرك : السميرية ضرب من السفن. (٢) ضرب من السفن

العجيبة ودرب رياح وشارع ابن ابي عوف وباب محول ، وكان بسور الحلاويين خزانة كتب فيها اثنا عشر الف مجلد ، وكانت اسواق الكرخ وباب الطاق لايختلط العطارون بارباب الزهائم والروائح المنكرة ولالارباب الانماط ، بارباب الاسقاط ، وكان لارباب المرؤآت دروب تخصهم ، درب الزعفران بالكرخ لايسكنهُ ارباب المهن بل اهل البز والعطر . ودرب سليمان في الرصافة مقصور على القضاة والشهود وكبار التجار .

مقابر بغـداد

هي كثيرة لكن منها في الجانب الغربي مقابر قريش، دفن فيها موسى ابن جعفر عليه السلام وجماعة من الافاضل [1] . ودفن في مقابر باب الشام عبدالله بن علي في سنة سبع وار بعين ومائة ، ومقبرة باب التبن على الخندق بأزاء قطيعة ام جعفر دفن فيها عبدالله بن احمد بن حنبل رضي الله عنهما (بوصية منه) ، و (ذاك انه) قال : قد صح عندي أن بالقطيعة نبياً مدفوناً ولان اكون في جوار نبي احب الي من ان اكون جوار ابي ، ومقبرة باب حرب خارج المدينة ورآء الخندق وهو حرب بن عبدالله احد صحابة المنصور واليه تنسب الحربية وهي مشهورة ودفن فيها بشر الحافي ثم احمد بن حنبل رضي الله عنهما . يروى : ان احمد بن العباس قال خرجت من بغداد اريد الحج فاستقبلني رجل عليه اثر العبادة فقال لي : من اين خرجت ؟ قلت: من بغداد ، هربت منها لما رأيت فيها من الفساد خفت ان يخسف باهلها . فقال : ارجع ولا

(١) قال ياقوت : كان المنصور اول من جعلها مقبرة لما ابتنى مدينته سنة ١٤٩ ،وكان اول من دفن فيها جعفر الاكبر بن المنصور امير المؤمنين في سنة ١٥٠ . وهي مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير وعليها سور بين الحربية ومقبرة احمد بن حنبل (رض) والحريم الطاهري وبينها وبين دجلة شوط فرس جيد .

تخف فان فيها قبور ار بعة من اولياء الله هم حصن لهم من جميع البلايا [١] .
قلت : من هم ؟ قال : ثم الامام احمد بن حنبل ، ومعروف الكرخي ، و بشر ابن الحرث [٢] ومنصور بن عمار [٣] فرجعت وزرت قبورهم . . واما المقبرة التي يقال انها مقبرة الشهداء [٤] فوق قبر احمد بن حنبل فان العوام يقولون : هؤلاء جماعة كانوا مع علي عليه السلام في قتال الخوارج بالنهروان وماتوا هناك . وهذا شيء لا اصل له [٥] .. وبنواحي الكرخ مقابر عدة فيها مقبرة باب الكناس مما يلي براثا فيها جماعة من اهل العلم ، ومقبرة الشونيزي فيها سري والجنيد وغيرهما من اكابر الزهاد ، وكانت مقابر قريش تعرف قديماً بمقبرة الشونيزي الصغير . (والمقبرة التي وراء التوثة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير ، و) كان أخوان يقال لكل واحد منهما الشونيزي فدفن كل واحد منهما في هاتين المقبرتين فنسبت المقبرة اليه ، ومقبرة باب الدير التي دفن فيها معروف الكرخي

---

(١) هذا حديث خرافة ، كان على المؤلف ان ينزه كتابه منه . وليت شعري اذا كانت هذه القبور حصناً للبغداديين من البلايا فلم لم تدفع عنهم بلاء الجهل والهوان ؟!

(٢) في قصبة الاعظمية اليوم قبر عليه قبة شادها بعض المبتدعة القبوريين يزعم الناس خاصتهم وعامتهم انه قبر بشر بن الحارث الحافي وهذا وهم بين ، وزعم مخالف لما يذكره المؤرخون فان قبر بشر ـ كما يقول المؤلف وغيره ـ في الحربية والحربية في الجانب الغربي (الكرخ) لا الشرقي ، كما ان قبر الامام احمد (رض) هناك ايضاً ـ على اقوال المؤرخين اجمع ، او بالشونيزية على ما انفرد به شيخ مشايخنا السيد محمود الالوسي في كتابه الطراز المذهب (ص : ١٠٣) ـ لا بالاعظمية التي كانت تسمى مقبرة الخيزران كما يتوهم ايضاً . ويقال ان قبر الامام قد استولت عليه دجلة ،

(٣) في الاصل : العماد

(٤) قال ياقوت : مقابر الشهداء ببغداد اذا خرجت من قنطرة باب حرب فهي نحو القبلة عن يسار الطريق لا ادري لم سميت بذلك .

(٥) قال الخطيب البغدادي في مقدمة تاريخ بغداد (ص : ٨٧) : وقد كان حمزة ابن محمد بن طاهر ينكر ايضاً ما اشتهر عند العامة من ذلك وسمعته يزعم انه لا اصل له . والله اعلم ،

وكان ابراهيم الحربي يقول : قبر معروف الترياق المجرب ؟ (١) وفي الجانب الشرقي مقبرة الخيزران زوجة المهدي وفيها قبر محمد بن اسحق صاحب المغازي وأبو حنيفة صاحب الرأي . ومقبرة عبد الله بن مالك تعرف بالمالكية فيها قبور جماعة من العلماء والزهاد ، ومقبرة باب البردان فيها جماعة من الفضلاء . وقريب من جامع الرصافة قبر فيه بعض اولاد علي عليه السلام يتبرك به !!؟ يقال: انه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين .

فصـــل

قال بعض الحكماء : الدنيا بادية و بغداد حاضرتها (٢) . وقال الصولي : حدثني من سمع الشافعي يقول : مادخلت بلداً قط الا عددته سفراً الا بغداد فاني حين دخلتها عددتها وطناً . قال مجاهد: (٣) رأيت ابا عمرو بن العلاء في النوم فقلت له : مافعل الله بك ؟ فقال : دعني مما فعل الله بي ، من اقام ببغداد

(١) كان على المصنف وهو هو ان ينزه كتابه عن اقوال وحكايات خرافية لاعلاقة لها بالتاريخ مثل هذا النقل الذي هو اشبه باقوال المشركين منه باقوال اهل الاسلام ، ومثل قوله في آخر هذا الفصل : وقريب من جامع الرصافة قبر .... يتبرك به ، وغيرهما من نزغات المشركين وشبهاتهم التي فتحت علينا للاشراك بابا عظيما . واعلم ان مدار هذه الشبه - على ماحقق الامام شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة اهل الجحيم - على اصلين ، منقول : وهو ما يحكى من نقل هذه الاقوال والادعية عن بعض الاعيان . ومعقول : وهو ما يعتقد من منفعتها بالتجارب والاقيسة . فاما النقل في ذلك فاما كذب او غلط وليس بحجة بل قد ذكر رحمه الله النقل في كتبه عمن يقتدى به بخلاف ذلك ، واما المعقول فان عامة ما يذكرونه من المنافع في قبور الصالحين رحمهم الله - كذب ، فان هؤلاء الذين يتحرون الدعاء عند القبور وامثالهم انما يستجاب لهم في النادر ويدعو الرجل منهم ما شاء الله من دعوات فيستجاب له في واحدة ويدعو خلق كثير منهم فيستجاب للواحد بعد الواحد . واين هؤلاء من الذين يتحرون الدعاء في اوقات الاسحار ويدعون الله في سجودهم وادبار صلواتهم وفي بيوت الله ؟ الى آخر ما اطنب فيه من التحقيق واجاد كعادته في كل ما يكتبه (رض) . ونسأل الله تعالى ان يبصر المسلمين في امر دينهم ودنياهم .

(٢) هذا القول يعزى الى ابي اسحاق الزجاج ورواه النويري في نهاية الارب والحموي في معجم البلدان ، والثعالبي في المضاف والمنسوب بلفظ : بغداد حضرة الدنيا وما عداها بادية.

(٣) في معجم البلدان : ابن مجاهد المقرئ.

على السنة والجماعة ومات نقل من جنة الى جنة . قال بعض الصالحين : اردت الانتقال من بغداد فأريت في منامي انتقل من بلد فيه عشرة آلاف ولي لله عزوجل فاقمت ولم انتقل منها . وقال الجاحظ : رأيت المدن العظام بالشام والروم وغيرهما فلم ار مدينة قط ارفع سمكا،ولا اجود استدارة،ولا اوسع ابوابا، ولااجود فصلا، من مدينة ابي جعفر كأنما صبت [1] في قالب وكأنما افرغت افراغاً . قال محمد بن عبيدالله التيمي : سمعت ذا النون يقول بمصر : من اراد المروءة والظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد . فقيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : لما حملت الى بغداد رمي بي على باب السلطان مقيداً فمر بي رجل متزر بمنديل ديبقي بيده كيزان خزف رقاق وزجاج مخروط فسألت هذا ساقي السلطان ؟ فقيل لي:لا،هذا ساقي العامة ، فأومأت اليه :اسقني ،فتقدم وسقاني فشممت من الكوز رائحة مسك فقلت لمن معي : ادفع اليه ديناراً فاعطاه فابى وقال : لا آخذ منك شيئاً . فقلت له : لم ؟ فقال : انت اسير وليس من المروءة ان آخذ منك شيئاً . فقلت : كل الظرف في هذا . ومن خالط اهل بغداد وعلماءها عرف فضلهم ولطفهم ،ومن تأمل لطافة العوام بها في مجونهم وحديثهم واشاراتهم التي لا يفهمها اكثر علماء غيرها من البلاد حتى ان فيهم من يقول الشعر المسمى « كان وكان » [2] فيأتي بمعان لا يقدر عليها فحول الشعراء ـ تبين

(١) في الاصل نصب .

(٢) قال الابشيهي في (المستظرف) والمحبي في (خلاصة الاثر) للكان وكان نظم واحد وقافيه واحدة لكن الشطر الاول من البيت اطول من الثاني ولا تكون قافيته الا مردوفة ، واجزاؤه المعهودة هي :

مستفعلن فعلاتن * مستفعلن مستفعلن *

مستفعلن فاعلاتن * مستفعلن فعلان .

واول من اخترعه (البغداديون) وسموه بذلك لانهم نظموا فيه الحكايات والخرافات ،وقولهم: (كان وكان) كناية عن الاحاديث التي لا يعتنى بها ، ثم نظم فيه بعض فضلاء بغداد كالامام ابن الجوزي وشمس الدين الكوفي ـ المواعظ والحكم وغير ذلك من المعاني كقوله:

له فضلهم ولطافة اخلاقهم . قال يونس بن عبد الاعلى : قال لي محمد بن ادريس: دخلت بغداد ؟ قلت : لا . قال : يا يونس مارأيت الدنيا ولا رأيت الناس. قيل : اذا كان علم الرجل حجازياً ، وخلقه عراقياً ، وطاعته شامية فقد كمل[1]. قال ابو القاسم الديلمي : سافرت الآفاق، ودخلت البلدان ، من حد سمرقند الى القيروان ، ومن سرنديب الى بلاد الروم فما وجدت بلداً افضل ولا اطيب من بغداد . وسألني سبكتكين حاجب معز الدولة : ما رأيت في اسفارك اطيب وافضل ؟ فقلت له : اذا خرجت من العراق ، فالدنيا كلها رستاق .

قال ابو بكر بن حمزة : كتب الي صديق لي من حلوان : اني رأيت فيما يرى النائم كأن ملكين اتيا بغداد فقال احدهما للآخر : اقلبها فقد حق القول عليها. فقال له: كيف اقلبها وقد ختم الليلة فيها خمسة آلاف ختمة . وما زالت الشعراء تمدح بغداد فمما قاله فيها ابو سعيد محمد بن علي بن خلف الهمداني:

فدى لك يا بغداد كل مدينة ... من الارض حتى خطتي وبلاديا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها ... وسيرت خيلي نحوها وركابيا
فلم ار فيها مثل بغداد منزلا ... ولم ار فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل اهليها ارق شمائلا ... واعذب الفاظاً واحلى معانيا
وكم قائل : لو كان ودك صادقاً ... لبغداد لم ترحل ، فكان جوابيا :
يقيم الرجال الاغنياء بارضهم ... وترمي النوى بالمقترين المراميا
وما فارقوا اوطانهم عن ملالة ... ولكن حذاراً من شمات الاعاديا

ياقاسي القلب مالك * تسمع وما عندك خبر
ومن حرارة وعظي * قد لانت الاحجار
افنيت مالك وحالك * في كل ما لا ينفعك
ليتك على ذي الحالة * تقلع عن الاصرار...الخ

(١) اقول : ذكر الثعالبي في المضاف والمنسوب ان عبد الملك بن مروان ذكر روح بن زنباع فمدحه وقال : لقد جمع ابو زرعة فقه الحجاز، ودهاء العراق ، وطاعة الشام .

قال (محمد بن علي) بن حبيب (الماوردي) : كتب الي أخي من البصرة (وانا ببغداد) :

طيب الهواء ببغداد يشوقني قدماً اليها وان عاقت مقادير[١]
وكيف صبري عنها الآن اذ جمعت طيب الهواءين ممدود ومقصور

فصل

قال هلال بن المحسن : عبرت الى الجانب الشرقي من مدينة السلام بعد الاحداث الطارئة فرأيت ما بين سوق السلاح والرصافة وسوق العطش ومربعة الخرسي[٢] والزاهر وما في دواخل ذلك ورواصفه وقد خرب خراباً فاحشاً حتى لم يترك النقض جداراً قائماً ، ولا مسجداً باقياً ، واما بين باب البصرة والعتابيين والخلد وشارع دار رقيق من الجانب الغربي فقد اندرس اندراساً كلياً ، وصار الجامعان بالمدينة والرصافة في الصحراء بعد ان كانا في وسط العمارة . . وقال علي بن ابي مريم : مررت بسويقة عبدالوهاب[٣] وقد خربت منازلها وعلى جدار منها مكتوب :

هذي منازل اقوام عهدتهم في خفض عيش وعز ماله خطر[٤]
صاحت بهم نائبات الدهر فانتقلوا الى القبور فلا عين ولا أثر

وقد كانت على غاية من الحسن والعمارات..قال ابن هلال: كنت اركب من داري بباب المراتب الى دار معز الدولة بالشماسية في الاسواق بين الظلال

(١) ويروى : معاذير

(٢) قال ياقوت : اما مربعة فكأنه يراد به الموضع المربع.واما الخرسي فبضم الخاء وراء ساكنة وسين مهملة وهي نسبة الى خراسان يقال : خرسي وخراسي وخراساني ، عن صاحب كتاب العين . وهي محلة في شرق بغداد فكان الخرسي هذا صاحب شرطة بغداد واظنه في ايام المنصور.

(٣) تنسب الى عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

(٤) وفي رواية : في رغد عيش رغيب ماله خطر .

والمحال والدروب ، وكذلك بالجانب الغربي والدور على دجلة متقابلة ، و بساتينها متناهية ، وانهارها متشابكة ، وما فيها دار تخلو من الاغاني والافراح، فسبحان الدائم الذي لا يزول ملكه.

فصل

اعلم أن بغداد اسم لمدينة المنصور التي بالجانب الغربي غير أنه لما قرب منها مايقابلها من الجانب الشرقي اضيف ذكره الى ذكرها وكان حكمها واحداً ، وقد كان الجانب الغربي احصن وامنع واكثر خيراً من الشرقي ، والغربي متحصن بدجلة وهي تمنع العجم ، والفرات وهي تمنع العرب ، وجهور فوائد بغداد من انهار الفرات ، والغربي قد أمن الغرق وفي كل حين ربما غرق من ماء قبين[1] فقد كان في سني نيف وثلاثين وثلثمائة جاء ودخل مدينة المنصور وهدم طاقات باب الكوفة ، وجاء ايضاً في سنة تسع وستين وخمسمائة فأفسد نواحي المحول وغيرها ، وتحصن منه اهل الجانب الغربي بعمل السكور فمر خلف المحال وقلب في الخندق والصراة ونهر عيسى . واما الجانب الشرقي فقد غرق مراراً، اولها سنة ست وستين وار بعمائة ولم يكن لبغداد سور فدخل الماء الى دار الخلافة والجامع، ومر بباب النوبي وغرق كثير من المحال. ثم عمل السور وجاء الغرق في سنة اربع وخمسين وخمسمائة واحاط بالسور، وتعب فيه ، واغرق كثيراً من المحال، ثم عاد في سنة اربع وستين وخمسمائة فخرب مواضع كثيرة، ثم عاد في سنة اربع عشرة وستمائة، وسنة ست واربعين وستمائة ، وسنة اربع وخمسين وستمائة . كل سنة من هذه السنين اخرب المحال والدور، وسارت السفن في سنة اربع وخمسين في الريحانيين الى الرحبة وباب الغابة . . ولما

(١) بالضم ثم الكسر والتشديد وياء مثناة من تحت وآخره نون اسم اعجمي لنهر ، وولاية بالعراق.

كانت المدائن قريبة من بغداد،بينهما بعض يوموكانت كالمتصلة بها حسن ان نذكرها : وانما سميت المدائن لكثرة مابني بها من الاماكن في ايام الملوك والاكاسرة وأثروا فيها الآثار وهي مدينتان شرقية تسمى العتيقة وفيها القصر الابيض الذي لايدرى من بناه،ويتصل به المدينة التي كانت الملوك تنزلها وفيها الايوان ، وتعرف بأسبانبر[1] ومدينة غربية تسمى « بهرسير »[2] .

ويقال : ان الاسكندر الذي يقال له «ذو القرنين» المذكور في الكتاب العزيز بناها،وقد بنى مدناً كثيرة منها بالمغرب الاسكندرية،وبخراسان العليا سمرقند والخراسان السفلى مرو وهراة ، ومن ناحيــة الجبل بنى مدينة اصفهان،وجال في الارض وبلغ المشرق والمغرب ولم يختر منزلا الا المدائن وعرها [3] وبنى بها مدينة عظيمة وجعل لها سوراً أثره باق الى الآن.وبنى المدينة التي تسمى «الرومية» في جانب دجلة الشرقي فأقام بها الى ان مات بها،وحمل الى امه بالاسكندرية . . وانما اختار الملوك المدائن لجودة تربتها ، وطيب هوائها . .

واما الايوان فبناه ذو الاكتاف واسمهُ سابور بن هرمز فلما جاء سعد بن أبي وقاص وحارب اهل المدائن،وخاض بالخيل اليهم فهربوا،وكان في بيوت اموالهم ثلاثة آلاف الف الف فأخذوا نصف ذلك،وتركوا الباقي،واخذوا ما امكنهم من الاواني والثياب نزل سعد القصر الابيض واتخذ الايوان مصلى ، وجعل

---

(١) ويروى اسفانبر بفاء بدل الباء وقد صحفها بعضهم اسبانير ، واسفانير.وفي تقويم البلدان: اسبانين .

(٢) كانت في الاصل مهملة وقد اختلف في ضبطها فقال بعضهم (نهر شير) وقال ابن الاثير (بهر شير) بياء موحدة تحتية بدلا من النون . وجاء في فتوح البلدان (بهر سير) بسين مهملة وبفتح الباء وسكون الهاء وفتح الراء وكسر السين.وفي معجم البلدان (بهر سير) بالفتح ثم الضم وفتح الراء وكسر السين المهملة وياء ساكنة وراء وهي معربة من(ده اردشير) او من (به اردشير) كأن معناه خير مدينة اردشير .

(٣) لعله وعني بها ، او وعين لها .

يقرأ : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة [١] كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوماً آخرين » . واخذ المسلمون ستر باب الايوان فأحرقوه فخرج منهُ الف الف مثقال ذهباً . . وكان فتح المدائن شهر صفر سنة ست عشرة من الهجرة [٢] على يد سعد بن أبي وقاص . وقد ورد المدائن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في طريقه لما قاتل الخوارج بالنهروان وجاز بها لما خرج الى صفين فرأى بعض اصحابه تلك الحال فتمثل:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فاذا النعيم وكل مايلهى بهِ يوماً يصير الى بلى ونفاد [٣]

فقال علي عليهِ السلام : لا تقل هكذا ولكن قل كما قال الله عزوجل : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوماً آخرين » ان هؤلاء القوم كانوا وارثين فاصبحوا موروثين انهم استحلوا الحرم، فحلت بهم النقم فلا تستحلوا الحرم ، فتحل بكم النقم .

فصل

نذكر فيه فضل بغداد ، على غيرها من البلاد

قد ذكرنا : ان الاقليم الذي فيه بغداد اوسط الاقاليم وهو اعدلها فلذلك اعتدل اصحابه . وعيوب غيرها من البلاد ظاهرة منها : بلدة سجستان ريح

---

(١) النعمة بفتح النون اسم من التنعم والتمتع وهو النعيم .

(٢) اقول : وزعم الزبيدي في التاج انها فتحت سنة اربع عشرة .

(٣) البيتان للاسود بن يعفر النهشلي من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

نام الخلي وما احس رقادي والهم محتضر لدى وسادي

ويروى ان عمر بن عبد العزيز ومزاحماً مولاه مرا يوماً بقصر من قصور آل جفنة وقد خرب فتمثل مزاحم بقول الاسود فقال له عمر : الا قرأت (كم تركوا من جنات وعيون) الآية ، .انظر معجم البلدان (٥ : ١٥٠) والاغاني (١١ : ١٣٠) .

الجنوب تضر اهلها فعيونهم ابداً رمد . وارض السند والهند والخزر بها من الحر ما لا يتخلصون منه الا بالحيل . والترك وخوارزم واهل شرب جيحون تحدهم البحيرة ووادي جيحون . وبمرو من البعوض والبراغيث ما يتحير منهُ الانسان . وماء طخارستان اردى ماء واوبؤه من داوم شربه انتفخ خلقه الا ان اهله قد اعتادوه . والري ونواحيها لا يزال الانسان في امراض من رداءة مائها ووباء ثمارها وهوائها . وجرجان لا يزال اهلها في حمى ربع ونافض [١] واكثر وجوههم مصفرة . ويقال : من ادام المقام بالاهواز عدم عقله وجاهم دائمة وربما ولد المولود محموماً . وقل من يدخل بلاد الزنج الاجرب . ومن اطال النوم بالمصيصة في الحر هاجت به الزنج السوداء وربما جن . ومن سكن البحرين عظم طحاله [٢] . وبعصر من البراغيث ما لا يوصف ويبلغ من العقارب ما لا يحصى وكذلك البصرة. وبالموصل وديار ربيعة ومضر جرارات كالعقارب اذا لسعت قتلت في الحال ، وبقزوين مياه اذا شربها الغريب وداوم شربها ولم يكثر الحركة انتفخت رجلاه حتى لا يجد بداً من قطعها ليتخلص بروحه . [٣]

ذبابها الوان الفراش ولا يقدر الانسان ان يقرب من السراج . ومــا يعيب بغداد الا الجامد الذهن كما قيل :

وكم من عائب قولا صحيحاً ‌ ‌ ‌ ‌ وآفته من الفهم السقيم [٤]

« تم »

---

(١) حمى الربع بالكسر هي التي تعرض يوماً وتقلع يومين ثم تأتي في الرابع وهكذا. يقــال اربعت الحمى عليه بالف وفي لغة ربعت ربعاً من باب نفع كما في المصــباح المنير . والنافض : حمى الرعدة .

(٢) قال الجاحظ في خصائص البلدان عن ثقات التجار الذين نقبوا في البلاد : من اقام في البحرين مدة ربا طحاله وانتفخ بطنه .قال الشاعر :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله ‌ ‌ * ‌ ‌ ويغبط بمــا في بطنه وهو جائع

(٣) هنا كلمات محرفة لم نهتد الى قراءتها .

(٤) البيت لابي الطيب المتنبي .

فهرست الكتاب

فهرس ثان لما ورد في الكتاب من اسماء الاعلام والاماكن الخ

مرتب على حروف الهجاء

جدول الخطأ والصواب

ص	س	خ	ص
٢	٥	جال الدين	بجمال الدين
»	١١	فراقت لي	فراقتني
٨	٢١	والعبارة ترى	والعبارة كماترى
١٦	٦	الف الف	الاف الف
١٦	٢٢	الشريسي	الشريشي
١٧	١٠	دار بلدرك	ودار بلدرك
و	٨	ذوا	ذو